مختارات الديسابورا 1

قصص قصيرة مترجمة عن الإنجليزية

مارتنيز - سانز - سولستاد - كروك - سافاس
يونج لوجاسيك - أغوادا - أوسوندو - واتس - مكراكين

عوالم سردية

ترجمة:
أحمد ضحية

دار البسمة للنشر الكبرى

عوالم سردية

اسم الكتاب: مختارات الديسابورا (١) عوالم سّردية
"قصص قصيرة لكتاب معاصرين مترجمة عن الانجليزية"
اسم الكاتب: أحمد ضحية
نـوع العمـل: ترجمة
عدد الصفحات: ٢٠٨
الرقم الدولي EBIN: ٢١١١٠٢-٠١-١٥٧-١٦
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: ٢٠٢١م / ١٤٤٣هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

٠٠٢١٢٧٧١٨١٤٩٣٤

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

basmaredesign@gmail.com

المملكة المغربية

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسـؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صـورة نشـر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسـترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سـواء كَانَت إلكترونية أو بالتصـوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر. ©

مختارات الديسابورا 1

قصص قصيرة مترجمة عن الإنجليزية

مارتينز - سانز - سولستاد - كروك - سافاس
يونج لوجاسيك - أغوادا - أوسوندو - واتس - مكراكين

عوالم سردية

أحمد ضحية

كلم للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أصدقاء
عرفتهم في الغربة

عن المترجم:

أحمد محمد ضحية أحمد

- مواليد مدينة كوستي ١ نوفمبر ١٩٧١، (السودان).
- تخرج عن كلية الآداب والعلوم شـــعبة الترجمة، جامعة أم درمان الأهلية ١٩٩٨.
- له إسـهامات في السـرد والنقد الأدبي في الصـحافة الورقية والاليكترونية العربية.
- عضـو مؤسس لنادي القصـة السوداني. المسؤول الإعلامي لمنظمة Darfur Rehabilition, Newark, NJ في العـام ٢٠٠٦ وعضـــو منظمـة Toward freedom فيرمونت، الولايات المتحدة الاميريكية (٢٠١٨).

عمل في الفترة من ١٩٩٣–٢٠٠٢ مدرســـا للغة العربية والتاريخ ومحرراً بصحف:
أخبار اليوم، الأســـبوع، الأزمنة، الدســـتور. في الملفات الثقافية. وكاتباً مشـاركاً بصـحيفة الصـحافة ومسـئولاً عن النشـاط الثقافي ببيت الثقافة بالخرطوم. وعضـــواً بدائرة الأدب والنقد (المجلس الأعلى لرعاية الثقافة والآداب والفنون). ورئيســاً لقســم التحقيقات والقسم الثقافي بالصـحافي الدولي. ومؤسـساً ومسـئولاً عن تحرير نشـرة (إضـافات)، وعضـو أسـرة تحرير كتابات سـودانية والتقرير الاســتراتيجي الســنوي– مركز الدراســات الســودانية (٢٠٠١–٢٠٠٤).

وباحثا متعاونا وكاتبا مشـــاركا بمركز القاهرة لدراســـات حقوق الإنسان (٢٠٠٣-٢٠٠٦).
كما كان نشطاً قبل هجرته في الندوات الأدبية والفكرية كمحاضر: الخرطوم، كوستي، القاهرة.

صدر له بالاشتراك مع كتاب آخرين:

- دروب جديدة.. أفق أول (بـالاشـــتراك مع مجموعة من القصاصين) منشورات نادي القصة السوداني بالتعاون مع دار نشـــر الشـــريف الأكاديمية الطبعة الأولى ٢٠٠٢ الخرطوم.
- الإثنية والديموقراطية (بالاشـــتراك مع كتاب آخرين) عن مركز الدراســـات الســـودانية، الخرطوم الطبعة الأولى ٢٠٠٤

صدرت له روايات:

- مارتجلو.. ذاكرة الحرَّاز، عن دار عزة للطباعة والنشـــر والتوزيع، الخرطوم الطبعة الأولى ٢٠٠٢
- صـانع الفخار ج[1]: آلام ذاكرة الطين، دار مدارات للطباعة والنشر والاوزيع، الخرطوم الطبعة، ٢٠١٦
- صـــانع الفخار ج[2]: المقدس ســـره، دار لوتس للطباعة والنشر الحر، القاهرة ٢٠٢٠
- صـانع الفخار ج[3]: المنشق، دار بسمة للنشر الاليكتروني، المغرب، ٢٠٢١

- أشـــجان البلدة القديمة، دار مدارات للطباعة والنشـــر والتوزيع، الخرطوم، ٢٠١٦
- هيلدا نورســة النهر، دار ويلوس هاوس للطباعة والنشــر والتوزيع، جوبا، جمهورية جنوب السودان،٢٠٢٠
- ثلاثيـة الاعتم إبن أبي ليـل الظلامي ج[1]: البـدايـات، دار المثقف للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٠
- الأعتم بن أبي ليل الظلامي ج[2] الكتابة على نهد نخلة، دار بسمة للنشر الاليكتروني، المغرب، ٢٠٢١
- الأعتم بن أبي ليل الظلامي ج[3]، غوايـة غرف النوم. دار بسمة للنشر الاليكتروني، المغرب، ٢٠٢١
- لا وطن في الحنين (الأجزاء الثلاثة)، دار ويلوس هاوس للطبـاعـة والنشـــر والتوزيع، جوبـا، جمهوريـة جنوب السودان، ٢٠٢١

نقد:

- تخوم السرد أرخبيل الحكايا "مقدمة في تقنية وسُوسيولوجيا القصــة القصــيرة الســودانية" دار رفيقي للطباعة والنشــر والتوزيع، جوبا، جمهورية جنوب السودان، ٢٠٢٠
- عتبات نصــوص نســوية I، دار المثقف للطباعة والنشــر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٠
- رحلة الســرد من الغابة والصــحراء إلى غضــبة الهبباي، "مقدمة في تقنية وسُــوســيولوجيا الرواية الســودانية. دار رفيقي للطباعة والنشــر والتوزيع، جوبا، جمهورية جنوب السودان ٢٠٢١

- عتبات نصوص II: نون السرد وتاء الحكايات، دار المثقف للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢١
- وردة على ضـريح الرّاوي "مقترحات نقدية في سـرديات الطيب صـالح"، دار بسـمة للنشـر الاليكتروني، المغرب، ٢٠٢١.
- هوامش في الدلالة والسـياق التعبيري، دار بسـمة للنشـر الاليكتروني، المغرب، ٢٠٢١

كتابات أخرى:

- أنثى طائر الفينيق، إحياء ذكرى الكاتبة الراحلة منال حمد النيـل، دار رفيقي للطبـاعـة والنشـــر والتوزيع، جوبـا، جمهورية جنوب السودان ٢٠٢٠

تحت الإعداد للطبع:

- ثلاثية المواطن عابر سبيل (رواية)
- ثلاثية كوابيس الجنكويز (رواية)
- نوار سيدة الحراز (رواية)
- نافذة للحنين.. نافذة الشجن (قصص)
- عتبات نصوص III أسئلة الرواية العربية الجديدة (نقد)
- السـرد والرؤى III صـحارى غابة الأبنوس (قراءات في السرد الجنوبسوداني)، (نقد).
- الإقصـــاء والنفي الوجودي (قراءات في سـرديـات المهمشين)، (نقد).

مقدمة المترجم

كان تطوّر وصعود القصة القصيرّة الأمريكية، في القرن التاسع عشّر، نتيجة لحرّكة قوّانين قوّى السوق، نظراً إلى أن سكان المدن في أمريكا، كانوا غير مستقرّين للغّاية، فالعمال كانوا ينتقلون بصورّة شبه دائمّة، من مدينة إلى أخرى؛ وترافق ذلك مع ظهور أراضٍ وفرص عمل جديدّة، ومن هنا وجدت الصحف، أن الرّوايات التي على حلقات متسلسلة، لم تكن أمراً عملياً:

فمساحة الإعلان لا قيمّة لها، إلى جانب فصل من رّواية، لن يقرأها أحد في المدّن الصاعدة، بحكم عدم بقاء النّاس في هذه المدّن، لفترّة كافية، تمكنهم من متابعة هذه الحلقات المتسلسلة، إلى أن تنتهي الرّواية!

وكان الرّوائيون البريطانيون أمثال ديكنز وترولوب، وقتها قد نشرّوا رّواياتهم، أولاً في شكل حلقات متسلسلة، ثم قاموا بجمع هذه الحلقات أو الفصول لاحقاً في كتب!

وقتها كانت للرّوائيين الأمريكيين، نوافذ قليلة جداً للنشر المتسلسل، ولهذا السبب اختلف شكّل الرّواية الأمريكية، اختلافاً جذرياً عن نظيرّتها البريطانية:

حيث تُقرأ فصول من الرّوايات المتسلسلة، مثل حلقات المسلسلات، إذ يبدأ كل فصل بأزّمة، يتم حلّها قريباً وتنتهي، بالترّافق مع ظهور أزّمة جديدّة أو cliffhanger (ذُروَّة)، سرّعان ما سيتم حلّها في بداية الحلقة التالية.

لم يكن الأمر كذلك مع الرّواية الأمريكية، إذا تأملنا ما عليه الحال في رّوايات كموبي ديك (١) أو مغامرات هاكلبري فين (٢).. ومع عدم وجود سوق منتظم للرّواية في الولايات المتحدة وقتها، استعار كُتّاب الرّواية في النصف الأول من القرن التاسع عشر شكّل القصّة القصيرّة، من مؤلفين ألمان أمثال: فيلهلم كلايست وإي تي إيه.

وقام هوفمان بتعديل الشكّل، ليناسب الصحف الأمريكية. وكانت النتيجة هي الشكّل الأدبي، الذي نعرّفه الآن بالقصّة القصيرّة.

ومع ذلك، فإن ما نعرفه الآن كشكّل أدبي، لم يكن في الأصل فناً رفيعاً، أكثر من (موسيقى البوب اليوم)، إذ كانت القصص القصيرّة، عبارّة عن "منتجات تجارّية"، كُتبت للصحف والمجلات، من قِبل كُتاب يحاولون كسب لقمة عيشهم!

ومن ثم حاول إدغار آلان بو، الارتقاء بالقصّة القصيرّة إلى مصاف الفن، وفي هذا السياق، أنتج هوثورن بضعة مجلدات؛ كذلك هناك (حكايات بيازا) لملفيل، و(الشخص المشغّول الصغيّر)، وكتب واشنطن إيرفينغ The Knickerbocker Tales: (حكايات نيكربوكر)، ومع ذلك، ظلت القصّة القصيرّة لوقتٍ طويل، مجرد مادة ترّفيهة مختصرّة، أشبه بمسلسل (سيت كوم) أو (كاي)، كدراما مدّتها ساعة على التلفزيون.

وبحلول الوّقت، الذي تولى فيه ويليام دين هاولز، رئاسة تحرير مجلة أتلانتيك الشهرّية، في عام ١٨٧١، انقسم شكّل القصّة القصيرّة، إلى فئتين مختلفتين، بنفس الطرّيقة، التي انقسمت بها الأشكال الفنية الأخرى، إلى تلك التي تطمح للوصول إلى حالة

الفن، وتلك التي لا توجد إلا من أجل كتابتها، كوسيلة من سُبُل كسب العيش!

وهكذا أصبحت القصّة القصيرّة، شكّلاً من أشكّال الفن، وفي الوقت نفسه سبيلاً حقيقياً لكسب العيش.

فعلى سبيل المثال، كان لدى جاك لندن عقداً مع كوزموبوليتان، لكتابة قصة شهرياً، لمدّة عام بمعدل ألف دولار لكل قصة.

وعندما أُجريت العمليات الحسابية، على هذا الرّقم بوضع قيمّة الإيجارات في (أوكلاند، كاليفورنيا) كمؤشر لقيمّة الدولار، وُجد أن ألف دولار قبل مائة عام، تساوي حوالي مائتين وخمسين ألف دولار اليوم، أي ما يعادل ما سيحصل عليه المرء، من بيع حقوق فيلم لهوليوود!

وعندما احتاج الرّوائي في مطلع القرن العشرين، إلى المال، لدعم رّواية يرغب في كتابتها، كان يكتب قصص قصيرّة، لتمويل مشروعه الرّوائي قيد التنفيذ، وليس من المستغرّب أن القصّص القصيرّة، المكتوبة من أجل المال، كما كانت في أغلب الأحيان، لم تكن بشكل عام على المستوى أو التعقيدّات نفسها، مثل الرّوايات التي أنتجها نفس المؤلفين. قارن الاختلافات في مستوى التعقيدات بين قصص ورّوايات (هنري جيمس) (٣) و(ويليام فوكنر) (٤) غير أن ظهور الفيلم، غيّر مكانة القصّة القصيرّة ووظيفتها في النّهاية. تماماً! كما نفى التصوّير الفوتوغرّافي الوظيفة المحاكية لفن الرّسم، وجعلها وظيفة عفا عليها الزّمن، فقد طمس صعود الفيلم وظيفة القصّة القصيرّة، المتمثلة في تقدّيم رّوايات قصيرّة.

وبالطبع، استغرق هذا بعض الوقت، حيث لم يكن لدى الجميع دار سينما قريبة ومفتوحة، طوال ساعات النّهار والليل، ولكن اليوم،

مع توفر الأفلام بنقرّة زّر المـاوس، أو جهـاز التحكم عن بعـد، وإمكانية الحصـول على سّرد قصـير، لا يحكّي قصـة فحسـب، بل يُظهر القصّـة أيضـاً، أصـبحت القصّـة القصـيرّة، بالنسـبة للجمهور الأكبر، قطعة أثرية مزّيج من ضباب الماضي وفضول الحاضر.

عندما عطّل التصوّير وظيفة المحاكاة للرّسم، استجاب الفنانون من خلال رّسم لوحات غير مقلَّدة، أُستخدمت كمقدّمة لفكرّة أن ما ظلوا يرسمونه، ليس هو الواقع، وإنما انطباع الفنان عن الواقع، فلوحات مونيه في كاتدرائية نوتردام، ليست محاولات لتقديم الكنيسة بشكل واقعي أكثر من (ليلة النجوم) لفان جوخ، التي كانت محاولة للدّقة الفلكية!

إذن حذّت القصة القصيرّة حذو ذلك. عندما اغتصب الفيلم وظيفتها السردية، فأخذ كُتاب القصّة القصيرّة بشكل متزايد، يُركزون على الجوانب الأخرى، لفن الرّواية.

ومن هنا جاءت محاولات روبرت كوفر، لطمس اليقين السّـردي، وانشـغال دونالد بارثيلمي، بالكولاج وتحليل الثقافة الشـعبية، وإبتكار جون بارث لحد أدنى من أُسلوب يجمع بين النقد والسّرد، مع الاحتفاء بالجوهر، بحيث يكاد يكون قانوناً سـردياً عالمياً، يبدد أي تعارض بين الأُسـلوب والجوهر، كما يبدو (في تمرد على الفيلم، والذي يكاد يحل النزّاعات بدّقة، وبشـكل إلهي غالباً). إذن استجابت القصة القصيرّة للفيلم، بمحاولة أن تقدم في الخيال، ما لا يمكن تصويرّه في الواقع.

وهكذا تطورّت القصـة القصـيرّة إلى مخلوق مختلف عن أسـلافها. فهي لم تعد بعد الآن، وسيلة رّوائية شائعة. مثل الشعر..

وهكذا، شحذّت القصة القصيرّة نفسها من أعين الجمهور، ودخلت الأرّاضي الوعرّة المهجورّة من الفن.
هناك عدد قليل جداً من الوسائط التجارّية المهتمة بالقصة القصيرّة، في أميركا ك: Harper's (هاربر) وThe Atlantic (الأطلسي) وPlayboy (بلاي بوي) وThe New Yorker (نيويوركر) وEsquire (المحترم) ورُبما عدد قليل من الوسائط الأخرى.
وينشر كُتاب القصّة القصيرّة في المجلات الأدبية، مقابل أجر رّمزي. بضع مئات من الدولارات في أحسن الأحوال- أو، كما هو الحال عادةً، بدون أجر. وغالبية قراء القصص القصيرّة هم من كتّاب القصة القصيرّة أنفسهم، مما يعكس حالة الشعر المعاصر، في الحقيقة!
ومع ذلك كتّاب القصّص القصيرّة، يُبدعون أعمالاً فنية، تحمل القليل من التشابه مع الأعمال، التي يكتبها الرّوائيون.
كتاب القصّص القصيرّة مثل الشعراء، يتمتعون بحرّية كتابة ما يريدون كتابته، دون خوف من انخفاض المبيعات، أو اللّوم العام أو حتى المرّاجعات السيئة للكتب، نظراً لأن مجموعاتهم منشورّة بشكل أساسي في الجامعات، والمطابع الصغيرّة، التي لا تتم مراجعتها، عادةً، في أي مكان آخر غير المجلات، التي ظهرّت فيها القصص التي قامت بنشرها..
وهكذا تصبح هذه الكتب فضولاً لمؤرخين الأدب في المستقبل، حتى قبل طباعتها ككتب.

للقصّـــة القصـــيرّة الأمريكية تارّيخها الفريد، ونمط تطورّها. هذا التارّيخ والتطوّر لا يماثلان تارّيخ الرّواية الأمريكية، التي لا تزال مزدهرّة، برفقة زّخم واسع من النّوايا الجمالية.
القصّة القصيرّة الأمريكية، كشكل شائع، نسلها انقرض، فيما بقيت على قيد الحيّاة، فقط كشـــكّل فني، وإن كان هذا البقاء مرتبطاً بالهوامش الأدبية، لحرّكة الثقافة في أمريكا، إذ مما لا شك فيه، أن هناك ثمّة تَفضِّيل للرّواية بشكلٍ عام (وإن لم يكن مصرّحاً به)، إذ تُمنح الرّواية، مكانة أكبر من القصة القصيرّة والرّواية القصيرّة.
قد تكون القصـة القصيرّة الأمريكية خيالاً، لكنها ليست نفس النّوع من جنس الرّواية، مثل الرّواية الأمريكية.
يقول إريك مايلز ويليامسـون، في مقاله القصـير جداً: A Brief History of the Short Story in America الذي نُشر في ٢٧ أغسطس ٢٠٠٧ على صفحات موقع book critics "على الرّغم من أن القصـة القصـيرّة تُحظّى بمكانة أقل، إلا أنها تستحق أن تكون شـــكلاً، من أشـــكال الفن، يضـــاهي في مكانته مكانة الرّواية".
في هذا الكتاب، الذي هو عبارّة عن قصـــص جمعتها من على صـــفحات: American short fiction ومجلة Guernica وترجمتها من الانجليزية الى اللغة العربية. ركزت على القصـص التي تعبر عن التنوع الأميركي، بحيث نرى العالم ككل، بمختلف ثقافاته وأعراقه، تنطوي عليه أمريكا السّـــردية، فأمريكا فعلاً هي كذلك!
بعض هذه القصـــص تُرجم الى الانجليزيـة من لُغّـات أوروبيـة وآسـيوية، وبعضـها الآخر كُتب بالانجليزية في الأصـل، بعضـها

كتبه كتاب هاجروا من أوطانهم في مختلف أنحاء العالم إلى أميركا، وجميعها تعكس حال السّرد القصصي في العالم اليوم، باغراضه المتنوعة والمختلفة كالدين والجنس والسياسة والاحتفاء بالجسد والطبيعة، وقضايا النّوع والأعراق، والعلاقات الاجتماعية والعاطفية، إلخ.

كانت فكرّة هذا الكتاب في البداية، أنني أردت أن أترجم إلى العربية قصص الكتاب المهاجرين، ولكن رأيت بعد ذلك أن الأفيد ترجمة قصص معاصرّة، لكتاب معاصرين أغلبهم شباب، تعكس قصصهم حال العالم اليوم، والتطورّات التي حصلت في القصة والرّواية القصيرتين، خاصة مرّحلة جائحة كورونا، التي لا زلنا نعيشها، كمرحلة فاصلة بين عالمين.

يتكون هذا الكتاب الذي خصصناه للقصة القصيرة من ثلاثة أجزاء، نُصدر الجزء الأول منه الآن، على أن نوالي نشر الجزئين المتبقيين بعده، يتكون هذا الجزء الأول من:

قصة إبن الأم،"Mother's Son" لإف. ر. مارتنيز، F.R. Martinez،(٥) والتي يضعنا مؤلفها مارتنيز، في ذُروَّة الحدَّث مباشرةً منذ السطر الأول، متبعاً أسلوباً سردياً نفسانياً متوتراً.

فالقصة هي إفادات والدته، التي يحاول ملء الفرّاغات بينها، في تصويرّه علاقة معقدّة بين أم (جوستين) وإبنها الذي نجهل اسمه، كرمز لملايين الضحايا حول العالم عبر تارّيخه، والذين لا يعرّفهم أحد!

نحس ذلك الشجن، المحتشد بالتوتر والقلق والخوف، في اللازمة التكرارية: "إنهم جاؤوا في الليل".. إذ يتداخل في التدّاعي صوت الرّاوي، مع صوت أمه، وهي تحكي مأساتها.

وفيما تنتقل القصة بين زّمن اللحظة الحاضرّة، التي يستدعي فيها الرّاوي كل ماضيه، وأزّمنة متعددّة أخرى في الماضي والحاضر، باتساع ثلاث جغرّافيات مختلفة: إسبانيا، كوبا وأميركا، في تكسير شاعري -محتقن باللّوعة والعذّاب- لمستوّيات الزّمن وأصوات السّرد، وتضمينهما في الرّاهن/ الماضي الملتبس والمستمّر، والموزع بينه وبين أمه، التي تم اعتقال زوجها اليسارّي (خوسيه) بقيادة كاهن الكنيسة، ومن ثم قتله، وتعرّضها هي نفسها للاعتقال والتعذّيب "كان كاهن المدينة معهم.. كنت أعرف الكاهن.. قال إنه سيعيد خوسيه، بعد أن يتحدثوا إليه.. لكن لماذا تريد التحدّث معه في منتصف الليل؟ أنا سألت.. قال لي خوسيه، أن أبقى خارج الموضوع.. قال لي إنه عمل رّجال.."

فهربت بابنتها التي أنجبتها من خوسيه، في رّحلة طويلة تبدأ من إسبانيا فرانكو. وتمر بكوبا باتيستا، حيث تزوجت مرّة أخرى هناك.. في منفاها الكوبي، وأنجبت الرّاوي، الذي يحكّي لنا الآن، وقائع ما جرى في حيّاته وحيّاة أمه.

ابن الأم قصة تنضح بالقمع والقهر والمعاناة والغُربة، فالنّص مليء بالأحاسيس والمشاعر والصرّاع مع الذات والمجتمع والله، وانتقال الخوف من الأم إلى الابن حد التوحد والتماهي..

وورّاثة هذا الخوف بعد موتها، كتركّة وحيدّة خلفتها ورّائها.. "عشت الأشياء التي ستأتي في الليل، وتجدني خائف دائماً! ودائماً محتقناً بالأحلام والخيالات والأوهام! وتستمّر هذه الخيالات والأوهام تحاصرّني، بخسارّة والدتي لفترّة طويلة؛ بعد وفاتها.. إنها تستمّر. إنها.."

إنها أيضاً، قصة عن أولئك الذين يتسببون في عذّاب النّاس وقتلهم، دون اســـتحقاق القتل أو التعذّيب، ثم لا يتعرّضـــون للعقاب، إذ يعيشون حياتهم كأن شيئاً لم يحدث، وكأنهم لم يرتكبوا أي جريمة!

وفي قصـــة الوّغد، لبليك ســـانز Blake Calzones, ٢٠١٦ Sanz(٦) نجد الرّاوي (وهو صـحفي استقصـائي)، يقرّر برفقة والده (مانويل) وصديق والده (فيسنتي) تقصي ما حدث في مذّبحة تمت في المكســـيك عام ١٩٦٨، خلال تعقب الدور الذي لعبه أحد المزّارعين، الذي كان وقت وقوع المذبحة، شـــرطياً في مكافحة الشغب، بلانوش دي تلاتيلولكو، حيث وقعت المذبحة؛ التي اشترك هو شخصياً فيها بقتل الكثيرين!

وما بين تقصّـــي الرّواي لوقائع ما جرّى، يعيد بالتزّامن التأمل في علاقتـه بـأبيـه وأمـه، بعـد أن هجرهمـا الأب مبكراً، وتوّلـت أمـه تربيته.

في هذه القصـة نلاحظ الاحتفاء الخاص بالمكان، إذ توثق المشـاهد الطبيعيـة والمعـالم ووقـائع الحيّـاة اليوميـة، على طول طرّيق رّحلتهم، إلى حيث يُقيم المزّارع.

وكذلك تتناص أحداث الماضـي في هذه القصـة، مع وقائع ترتيبات كاسترو لقيام الثورّة الكوبية إبان طفولة والده هيكتور، وخلال ذلك يبدأ الرّاوي، في اكتشاف شخصية لم يكن يعرفها عن والده "وكان هيكتور، راوي قصص بارّع.. فقد رّوى العديد من القصص، التي تصـلح أي واحدة منها، أن تجعل منه كاتباً يسـعد بسـمعته: قصـص عن بائعات هوى؛ يُحاكمن مع أوكتافيو باز؛ في قصـــر عملاق، قبالة باسيو دي ماليكون في فيراكروز!..

قصـــص عن قنابل يدوية؛ مخبأة في فصـــل مدرســـة إعدادية في أدغال غيريرو؛ خلال المواجهة بين الثوار والجيش، الذي بســـبب أوامر سرّية؛ أعطيت له من وراء الكواليس، ارتكب المذبحة، التي كنت قد قمت برّحلة إلى المكســـيك، لأكتُب عنها!.. نّوع من القصص، التي لا تنسى!

النّوع الذي فشلت في العثور عليه حتى الآن، في مسيرّة كتاباتي المتواضعة.."

وهي إلى جانب كل ذلك، فضلاً عن كونها قصة مترّعة بالخذّلان والأسى، والشعور بالطفولة المنتهكة، فهي كذلك اكتشاف للذات من خلال حقيقة غائبة، فالرّاوي في ســـعيه لتقصـــي حقائق تلك المذبحة، التي جرّت قبل عقود عديدة، قاده هذا التقصّي، لاكتشاف جوانب مضيئة في شخصية والده، الذي لطالما رآه غير جدير بأبوته!

وفي هذه القصـــة موسـكوMoscow لداغ سـولستاد، Dag Solstad,translated from Norwegian by Becky L. Crook والتي ترجمتها من النرويجية إلى الإنجليزية :بيكي ل. كروك (٧) نجد هذا الرّاوي الغامض، يحكّي عن سفينة ركاب نيرويجية، غرّقت والتقطت سفينة صيد رّوسية بعض الناجين، الذين حالفهم الحظ فتمكنوا من البقاء على قيد الحيّاة، على متن أحد قوارّب النجاة!

تحكّي القصـــة عن الشكوك النرويجية، في التجسس الرّوسي، وانتهاكه المتكرّر للمياه الإقليمية، ويعكس ســـلوك طاقم ســـفينة الصيد، احتمالات صحة الشكوك النرويجية، في الدور الذي تلعبه

سفن الصيد، وخلال ذلك ينتقد الرّاوي العقلية، التي تحكّم الكرّملين.
القصّة تتحرّك في مستويين سّرديين: المستوّى المتكرّر حول أحداث غرّق السفينة، ووقائع ما جرّى للناجين، التي يستهلها الرّاوي دائما بلازمة تكرارّية، أشبه باستهلاليات شهرزاد في الحكّي لشهريار كل ليلة (بلغني أيها الملك السعيد) ففي هذا المستوى السّردي، يستهل الرّاوي الحكّي ب(يقال)..
فالرّاوي لتفادي المساءلة، يخدعنا بمنحنا انطباع، أنه يحكّي حكّاية شعبية أو أُسطورّية، خلال توظيف الشائعات! وأنه ليس بإمكاننا الاستيثاق من صحة ما يرويه!
ومن ثم ينتقل بعد إكمال ما يُقال، إلى المستوى السّردي الثاني، حيث يعطينا معلومات حقيقية موثقة.
اللُغَّة شاعرّية، محتشدّة بالمجازات، Metaphorical وكذلك تتخللها سُخرّية تجسدها تعليقات الرّاوي، والمواقف التي يتعرّض لها الشخوص، وأحيانا تتخلل الوصف "يُقال، أنه عندما تم ذكر كلمة موسكو، تفشى شعور بعدم الارتياح، في وسط الناجين.. (موسكو!)..
لقد رأيت قطار موسكو السرّيع، في المحطة.. موسكو لديها سيارّات خضراء، كُتب على لافتات بجسمها الممتلئ: موسكو- أوسلو..
كانت إحدى هذه السيارّات، محمّلة بالحصّى في القطار اليومي، الذي يربط جوتنبرج - بأوسلو. كنت قد سافرت بهذا القطار، واستنشقت الرّائحة الغرّيبة لليوسفي والتوابل، ولاحظت أن

أرضـيات ممرّاته، مغطاة باللّون الأحمر الداكن والسـجاد النّاعم، حتى يتمكّن الرّكاب من المضي قدماً، دون إصدار صوت!"
فالرّاوي جعل من موضوع سفينة الصيد الرّوسية، مناسبة استغل خلالها، كل سـانحة ممكنة، لتوجيه نقد لاذع، لعقلية الحزب الشيوعي الرّوسي.
وفي القصـة نحن هنا، ،We are here لايسـيجول سـافاس، Aysegul Savas(٨) نجد الرّاوية، عبر لُغّة شعرّية محتشدّة بالمجازّات ومشـاعر الحنين، تسـتعيد ذكرياتها، في فترّة حيّاتها كطالبة أجنبية في رّوسيا ما بعد الحقبة السوفياتية "عشت مع غالينا إيفانوفنا، وهي امرأة عجوز بشـعرٍ برتقالي، يتطابق لونها مع الأزّهار الصغيرّة، على فساتينها القطنية.
كانت تسير في الممّر، طوال اليوم صعوداً وهبوطاً، وتطبق على خلّية متنامية من الأكياس البلاسـتيكية، التي تتدّلى من مقبض المبرد، وتضع بقايا الطعام في الثلاجة أو الشرفة، ثم تغير أماكنها دون سببٍ واضح.
خمنت أنها كانت في الثمانينيات من عمرها، لكن بدا النّاس هنا أكبر من سنواتهم. (أطلقنا على هذا الأمر "التحوّل الرّوسي" كل الفتيات الشقراوات النحيفات، يتحوّلن بين عشية وضحاها إلى بابوشكا.)"، فهذه القصـة أشبه باعتذار لهذه المرأة العجوز التي تسـتضـيف الطالبات، ليتعلمن اللُغّة الرّوسـية، ومفردات الحيّاة اليومية، من خلال السُـكنّى معها، إذ رُّغم لطفها وقلبها الكبير الودود، تشكوها هذه الطالبة، وتقرّر الرّحيل من منزلها، للسُكنى مع مضيفة أخرى، غير طاعنة في السن!

وفي هذه اللحظة بالذّات، تمرض الطالبة، وتتولى العجوز رّعايتها بتفان ومحبة!

إنها قصـة إنسـانية عميقة الدلالة، في التجارّب الانسـانية الجديدة، التي يخوضـها الانسـان في المرّحلة، التي تسبق نضـجه الوجداني والفكري، وهي في انسـيابيتها أشـبه بقصـيدّة عذّبة يتخللها الحكّي الآسيان، الذي يحفر في الذّكرى أخاديداً عميقة!

وفي قصـة قضـيّة حرّجة، لواي زي تشين Edge Case، YZ Chin(٩) تدور الأحداث في مطار جون كنيدي نيويورك. حيث تحكّي القصّـــة عن الإجراءات الأمنيـة المعقدّة، التي يواجههـا المهاجرين في المطارات الأمريكية، لحظة وصـولهم، خاصـة بعد أحداث الحادي عشـر من سـبتمبر، وتصـاعد الإسـلاموفوبيا، والتميّيز على أساس الدّين والعِرق.

فخلال زّوجين يتحركان بين إحداثيات مكاتب الأجهزّة الأمنية في المطار، تكشـف الرّاوية عما تتعرض له الأقليات الإثنية والدينية، والاضطراب والبلبلة في الأفكار، التي تنتاب المرء، وهو يتعرّض للتوقيف، فيبدأ يفكر في احتمالات ما كانت لتخطر على باله، لو لم يتعرّض لمثل هذا الموقف، الذي لا يسـتطيع حتى مجرد فهم، أو إدراك لماذا تعرّض له "عند الشـعور بالتهديد، يقوم بعض النّاس بتدمير أنفسـهم، بدلاً من السـماح لأنفسـهم بالدّمار. أو ينقلون هذا الشـعور بالعجز إلى شـخص آخر، على أمل اسـتعادّة بعض القوّة. رُبما كان هذا ما حدث. جعلت أمريكا مارلين يشـعر بأنه غير مُرّحب به، ولذلك تركني..." فهذان الزوجان القادمين من هونج كونج، يتعرضـان لنّوع من التمييز، مما يجعل الزّوج في خاتمّة المطاف، تحت وطأة الضـغط العنصـري، من قبل موظفي المطار،

وفي الحياة العامة، يتخذ موقفاً من زّوجته ويهجرّها، لاعتباره لها -حسب تفسيرها- أنها أحد الأسباب فيما تعرّض له".. مشرعي هذه القوانين لا يدركون جيداً مدى تأثيرها على الأبرياء، للدرّجة التي قد تدّمر حياتهم!

لا شك أن القصّة تستدّعى أيضاً، مُناخ حيّاة السود مهمة Black lives Matter وأوضاع المهاجرين في أمريكا، في إدانة هُتافية نوعاً ما لما نطلق عليه هنا في أميركا السيستم System أي شبكة القوانين والنُظُّم واللوّائح، التي تتحكم في كل شيء، وتُوهم المواطن بأنه حر، فيما هو ليس كذلك في الواقع!

وفي قصة الأميرة باري، لهونج سوك يونج ،Princess Bari An excerpt of the novel by Hwang Sok-yong, translated from the Korean by Sora Kim-Russell

التي ترجمتها عن الكورية إلى الإنجليزية سورا كيم راسل (١٠) تناقش الرّاوية مشكلة النّوع في المعتقدات والثقافة الشعبية الكورية الرّاسخة، خلال أسرّة لم تحظى سوى بالمواليد الإناث، ما يجعل الأب مستاءً، حتى إنه يشرع في قتل المولودة الجديدّة، لكن تنقذها الجدّة!

والجدّة كرمز لحفظة التارّيخ والثقافة، تقوم عملياً من خلال موقفها، بنقض هذه الثقافة الرّاسخة، وإزّاحة عدد من مفاهيمها، بدءاً بالسعي لإنقاذ المولودة، مروراً بإعطاء المولودة اسماً، بعد أن تجاهل والديها عمداً، اعطائها اسم.

تخشى الزّوجة أن يعلم زوجها أن المولود هذه المرّة أيضاً أُنثى، فتحاول قتل المولودة، برميها في غابة قرّيبة من المنزل، لكن

الكلبة التي كانت تتبعها، تقوم بإنقاذ الطفلة بحملها بين فكيها، وإعادتها إلى المنزل، وحفظها في بيتها الصغير، لتكتشف الجدّة بعد بحث مضن، أن الكلبة أنقذت الطفلة، واحتفظت بها في بيتها "فاجأتها كلبتنا (هندونجي) بإخراج رأسها من بيتها الخشبي الصغير، وهي تحدّق فيها. فانتبهت لها، واستدارّت تُمعِّن فيها النّظر، ولفتت الكلبة انتباهها بتحويل عينيها، إلى رّكن صغير من البطانية، التي لفتني بها أمي في لحظة يأس، فاندفعت جَدّتي إلى بيت الكلبة، وألقت نظرّة خاطفة إلى الدّاخل..

كانت هندونجي مستلقية، وأنا قربها أرقد في هدوء. قالت جَدّتي أيضاً، إن عيني كانتا مغمضتين، وكنت أتنفس بانتظام في نّوم طفل غرّير!

لابد أن هندونجي، قد تسلّلت من مسافة كافية، خلف والدتنا، عندما غادرّت المنزل للتخلص مني، دون أن تشعر بها والدتنا.. ثم تتبعت رّائحتي، حتى وجدتني بين الشجيرّات، فالتقطتني برفق بين فكيها، وحملتني إلى المنزل.

"أيغو، هندونجي كلبة طيبة! هذه الطفلة هبة أُرسلت إلينا من السماء، أنا متأكدة من ذلك!.. ربما لهذا السبب شعرت عندما كنت صغيرّة، بأنني أقرب إلى جَدّتي وكلبتنا هندونجي"

إنها قصة مؤثرة جداً في كون أن الحيوان أكثر نبلاً في مشاعرّه من الإنسان أحياناً!، والاسم الذي اختارته الجَدّة للطفلة (الأميرة باري) منتزع أيضاً من التّراث الكورّي أو الصيني، فقد تعرّضت الأميرّة صاحبة الاسم، في الحكاية الأصلية أيضاً للهجر!

تطلعنا هذه القصة كذلك، على كثير من مفردات التّراث والثقافة الكورّية.

وفي قصة إيلاج لتيان يي لي (لوجاسيك Penetration، By Tien-Yi Lee تمضي بنا الرّاوية في مسارّب التجارّب السرّية، التي لا تفصح النساء عنها، ف (سولي) رّاوية القصة، تتبع في مسار زّمني خطّي، رّغباتها وتجارّبها الجنسية منذ فترّة المرّاهقة، حتى اكتمالها في لحظة الحكّي الرّاهنة، حيث نكتشف بصورّة مبهمّة، عبر الجدول الزّمني الذي وضعته بين حدين: سن (الخامسة عشرة، وحتى الحادية والثلاثين) إن أولى تجاربها كانت مع عمها، الذي كان وقتها في (الثامنة عشرّة)، فيما كانت هي في (الخامسة عشرّة).

وانطلاقا من تجربتها الأولى مع عمها، في فترّة المرّاهقة، تبدأ رّغباتها تتطوّر، وتجارّبها تترّاكم، عبر جدول زّمني جنسي، تتناول فيه هذه الرّغبات والتجارّب، وصولاً لسن الحادية والثلاثين، التي تعيشها الآن!

في حوار مع الكاتبة، أجرته ماريان عمون لأميركان شورت فيكشن، تعلق ماريان "إنها قصة صعبة، حول الضرر؛ الذي لا يمكن إصلاحه أو تحمله، ولكنه مفيد أيضاً، وجميل جداً جداً.

إنها واحدة من تلك القصص، التي تسكن العالم للحظة، وتترّك القارئ، كما نأمل، يتأمل في صمت.. هذا الشيء الجديد والمعقد..

وتقول لوجاسيك في معرض أحد الردود، أن التسمية "إيلاج"، بدت لها وكأنها الرّمز المثالي للتحرّر من الجسد "(فقد كان لدي صديق في المدرّسة الثانوية، يحب طرح أسئلة من نوع: "ماذا ستفعل إذا كان لديك أربعة وعشرين ساعة فقط للعيش؟" (نعم، كان الجنس هو إجابتها). وكنت قد كتبت مجموعة من الملاحظات،

لكتابة قطعة أخرى، يتبادل فيها مخطوبين قصصاً عن عشيقيهما السابقين.
كنت أحاول أن أفكر في الأسرّار الدّقيقة، أعني الأشياء التي لن يذكرها شخص آخر أبداً، مهما كان محدثه قريباً منه. ومن هنا بدأت شخصية سنجين سيمور، كواحد من تلك الأسرّار.. أحببت العُنوّان "إيلاج" وأردته أن يضيف إلى القصة. ومن أجل القيام بذلك، كنت بحاجة إلى الأحداث؛ في طفولة سولي، لتؤثر عليها طوال حياتها.
ولكن على الرُّغم من مرونتها كشخصية، لا تزال هناك عناصر معينة من ماضيها، لا تستطيع الهروب منها.. وهكذا تشكّلت القصة القصيرّة إيلاج؛ حول هذه الفرضية"
ماريان: هذه قصة صعبة. إنها جميلة ومكتوبة بمهارّة عالية للغاية، وصعوبتها تكمن في الموضوع الذي تعاملت معه. إذ تأخذ القارئ؛ إلى منطقة مظلمة جداً.. منطقة المسكوتات والتابوهات، فهل شعرت أن هذا سيتسبب لك في متاعب؟
لوجاسيك: لقد أُعجبت بمجموعة قصص ميراندا يوليو (لا أحد ينتمي إلينا أكثر منك) بسبب غرّابة شخصياتها ومواقفهم. من الصعب الحصول على خيال عظيم. يكتب كريس أدريان الكثير عن الأطفال المرضى، وأنا معجبة بقدرّته على الانحرّاف إلى الخيال، دون أن يُفقد قصته جوهرها وإنسانيتها. لقد أُعجبت بجنيفر إيجان، في مجموعتها زيارّة من فرقة البلهاء. إذ تستخدم قصتها "رّحلة صيد" منظوراً شخصياً كلي العلم، وغالباً ما تنتقل بين الشخصيات العديدة، في مساحة ضيقة جداً، كما تغامر أيضاً،

بالدخول إلى مواقع غريبة إلى حد ما. لكنها شـخصـيات تم بنائها بمهارّة شديدة. اعتقدت أنها كانت بارّعة.
وبصـورّة عامة، أميل إلى قراءة الكثير من القصـص والرّوايات حول الدنيوية، ورُبما لا يزال كاتب القصة القصيرّة المفضل لدي، هو ريموند كارفر. أحب الكتابة البسيطة والجميلة.
ماريان: الشيء الذي أحببته كثيراً في قصتك إيلاج، هو الإحساس الدقيق، بالتسلسل الزّمني لدى القارئ.. الإحساس بالتارّيخ ومرور الوقت -وهو أمر جدير بالملاحظة، في قصـة قصـيرّة جداً، مثل إيلاج.. هل يمكنك التحدث قليلاً، عن كيفية إنشـاء الجدّول الزّمني لهذه القصـة، ولماذا شـعرّت بأهمية بناء الزّمن بشـكل خاص جداً في هذه القصة؟
لوجاسـيك: أعتقد أن هذا يعود إلى العُنوّان مرّة أخرى، كلحظة تسـبق الذروّة، فهي لحظة زّمنية مكثفة، كذلك اعتقدت أنه من المهم، أن أرى تأثير الأحداث في طفولة سولي، على هذه اللحظة، وعلى سولي طوال حياتها.
وفي قصـة المسـاهمات، لبيمي أغودا، Contributions، (١١) Pemi Aguda' نجد القاصة قد وظفت أحد قوانين الثقافة الأفريقية التكافلية الرّاسـخة، أو ما يُعرف لدينا في السـودان ب(الصندوق) أو (الختة)، أو (الجمعية) وهو مبلغ محدد يساهم به عدد من أعضـاء المجموعة، لتجميعه واعطاءه لشـخص واحد، يعالج به مشاكله.
ثم يساهم مع الأشخاص أنفسهم، ليعطو المجموع للشخص الذي يليه..

وهكذا إلى أن تنتهي قائمة أعضاء المجموعة، فيبدأون تدوير مساهماتهم من جديد، وهو أشبه بنظام اشتراكي، لتلبية احتياجات المجموعة الملتزمة داخله، حول هذه القيمّة الاجتماعية، في الثقافة الأفريقية، تدور قصة المساهمات، باسلوب شيق محتشَّد بسخرّية مرّيرة "قمنا بتقيّيم حياتها، والتحقق مما يمكننا الاستيلاء عليه، وما يمكن أن نأخذه منها، حتى تفهم خطورّة هذا الالتزام. لم نجد عندها شيئاً في القرّية، سوى زّوج بائس وأم عجوز!

ومع ذلك قبضنا على الزّوج! للأسف، كان عديم الفائدة في منازلنا. جلس مع أزواجنا، وبطنه الكبير بتأثير البيرّة كبطونهم.. كلهم كانوا يرتجفون بشكل هُلامي في مرّح، وهم يحكّون لبعضهم النّكات البغيضة!"

تناقش بيمي اوغادا قضايا كبيرّة في هذه القصة، فهي تنتقد النظام المصرّفي، والحيّاة الاجتماعية والأزواج، ومفهوم العبء الذي يصل إلى أقصى مرّاحله، حتى تصبح ذواتنا نفسها عبئاً علينا، فالقصة دعوّة لاستنهاض قيّم إيجابية فاعلة، في المجتمع، كقيمّة المساهمات لحل مشاكل النّاس، بدلاً عن تركهم لليأس، الذي قد يدّمرهم، أو يدفعهم لبيع أعضائهم، إذ لم يعد النظام الاقتصادي في أفريقيا، موثوقاً فيه لتلبية احتياجات النّاس!

وفي قصة لوائح أفريقيا، لإك أوسوندو Enacting Africa, EC Osondu (١٢) وباسلوب ساخر تتفشى فيه روح الدُّعابة والمرّح، تقودنا اوسوندو في عالم الاستثمار خلال مزرعة يتنافس فيها الموظفين، على ضوء قوانين ولوائح صارّمة، لكسب وارضاء العملاء، حيث تتقاطع في المزرّعة قوّى الاستثمار العالمي الصاعدة (الصين) وأفريقيا كموضوع لهذا الاستثمار،

وتناقش القصة عالم الديكتاتورية الوظيفية، إذا جاز التعبير، وفشل بعض الموظفين في هضم هذه الديكتاتورية "نظرت حولي، مسحت طول قاعة الطعام وعرضها، بحثاً عن لينغ.
كانت تجلس بمفردها في الزّاوية. كانت مثل الطفل الذي لا يحظى بشعبية، في المدرّسة، فيجلس بمفرده أثناء الغداء، ويبدأ يتكوّن داخله مستقبل قاتل متسلسل!
كان بإمكاني رؤية عشاءها، على طبقها من الستايروفوم.. كانت جزرّة صغيرّة واحدة. كانت تتناول جزرّة صغيرّة واحدة على الغداء!.. هذا يعني أنها تتناول من الجزر، أقل مما تتناوله أرنب مليئة بالحيوية والنشاط!..
كانت بحاجة إلى رفع معنوياتها. كانت بحاجة إلى حديث حمّاسي. كانت بحاجة إلى نفخة صغيرّة من الهواء تحت جلدها، لتفرد جناحيها السحريين وتطير!. من الأفضل أن يعطيها، شخص ما الأمل، شخص مثل هذا الرّجل الذي ألقى للتو خطاباً رائعاً محتشداً بالمعنويات؟
ومع ذلك، وبينما كنت أسير باتجاه طاولتها المنعزلة، وقفت وابتعدت، وعيناها على أرضية غُرّفة الطعام المليئة بالحيوية".. ما هو لافت للنظر، المعالجة الرّشيقة والساخرّة لقضايا يصعب تطويعها لهذا القالب.
وفي قصة إرتفاع عالي، لفرانسيس دي بونتيس بيبلز (١٣) High Rise، Frances de Pontes Peebles يعاني الرّاوي من ضغوط المناخ الذي خلقته جائحة كرونا، فيبدأ يحكي عن أسرّته وجيرّانه وسكنه، وعمله كطبيب أمراض جلدية، فيما يشبه الهذّيان والثرثرّة، بلُغّة لا تخلو من روح الدُّعابة والمرّح

والتهكم والسـخرّية، يرصـد عبر هذه اللُغّة بتأثيرها الانطباعي القوّي، ردود الأفعال، التي سبقت ورّافقت واحاطت وتلت، سقوط طفل من بلكونة إحدى الشقق، الأمر الذي أدى إلى وفاته.
تغوص هذه القصـة المميزّة، في الطبقات البعيدة للسـلطة، سـواء كانت أسرية أو إجتماعية أو سياسية أو تنفيذية أو اعلامية، إلخ.. في سبيل تحديد مسؤولية سقوط هذا الطفل، للإجابة على سؤال: على عاتق من تقع هذه المسـؤولية؟ لتترك للقارئ في خاتمّة المطاف أن يكون شريكا في تحديد المسؤول!
وهي قصـة تشـرّيحية عميقة، تناولت حدود الحرّية والمسـؤولية الفردية، بصورّة ساخرّة غير مسبوقة "وعندما اشتكى السكان، من أن رّائحة بئر السـلم الرّئيسـي تشـبه رّائحة البول، بقيت متأخراً، حتى أُمسـك بأسـتاذ الفلسـفة سـاكن الشـقة ٦٠٢ وهو يتبول في الدرّج، لأنه كان يعتقد أن (حرّية التبول) من حرّياته الأصـيلة، حسب الدستور!
حسـناً، لقد وجدت له مكاناً سـرّياً مناسـباً، وأقل مركزية، ولا يتعارّض مع الدّستور، بإمكانه أن يمارّس فيه "حرّيته" ويتفلسف كما يشاء!.."
كما تغوص القصة في طبقات النفس البشرية، وهي تعاني عذّابات الضمير أو أحاسيس الفقد ومشاعر الخسارّة! التي تزيدها فوضى الإعلام بأحكامه المستعجلة تعقيداً!
وفي قصـة البحر الداخلي، لمادلين واتس (١٤) The Inland Sea ، Madeleine Watts،
تقودنا مادلين واتس، في دهاليز عالم عاملة مقسـم، لتحويل مكالمات الطوارئ، لنتعرف على ما يقع من حوادِّث، وردود أفعال

المواطنين تجاهها "في النّهاية استجابت سيارّة الإسعاف. وفي النّهاية هدأت صفارّات الإنذّار. في أول فترّة لي ما بعد الظهيرّة، في ثلاثة أصفار، تلقيت مكالمات من سائقين غاضبين، رّجل عجوز يعاني من آلام في الصّدر، امرأة بيضاء لم تحب مظهر الأولاد البني في الزّاوية، ومرّاهقين يمارّسون الجنس بعد المدرّسة، وامرأة تختبئ من حبيبها السابق تحت السرّير، وأم بيضاء أصبح طفلها أزرّق.

كانت المكالمات الهاتفية، تأتي من كل مكان في البلاد، في كل وقت من اليوم. في غضون بضعة أشهر، تعلمت تهجئة أسماء جميع البلدات الصعبة، بغض النظر عن عدم معرفتي بموقعها على الخرّيطة!"

والقصة لا ترصد الحوادّث التي تقع في مجتمعات القارّة الاسترّالية فحسب، بل ترصد أيضا بشكّلٍ متزّافق، التحوّلات التي تعتمِّل في الجُغرّافيا الطبيعية، والمُنّاخ "قالت إن الأنهار الجليدية بدأت تذُّوب. وأومأت برأسي. سيرتفع البحر بمقدار مائة متر، ورُّبما أكثر. كانت جُزُر المالدّيف تغرّق بالفعل تحت السطح. كانت المحيطات محمضة. سرعان ما بدأت حكومة الولاية في تكسير الحوض الارتوّازي العظيم، مصدر الميّاه الجوفية، الذي غطى رُّبع القارّة، الظل الحقيقي للبحر الدّاخلي الأسطورّي، الذي افترض القرن التاسع عشر بجدية، أنه موجود هناك. سوف تسمّم الميّاه. سوف تجف الأرض. ستهتز الأرض. لم يكن هناك عودة إلى الوراء. وأشارّت مرّة أخرى إلى هؤلاء الأغبياء، كل ما يهتمون به، هو كرّة القدم والغداء. أومأت مرّحبة، عليك الرّد

خلال ثلاث ثوانٍ، كما تعلمين، لقد أشـارّت إلى الشـاشـة، حيث تم عرض رمز المكالمة الوارّدة"

وفي قصـــة الذِّهاب، لإليزابيث مكراكين (١٥) The Get-Go Elizabeth McCracken

نقرأ عن علاقة حب مرضية تجمع بين أم (ليندا) وإبنتها (سادي). التي تنهض في ذكرى مبهمّة بعيدة لأب متوفى، تظل تلقي بظلالها على حياتيهما.

هوامش:

(١). موبي ديك أو الحوت الأبيض (Moby-Dick, or The Whale) رّواية رومانسية رّمزية في رؤيتها للعالم، من تأليف هيرمان ميلفيل، الذي مزّج فيها بين المغامرّة والحقيقة والخيال، مستعيناً برموز من الكتاب المقدّس. وصدرّت موبي ديك كرّواية مطبوعة في أواسط القرن التاسع عشر في العام ١٨٥١، إلا أن الاكتشاف الحقيقي لمعاني موبي ديك الرّمزية العميقة، جرى بعد أكثر من ٧٠ عاماً على صدورها، وكان ذلك في سنة ١٩٢٠ عندما تعرض لها النقد الأدبي، ليكتشف معانيها الإنسانية والفلسفية العميقة، وبأنها ليست مجرد رّواية مغامرّات مشوّقة ومثيرّة.

(٢). مغامرات هكلبيري فين، رّواية من تأليف مارك توين، نُشرّت في كانون أول من العام ١٨٨٤. كُتبت باللُغّة العامية، ذات الصبغة الشعبية المحلية. بصيغة ضمير المتكلم يرويها (هاك فين) أحد أصدقاء توم سوير، الرّواية محتشدّة بالوصف والحيوية، للأشخاص والأماكن على طول نّهر الميسيسيبي، وهي رّواية نقدية للمجتمع الأمريكي في الجنوب قبل الحرب الأهلية، إذ توجه نقداً لاذعاً لبعض التوجهات السائدة وقتها، وخاصة التمييز العرقي.

وتعد صورّة هاك وصديقه جيم، الذي كان عبداً هارباً من سيدّه، في رحلتهما على نّهر الميسيسيبي على الطوف، أجمل رّمز لمفهوم الهروب والتحرّر، من رّبقة العبودية، في جميع أعمال الأدب الأمريكي.

اشتهرت هذه الرّواية بين جمهور القراء، منذ صدورها حتى الآن، إذ ظلت موضوعاً للبحث والدرّاسة لدى العديد من النقاد الأدبيين.

(٣). يُعتبر هنّري جيمس أو إم (١٥ أبريل ١٨٤٣- ٢٨ فبراير ١٩١٦)، من الكتاب الانتقاليين الرّئيسين، بين الواقعية الأدبية والحدّاثة الأدبية، من أعماله البارزة The American The Turn of the Screw كذلك اشتهر بعدد من الرّوايات، التي تتناول التفاعل الاجتماعي والزّوجي، بين المهاجرين الأمريكيين، والإنجليز والأوروبيين القاريين. كرّواياته: The Portrait of a Lady صورة السيدة وThe Ambassadors السفراء وThe Wings of the Dove أجنحة الحمامة.

كانت أعماله اللاحقة تجرّيبية بشكل متزايد، في وصف الحالات الذّهنية الدّاخلية والديناميكيات الاجتماعية لشخصياته، وغالباً ما استخدم جيمس أسلوباً تتدّاخل فيه الدوافع والانطباعات الغامضة، أو المتناقضة أو المتداخلة، في مناقشة نفسية الشخصية. نظراً لغموضها الفريد، فضلاً عن جوانب أخرى من تكوّينها، فقد تمَّت مقارّنة أعماله المتأخرّة، بالرّسم الانطباعي.

اكتسبت رّوايته القصيرّة The Turn of the Screw شهرّة كبيرّة، باعتبارها أكثر قصص الأشباح تحليلاً وغموضاً في اللُّغّة الإنجليزية، ولا تزال أكثر أعماله تكيفاً، على نطاق واسع في وسائل الإعلام الأخرى. كما كتب عدداً من قصص الأشباح الأخرّى، التي تُحظّى بتقدّير كبير، ويُعتبر أحد أعظم كتاب هذا المجال.

(٤). ويليام كوثبيرت فوكنر (٢٥ سبتمبر ١٨٩٧ – ٦ يوليو ١٩٦٢) أحد أكثر الكتاب تأثيراً في القرن الماضي. تميزّت أعماله

بمساحة ملحوظة من تنوع الأسلوب والفكرّة والطابع. وقد استلهم فوكنر معظم أعماله من مسقط رأسه، ولاية ميسيسبي، حيث يُعد أحد أهم كتاب الأدب الجنوبي بالولايات المتحدة الأمريكية، وينضم إليه في نفس القائمة مارك توين، وروبرت بين وارين، و فلانري أوكونور، وترومان كابوت، وتوماس وولف، و هاربر لي، وتينيسي ويليامز.

وكان فوكنر قليل الشهرّة قبل فوزّه بجائزة نوبل للأدب لعام ١٩٤٩ بالرُّغم من أن أعماله نُشرّت منذ ١٩١٩ وفي عشرينات وثلاثينات القرن الماضي. من أعماله: Soldier's Pay، (مرتب الجندي)، عام ١٩٢٦، Mosquitoes، (البعوض)، ١٩٢٧، Sartoris، (سارتوريس) ١٩٢٨، الصخب والعنف أو الهرّج والمرّج The Sound and the Fury ١٩٢٩، بينما أرقد في حضرّة الموت ،As I Lay Dying عام ١٩٣٠ أبشالوم أبشالوم! Absalom! Absalom عام ١٩٣٦، الملاذ Sanctuary عام ١٩٣١، ضوء في آب، Light in August، ١٩٣٢، اهبط يا موسى، Go Down Moses، حكاية A Fable ١٩٤٥، وهي أطول رّواياته، الدبّ، The Bear، وردة لإيميلي، A Rose for Emily،

(٥) الكاتب والملحن الكوبي المولد، الأميركي الجنسية ف. ر. مارتينيز، هاجر إلى الولايات المتحدّة، نتيجة الثورّة الكوبية. نشأ في ميامي، ثم انتقل إلى مدينة نيويورك للدرّاسة، في معهد جوليارد لفنون الأداء، حيث درّس مع ديفيد ديموند، وتخرّج بدرّجة البكالوريوس.

قام بتأليف الموسيقى للسينما والتلفزيون والراديو والمسرّح. حصل على جائزتي إيمي (بالاشتراك مع فريق الكتابة في تلفزيون ورّشة الأطفال، وجائزة جرامي لألبوم شارع السمسم الموبالوزا في عام ١٩٩٨، والذي أدى فيه أغنيته: Mambo I، I I" التي غنتها جلوريا استيفان.

عمل مع العديد من الشخصيات البارزة الأخرّى، مثل سيندي لوبر وسيليا كروز وتيتو بوينتي وتريني لوبيز، والعديد من نجوم الموسيقى اللاتينيين في أواخر القرن العشرين.

في عام ١٩٩٨، إلى جانب الكاتب لويس سانتيرو، حصل على جائزة ريتشارد رودجرز، التي قدمتها الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب، عن مسرحية أطفال باريو الموسيقية.

كذلك عمل مارتينيز لصالح ديزني، في برنامج "ماني المفيد" كمؤلف موسيقي، وأكمل موسيقى وأغاني خلفية لـ مائة عرض. كما تم ترشيح "هاندي ماني" لجائزة إيمي في عام ٢٠٠٩. مع أوركسترا تشارلستون السيمفونية.

عمل مارتنيز على العديد من المشاريع، بما في ذلك مشروع داريوس روكر. وظل مبتكر الخيال في الشعر، منذ أن كان في الثانية عشرّة من عمره، ولم يعد أكثر جدية في الكتابة السّردية، إلا في هذه السنوات الأخيرّة.

في عام ٢٠١٦، وجدت قصيدته "ثلاثمائة دقيقة" تنويهاً مشرفاً من القلم الأمريكي. أكمل في السنوات الخمس الماضية أكثر من مائة قصيدة، وخمس رّوايات؛ بالإضافة إلى عدد من القصص القصيرّة.

قُدمت قصـته Mother's son التي اسـتهللنا بها هذا الجزء من كتابنا في القصـة القصـيرّة، من قبل إميلي شـماه في ١ أغسـطس ٢٠١٩، في موقع القصـــة الأمريكية القصـــيرّة؛ بقولها: "جويس كارول أوتس، التي اختارت قصة ف. ر. مارتنيز، للحصول على جائزة هذا العام، لها تارّيخ طويل مع أدب الســـجون، نثرّته في قصصها، وغرّدت به، وهي تحكّي عن ظروف المساجين السيئة. حررّت جويس مجموعـة من القصـــص، عن رّجـال ونســـاء مســـجونين، واحدة على الأقل من هذه القصـــص محظورّة، في بعض المؤسسات. لذلك كان قرار جائزة القصة القصيرّة الأميركية لعام ٢٠١٩، بتخصيص الجائزة للكتاب المسجونين، قراراً مثالياً.
في فئة القصـــة القصـــيرّة، أُختيرّت هذه القصـــة "ابن الأم"، التي وصفتها لجنة الجائزة، بأنها قصة "مكثفة، غنائية، متررّعة بالحنين، أشبه بقصيدة نثرّية للذاكرة والندّم"، كما سنرى في سيرّة مارتنيز الذّاتية.
أمضـى مارتنيز وقتاً طويلاً، من حياته المهنية خارج السـجن، في تأليف الموسيقى.. وهناك بالفعل شيء موسيقي في نثرّه، والطرّيقة التي يصـــوّغ بها العبارّة، ويجعلها أكثر ثراءً؛ وذّات مغزّى من خلال التكرّار".
جويس التي اختارّت هذه القصـــة، هي مؤلفة مشـــهورّة لأكثر من خمسـين رّواية، وحصـلت على جوائز وأوسـمة وطنية ودولية عن عملهـا، بمـا في ذلـك جـائزة الكتـاب الوطني، وميـداليـة العلوم الإنسانية الوطنية، وجائزة القدس.
(٦) نُشـرت هذه القصـة لبليك سـانز في أميركان شـورت فيكشـن، بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٢١؛ بعنوان: Cazones ,٢٠١٦

تم اختيار مجموعة قصـــص بليك ســـانز (حدود مســـكنهم) التي تحتوي على هذه القصة، من قبل براندون تايلور للفوز بجائزة أيوا للقصة القصيرّة للعام ٢٠٢١ وكانت قد نُشرّت في أكتوبر.
نُشـرت قصـص سـانز في مجلات ايكوتون وبويرتو ديل سـول والأربعاء الخامس ومجلات أدبية أميريكية ولاتينية أخرى. يُدرس بليك سانز الكتابة في دنفر بولاية كولورادو الأميريكية.
(٧) ترجمت هذه القصـة (موسـكو) من النرويجية إلى الإنجليزية: بيكي ل. كروك، ويعد كاتبها داغ سـولستا، أحد أبرز القصـاصـين المعاصـرين في النرويج، قوبل باسـتمرار بإشـادة كبيرّة من النقاد، وكثيراً ما تم ترشـــيح أعماله لجوائز. وهو المؤلف الوحيد، الذي حصـــل على جـائزة النقـاد الأدبيين النرويجيين ثلاث مرّات. تم إدراج رّواياته الثلاثة المتوفرّة باللغة الإنجليزية، في جائزة الخيال الأجنبي المســتقل الأمريكية. وهذه القصـــة، "موســكو"، هي من مجموعته القصـصـية المبكرّة (سـفينغسـتول) التي أصـدرها سـنة ١٩٦٧.
بيكي ل. كروك، التي ترجمت هذه القصـــة من النرويجيـة إلى الانجليزية، هي كاتبة ومترجمة أدبية. أســســت في عام ٢٠١٠، مجلة رّمل الأدبية الإنجليزية في برلين، وقادت ورّش عمل للكتابة الإبـداعيـة في هولنـدا لمـدة عـامين، قبـل أن تعود إلى الولايـات المتحدة.
وهذه القصـة من مشـارّيع الترجمة التي أنهتها مؤخراً، تعكف الآن على كتابة رّوايتها الأولى. وتعيش مع عائلتها في جزيرّة، بالقرب من سياتل.

(٨) ايسيجول سافاس، كاتبة مقيمّة في باريس. رّوايتها الأولى، "المشي على السقف"، صدرّت عن دار ريفرهيد.
(٩) واي زي تشين، مؤلفة قضية حرجةEdge Case ، هي قاصة من طراز رفيع، اشتهرت بمجموعتها "على الرغم من أنني أعود للمنزل"، والتي فازت بجائزة Louise Meriwether First Book وجائزة آسيا/المحيط الهادئ الأمريكية للأدب. نُشرت كتاباتها في Harvard Review وGulf Coast وSomesuch Stories وElectric Literature و Lit Hub وغيرّها.
ولدت ونشأت في ماليزيا، وتعيش الآن في نيويورك، حيث عملت مؤخراً كمهندسة برمجيات.
(١٠) سورا كيم رّاسل شاعرّة ومترجمة، أصلها من كاليفورنيا، وتعيش الآن في سيول، كوريا الجنوبية. تدرس في جامعة إيها للمرأة. وُلدت هوانغ سوك يونغ عام ١٩٤٣، وهي أشهر قاصة كورية.
في عام ١٩٩٣، حُكم عليها بالسجن سبع سنوات، بسبب رّحلة غير مصرّح بها، إلى الشمال، لتعزيز التبادل الثقافي، بين الفنانين في الكوريتين. بعد خمس سنوات، أُطلق سرّاحها بعفو خاص، من قبل الرّئيس الجديد.
حصلت على أعلى الجوائز الأدبية في كوريا، وتم ترشيحها لجائزة الكاتبات الأجنبيات في فرنسا، كما حصلت على جائزة ايميل جيميه للأدب الآسيوي، عن كتابها (عند الغسق).
رّواياتها وقصصها القصيرّة منشورّة في كوريا الشمالية والجنوبية واليابان والصين وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة.

من قصصها الحدّيقة القديمّة، وقصة السيد هان، والضيف، وظل الأسلحة، والأشياء المألوفة.

(١١) بيمي أجودا من لاغوس، نيجيريا. وهي حالياً زميلة في برنامج هيلين زل للكتاب في جامعة ميشيغان. تنشر أعمالها في جرانتا وزويتروب وكل القصة ومجلة الكابوس.

(١٢) هذه القصة لإك أوسوندو، مأخوذة من سلسلة من القصص المترابطة، التي تستفسر عن شعور أن تكون "أجنبياً" في عالم اليوم. وإي سي أوسوندو هي مؤلفة مجموعة قصص صوت أمريكا ورّواية هذا البيت ليس للبيع. حصلت على جائزة كين (ظهرت قصتها الفائزة في الأصل في جورنيكا) وجائزة بوشكارت، من بين جوائز أخرى. نُشرت قصصها كذلك في الاطلسي وأجني وإن + ون وكنيون ومراجعات مكسويني وزيزيفا ومراجعات (ثري بني) والدولة الجديدة والعديد من الأماكن الأخرى، وتمت ترجمة أعمالها إلى أكثر من ست لغات.

(١٣) فرانسيس دي بونتيس بيبلز، هي مؤلفة رّوايات "الخياط والهواء الذي نتنفسه". وهي حاصلة على زمالة الكتابة الإبداعية لعام ٢٠٢٠ في الأدب من الصندوق الوطني للفنون. مواليد بيرنامبوكو، البرازيل، حاصلة على ماجستير في الفنون الجميلة من ورشة عمل كتاب آيوا.

نُشرت قصصها القصيرّة في جائزة أو هنري للقصة القصيرّة وزويتروب: كل القصة ومراجعات ميسوري واندیانا.

(١٤) نشأت مادلين واتس في سيدني بأستراليا، وتعيش حالياً في نيويورك. حصلت على ماجستير في الكتابة الإبداعية من جامعة كولومبيا، ونشرّت رّواياتها في مراجعات البياض والحاجب

المرتفع. حصـلت رّوايتها القصـيرّة "الخوف من الاسـتيقاظ" على جائزة جريفيث للنوفيلا. ونُشرّت قصصـها في المؤمن واستعراض لوس أنجلوس للكتب والمحوّر الأدبي.. البحر الداخلي هي قصـتها القصيرة الأولى.

(١٥) إليزابيث مكراكين مؤلفة ثلاث رّوايـات ومذكرات وثلاثـة مجموعات قصـصـية، بما في ذلك متحف الهدايا التذكارية، الذي يتضمن هذه القصة "The Get-Go".

نُشـرت أعمالها في أفضـل القصـص القصـيرّة الأمريكية، جائزة بوشـــكارت، جائزة أو هنري، مجلة نيويورك تايمز والعديد من الأماكن الأخرى.

ابن الأم ف. ر. مارتنيز
F.R. Martinez ،“Mother’s Son”

"ما هي افتراءات الأمهات الفزّاعات، دُمّى الشـــمع الخام، التي نلصـق عليها الدبابيس، والرّسـوم التوضـيحية.. نحن نحرّمهم من وجود خاص بهم، ونصوغهم ليناسبوننا، ليناسبوا جوعنا ورّغباتنا وأوجه قصورّنا" القاتل الأعمى، مارجريت أتوود

"إنهم جاؤوا في اللَّيل".. هذا ما أتذّكره دائماً!.. سماعها وهي تقول ذلك.. أتذّكره، أكثر من تذّكري أي شيء قاله أي شخص آخر!
كنت أنظر إليها أثناء إنشــغالي؛ بلُعبتي على الأرض، عندما كانت تطبخ أو تُخيط ثوباً..
"جاؤوا في اللَّيل.. في منتصف الليل."..
لقد اســتهلكها ظلمها، حزنها، غضــبها.. شــيء ما أُخذ منها ولن تسترده أبداً!
"في منتصف الليل، مي.. هيجو.. فكِّر في مدى فظاعة ذلك!"..
كانت الليلة مخيفة.. الظلام.. المصـــابيح الأمامية بالخارّج، في الطريق.. بيت المزرّعة المعزول.. الرّجال ينادون على زّوجها، العشرّات منهم، يقودّهم الكاهن!
كانت تلك إسـبانيا عام ١٩٣٦.. كان هناك حديث في الهواء الطلق عن حرب وشــيكّة، وحديث عن خوّنة؛ يجب القضـــاء عليهم.. الخوّنة الاشترّاكيون، أعداء الله والوطن!

كانت تخبرّني بهذا عندما كنا في كوبا. كان ذلك في عام ١٩٥٦ أو عام ٥٧، لسـت متأكداً على وجه الدِّقة، فوقتها لم أكن أهتم بمتابعة التوارّيخ. كان الوقت ليلاً، وكانت منكفئة على ماكينة الخياطة؛ على ما أذكر.. وضـعت قدّميها على دوّاسـة الماكينة، ذات البدال الواحد، بعد أن قامت بربط الإبرّة، وإدخال الخيط..

كانت تمارّس الخياطة، لكسـب القليل من المال، حتى تتمكّن من مسـاعدة أبي، الذي كان بخيلاً، متقشـفاً في الإنفاق على البيت.. اكتشفت ذلك؛ بعد سنوات طويلة من وفاتها!

والآن بعد أن أصبحت في نفس العمر، الذي كانت هي عليه عندما كنت شاباً، وعندما كنت المترجم الدّائم لها في ذلك الوقت، لأنها لم تتعلم اللُّغَّة الإنجليزية مطلقاً!.. الآن.. تمُّر على خاطرّي، ذّكرياتي الأولى عنها، عندما كنت لا أزال في سـرّير الأطفال، يدها على ظهري تهدئني، فقد كنت طفلاً عصبياً؛ دائم التوتر!

لدي نزعة عصـبية، رُّغم أنني في بعض الأحيان؛ لا أدرك ذلك. أشعر أحياناً بالمرض؛ بسبب أعصابي.. ضغط دّمي كذلك يرتفع، ربما كان ذلك بسبب أنني أتيت إلى حياتها، في مرّحلة متأخرّة من العمر، إذ كانت في السـادسـة والأربعين، عندما أنجبتني، بوزن تسعة أرطال. لم أكن لأكون سهلاً بالنسبة لها. لقد جلبت لها المزيد من المعاناة والكرّب!

"هذه أنا، أترى؟"

أرتني الكتاب المقدّس في غرّفة نومها مع أبي.. في درَّج الطاولة اللَّيلية، في شقتنا في كوبا. كانت بها صورّة أنثوية شاحبة ليسوع مصلوباً! على صفحة الغُلاف الدّاخلي..

لم يكن هذا ما أرادت أن أراه!.. كان هناك قائمّة بشهداء الكنيسة، منهم القدّيس يوستينوس، وكان اسمها (جوستا)؛ لذلك ارتبطت بهذا الشهيد أو القدّيس، لا أعرف!.. كنت طفلاً فحسب.. لم أكن أعرف كيف أقرأ جيداً بعد، لكن كان يمكنني نُطق كلمة "جوستين"؛ اسمها.. لم أكن متأكداً هل هو شهيد أم قدّيس!

بعد سنوات، رأيت هذا الاسم، في أحد أعمال ماركيز دو ساد. أيضاً، كنت مهتماً أكثر بيسوع المصلوب، والطرّيقة التي كان ينظر بها إلى السماء! تخيلتها النظرّة الحزّينة المعذّبة نفسها، على وجه جوستين، عندما كانت تتعرّض للتعذّيب، أو أياً كان ما تعرضت له!.. هذه النظرّة المتوسلة كانت تشدّني!

أحياناً كنت أتسلل؛ إلى غرّفة النّوم تلك، وأُحضر الكتاب المقدّس من الدرج، فقط لأُلقي نظرّة على يسوع.. يسوع المتألم.. المسامير.. الجُروح في جانبيه!

أفضت لي أمي بمشاكلها مرّات عديدّة؛ عندما كنت طفلاً، ربما لأنه لم يكن هناك؛ من يستمع إليها. أو رُبما لأنني؛ منذ أن كنت طفلاً، اعتقدت أنها ستنقل تارّيخ العائلة إليّ.. أو ربما؛ على الرُّغم من أنني أفضل عدم التفكير في الأمر، لم يكن بإمكاني كطفل، طرح أي أسئلة؛ عن الأشياء التي كانت تخبرّني بها! قد ترغب امرأة بالغة، في التحقيق في بعض القضايا المتعلقة بزوجها الأول؛ الذي كان سياسياً، أو حول الحرب الأهلية الإسبانية، وحول أشياء أخرى، قد لا ترغب في الحدّيث عنها!

عندما كنت طفلاً كنت سلبياً تماماً، وبريئاً، ومستمعاً مثالياً، لا أُعلق على حديثها، اكتفي باستيعابه كله. أردت أن أكون مثل يسوع.. أن آخذ ألمها في نفسي!..

كنت أجلس على الأرض، وألعب مع الجنود؛ ورُّعاة البقر، أو صخرّة على الكرّسي الهزّاز، وأحياناً في حضنها، أو على طاولة المطبخ، حيث تُعلمني؛ كيفية قراءة كاريكاتيرات الصحف.
في بعض الأحيان؛ كنا نأخذ قيلولة بعد الظهر معاً.. في بعض الأحيان، كانت تقرأ لي القصص المصورّة وأنا في السرّير.. وكانت تفوح منها؛ رّائحة الطعام المطبوخ، الطازج.
ما مرّت به؛ كان عبارّة عن سلسلة مستمرّة من العذّاب.. تأوهت كثيراً، وغنّت أغاني حزينة؛ عندما لم يكن والدي في الجوار.
كانت سياسة والدي، هي النقيض القطبي التام، لسياسة زّوجها الأول (ذلك الذي تم قتله، خوسيه).
كان والدي مؤيداً للفاشية.. لا أعرف كيف تزوجته.. ربما لأنها شعرّت أنها بحاجة إلى رّجل، لمساعدتها على البقاء؛ على قيد الحيّاة؛ في كوبا، حيث كان عليها أن تعيش، بعد الهروب من الفوضى، في إسبانيا.
"جاؤوا في منتصف الليل من أجله، من أجل خوسيه"
سمعت هذه القصة كثيراً، لدرّجة أنها مطبوعة في عقلي الباطن. إنها في مجرّى دّمي.
"كان كاهن المدينة معهم.. كنت أعرف الكاهن.. قال إنه سيُعيد خوسيه، بعد أن يتحدثوا إليه.. لكن لماذا تريد التحدّث معه في منتصف اللَّيل؟.. أنا سألته.. قال لي خوسيه، أن أبقى خارج الموضوع.. قال لي إنه عمل رّجال.."
كانت صغيرّة عندما حدث ذلك، في أواخر العشرينيات من عمرّها.. كانت حياتهم في هذه المزرّعة المعزّولة، المملوكة لعائلة

زّوجها الأول، شـــاعرّية.. فقد كان هناك شـــلال وطاحونة، إذ قام خوسيه ببناء مولد كهربائي، ووُلدت أختي هناك.
عاش خوســـيه في هافانا، حيث التقيا لأول مرّة.. رآها في حافلة؛ وتبعها إلى منزلها، رُّغم أنه كان على بُعد أميال من طريقه!
جاءت والدتي إلى كوبا من إسـبانيا، في أواخر عشـرينيات القرن الماضي، لتعيش مع أختها؛ بصفتها الأصغر بين أحد عشر طفلاً.. كانت تهرّب من التخلف عن الرّكب، وتعمل في رّعاية المسـنين.. وقتها كانت في السـادسـة عشـرّة من عمرها فقط.. كانت متمرّدة.. إذ لم يكن ممكنا أن تغادر أي فتاة منزلها، في رّيف إســبانيا، في سـن السـادسـة عشـرّة في ذلك الوّقت، فبالتأكيد من المسـتحيل، أن يُسمح لها بالذهاب للعيش في بلد آخر!
كان خوسـيه أيضـاً متمرداً، حيث أتى إلى كوبا، لدرّاسـة الهندسـة الكُهربائية؛ ثم جرّفته الأفكار الاشـــترّاكية، ورّغب في العودة إلى البلد القدّيم، إلى مزرّعة عائلته وقرّيته، للمســـاعدة في إحداث التغييرّات الاجتماعية الضرورّية، كما أعتقد!..
"جاء هؤلاء الرّجال، وأخذوا خوســـيه مني.. لم أكن أريده أن يذهب.. لم أرّه مرّة أُخرّى.. بعد أســـابيع؛ وجدوا جثته في بلدّة، على بُعد أميال.. لقد تعرّض للتعذّيب، وإطلاق النّار، عشـــرّات المرّات".
أخبرتني كل هذا بدون دموع، بقوّة لم أنسـاها أبداً، صـوتها تكسـر قليلاً، عندما تحدّثت عن الطرّيقة، التي تم العثور بها على الجثة..
"كنت خائفة على حياتي.. أخذوه هو وابن عمه.. لم يحضـــر ابن عمه.. وعاشت والدة خوسيه معنا في المزرّعة، وعندما قُتل؛ حثتنا على المغـادرّة، رُبمـا لأنهـا كـانـت تخشـــى؛ أن يعودوا ويقتلونـا

جميعاً.. عندما تزّوجنا أنا وخوســيه، كان علينا البقاء في كوبا، لا شيء من ذلك كان ليحدث، لكنه كان رجلاً صالحاً، وكان متشدداً.. في السـنوات القليلة الأولى، قبل أن تصـبح السـياسـة قبيحة، كان الأمر لطيفاً. كنت سـعيدة.. سـعيدة جداً في المزرّعة في غاليسـيا.. لم أعد سعيدة كما كنت مرّة أخرى".

أردت أن أجعلها ســـعيدّة، واداوي حزنها.. أعتقد أن العديد من الأطفال، يشـعرّون بهذه الطرّيقة.. شـعرّت أيضـاً، أنه إذا اسـتمرّت في التعاسـة، فسـيكون خطأي! أتذكر أنني وعدتها بأن أدرس، لكي أصـــبح طبيباً؛ حتى أتمكن من الاعتناء بها. كانت والدتي حياتي ومركز كوني.

كانت أختي رّاشـدة.. عاشـت في الولايات المتحدة، وكانت تزورنا كل عيد ميلاد، بخلاف ذلك كنـا أنـا وأمي وأبي نعيش وحـدنـا.. فتشتيت الانتباه كان ضرورياً!

"جاؤوا في منتصـف الليل، وأخذوا كل سـعادتي.. أُضـطررت إلى الهروب مع أختك [أختي غير الشـــقيقة، من الناحية الفنية! على الرُّغم من أنني؛ كنت ممنوعاً من قول ذلك].. لم يكن لدينا شـيء.. لا يوجد نقود.. لا طعام.. كان علي أن أتوسّـــل.. عائلتي أدارت ظهرهـا لي، لـذا عـدت إلى كوبـا".. هنـاك ذهبـت للعمـل؛ لـدى العائلات الثرّية كخادمة، ووضعت أختي في مدرّسة بعيدة؛ تديرّها رّاهبات.. كانت دائماً تشـعر بالذّنب حيال ذلك، وكثيراً ما اسـتغُّلت أختي؛ إحســـاس أمي بـالذّنـب.. كـان هنـاك الكثير من الذّنب في عائلتي!...

بعد انتهاء الحرب الأهلية، حاولت العودّة إلى إسبانيا.. جرّت أختي معها.. كانت الأشياء هناك رّهيبة وخطيرّة.. عاشت لبعض الوّقت،

من خلال العمل في السـوق السـوداء، لكنها عادت في النّهاية إلى كوبا، وتزّوجت والدي بعد عامين!
لا أعرف ما إذا كانت أحلامي السيئة، مرتبطة بكل الأشياء، التي أخبرتني أنها حدثت لها ولأختي، أو بمزّاجي العصـبي، أو بحقيقة أننا كنا في خضـم ثورّة اجتماعية أخرى. فقد كانت كوبا في ٥٦-١٩٥٧ مكاناً عنيفاً.. المجلات والصحف تخضع للرّقابة.. عرضوا صوراً لما فعلته قوات (باتيستا)، بالمتمرّدين! بالإضافة إلى صوّر الحوادث ومسـرّح الجرّيمة! كانت الصـوّر بالأبيض والأسـود تتلاشى بداخلي، والدّم مثل الحبر الأسود، والجثث المكسورّة مُلقاة في الخنادق، والنّاس مثقوبة بثقوب الرّصاص، ولكن أيضاً؛ صوّر شابات مبتسمات، يرتدين ملابس السباحة.. كيف اجتمع كل ذلك!
التداخل في رأسي، من المستحيل فكّه! أتذكر أنها وجدتني استمني، لا يمكن أن يكون عمري وقتها أكثر من سـتة أو سـبعة سـنوات.. أخبرتني إذا لم أتوقف، فسوف تخصني بسكين المطبخ.. قالت هذا ما يفعلونه بالخنازير.. يخصـونها!.. لقد رأيتها تخنق الدجاجات، كانت لديها أسلوب حيّاة مزارعة قاسية!.. تضـرّبني عندما أسلك سـلوكاً سـيئاً.. تضـرّبني بشـدّة.. بالملاعق الخشـبية أو علاقات المعاطف.. لقد أصـبت بجروح عديدّة أكثر من مرّة.. عندما كانت تغضـب مني، كنت أخاف من مدّى قوّتها، والأشـياء التي كانت تقولها، والأسماء التي نادتني بها!
كان الأمر؛ كما لو كانت تعاقبني على كل ما حدث لها، توبخني وتهددّني بالهجر، وتقيدّني بأحزّانها، فقط لمعاقبتي.. هل كنت عنيداً وعاصياً؟.. رُبما كنت كذّلك.. أعلم أنني كنت مبكر النضج، وفضـولي للغّاية! إذ كنت ممتلئاً بنفسـي وذكياً، ولكن في الغالب،

عنـدمـا لم تكن تحطمني، كـانـت تحنو عليّ، وتغـذّي طبيعتي النّرجسية، فألبس الملابس التي صنعتها من أجلي.
بعد سنوات، أدرّكت أنني قد نضجت، من خلال رؤية صور لنساء معذّبات، وبالطبع المصـــلوبات، حتى في خضـــم الإثارّة، كان بإمكاني أن أرى من أين أتى كل ذلك، ظل شـــيئاً يعيش بدّاخلي؛ ولن يختفي!
"جاؤوا في منتصف الليل"
تم نقل هذا الخوف إليّ، لقد اسـتوعبت ذلك.. لقد رّحبت به.. كنت أرغب في ذلك الخوف.. الإرهاب.. كان الموت المتربّص قريباً جداً، وإذا اسـتيقظت في طفولتي، وأنا أصـرخ بعد قراءة قصـص القتل الوّحشـي (كانت تلك المجلات الكوبية، المثيرّة للتشـويق هي المفضـلة لدي)، ليس هذا لأنني كنت أخشـى التعرّض للقتل، ولكن لأنني كنت أخشـــى الخوف، والإحســـاس بالشـــلل من الرّعب المجهول؛ الذي لا شـكل محدد له، والذي تسـرّب من تحت الباب، وتســـلل عبر النّوافذ؛ ووجدني كلما أراد ذلك؛ لأنه كان بداخلي! عشـت الأشـياء التي سـتأتي في اللّيل، وتجدني خائف دائماً! ودائماً محتقناً بالأحلام والخيالات والأوهام!..
وتستمّر هذه الخيالات والأوهام تحاصـرّني، بخسـارّة والدتي لفترّة طويلة؛ بعد وفاتها.. إنها تستمّر.
ذّات مرّة، أثناء فرم البصـل في كوبا؛ بأحد تلك الأجهزّة، المزودة بمقبض بلاسـتيكي دائري؛ وهي تضـغط عليه، تعرضـت لحادث؛ يجب أن يكون المقبض قد انفصـل، وانغرّس مسـمّار معدني تحته في يدها، كاد أن يمر من خلالها.. صـرّخت أمي، فيما ركضـت أنا من غرفتي؛ حيث كنت ألعب. كان هناك دّم على الأرض، وكانت

شـــاحبة.. أرّتني الجُرح.. كل ما كنت أفكر فيه لحظتها، كان هو يسوع المصلوب!

عاشت بشجاعة، وعلمتني الثبات والمثابرّة. لقد علمتني أن البشر ليسوا موثوقين أو جديرين بالثقة، وأن الأشياء يمكن أن تنهار في أي لحظة "كان الكاهن، بعد كل شـــيء، هو الذي قاد تلك الغارّة الليلية القاتلة!".

لم يكن لدي طفولة بامبي.. كانت هناك قنابل وحرائق، وأشـخاص يُطلق عليهم الرّصـــاص في الشـــارّع. لقد أحبتني والدتي بقدر ما تســـتطيع، وعملت فوق قدرّتها وحتى النُخاع، من أجل تعليمي ورّفاهيتي. لم أكن ممتناً.. كنت مثلها متمرداً!.. لم أكن ممتناً، لأن الشـــيء الآخر الذي هرّبت منه، عاش مثل ثعبان ملفوف بداخلي، ولم أستطع التخلص منه.

لقد شعرت بالحرج منها، عندما كنت شاباً في ميامي.. هي وأختي، لأنهما لم تتعلما اللُغّة الإنجليزية أبداً، ولم تفهما أســـاليب الحيّاة الأمريكية. كانتا جاهلتين!

لقد رّفضـــت حبهما، ليس فقط لقلق المراهق. ولكن؛ لأنني كنت عاجزاً، عن إعادة تشـكّيل نفسـي. فقد كانت والدتي قد شـكّلتني.. كانت طوال حياتها تخبزني مثل المعجنات التي تصـــنعها لي، إمباناداس الكوبية/الإســبانية المثيرّة.. كنت شــيئاً مســتهلكاً.. لقد استهلكت نفسي!

كان الشيء الأكثر تطرفاً في الهروب منها، هو أن أكون موسيقياً، وهذا ما فعلته، كانت الموســيقى شــيئاً يمكنني لف نفســي فيه، واستخدامه كدرعٍ واقٍ.. موسيقى وكلمات، لن تؤذيني الحيّاة خلف هذا الدرع.

كنت خجولاً جداً، كرّهت المواقف الاجتماعية، فعندما أُوضـــع في أحد هذه المواقف، يندلع في جسمي العرّق!
اســـتهلكت هُوّيتي الجنســـية، أفكار وعواطف متطرّفة وعنيفة، لم أكن منغمســـــاً فيها إلا في الخيال.. كان بإمكاني الابتعاد عن القضـــبان، إذا فكرت بالانغمّاس في ذلك، بأي طرّيقة أخرّى، لكن الصـوّر التي في رأسـي، تلك التي تجئ في منتصـف الليل، ولكن أيضاً في منتصف النّهار، لا تزال مثل الضوء المشتعل في شبكية العين!
لا يمكن أن يكونوا حقيقيين أبداً، لكنني قبلت ذلك.. الحقيقة هي طرّيقة مؤلمة للغاية.. الحقيقة ليست مغرّية. والدي مات أولاً.. كان قد جاء إلينا في ميامي في منتصف الستينيات، وقد كسرته الثورّة الكوبية، وفقد صـــحته وعقله.. بعد ســـنوات؛ عندما كانت والدتي تُحتضر في المستشفى، من فيروس غير محدد (وكنت أعتقد دائماً، أنه قد يكون شـــيئاً مرتبطاً بالإنفلونزا الإســـبانية، فقد نجت منها عندما كانت طفلة، ولكنها رُّبما بقيت في دّمها في انتظار الانقضـــاض مرّةً أخرى).. قال الأطباء، إنها رُّبما تكون قد التقطتها، أثناء رّحلة إلى الأرجنتين، لزيارّة ابن عمها!
كنت أعزّف مع فرقة موسيقية في نيو جيرسي. جئت إلى ميامي، في أول رّحلة وجدتها متاحة، ووقفت بجانب سريرّها. داعبت يدي وابتسمت. ثم سألتها: "كيف حالك"
فقالت: "هؤلاء الأطباء؛ يأتون في منتصف الليل؛ ويوقظونني. أنا أريد فقط الذهاب إلى المنزل"

لكنها لم تذهب إلى المنزل.. حان أجلها بعد أسبوع، في وقت مبكر من الصـــباح، وانحنيت عليها بينما كانت تُحتضـــر وقبلت خدها وقلت: "لا بأس عليك. يمكنك الذّهاب الآن. لا داعي للقلق. سنكون بخير"

قلت لها ذلك؛ لأنها ظلت تتشـــبث بالحيّاة، الحيّاة التي مزّقتها، ولم أرغب في أن تعاني بعد الآن، ليس من أجلي أو من أجل أختي. من أجلها..

منذها؛ لم أســـمعها تُغَّني أغانيها الحزّينة مرّةً أخرّى. كان هذا قبل سـنوات، وبالكاد أُفكر الآن في ذلك. لكن الأمر يحدّث بداخلي، في الليلـة التي جـاء فيهـا هؤلاء الرّجـال، وقتلوا خوســـيه وابن عمه وسـعادة أمي.. لقد أفلتوا من العقاب، وعاشـوا حياتهم بعد الضـرّر المروع، الذي ألحقوه بها!

محاولاتها العديدة لتحقيق العدالة في المحاكم الإسـبانية، بعد انتهاء الحرب في عام ١٩٣٩ لم تُفضـي إلى شـيء. لقد حاوّلت لسـنواتٍ، اســتعادّة ميرّاثها وميرّاث أختي، المزرّعة في غاليســيا، ولكن تم الاســتيلاء عليها، من قبل أقارّب خوســيه الباقين على قيد الحيّاة، بعد وفاة والدته.. لم يرغبوا في إعطاء والدتي وأختي إرثهما من خوســيه.. هذا شـــيء قليل من الحُطام الوّافر الذي خلّفته الحرب الأهلية.

في الوّقت الحالي، أنا هو الميرّاث.. البقايا الحيّة لتلك اللَّيلة، وكل ما يمكنني فعله هو الاســـتمرّار، والبقاء على قيد الحيّاة ليس لدي ورّثة، ولكن موســيقاي وقصـــائدي وكتاباتي هم ورّثتي، الذين قد ينتهي بهم المطاف، في سلّة المهمّلات بعد رّحيلي.

لقد تلاشت كوابيسي منذ زّمن بعيد. وفي النّهاية كل شيء يتلاشى، كل شيء يمُّر.. حتى تلك الأشياء، التي تأتي في منتصف الليل!

الوغد، ٢٠١٦، بليك سانز
Calzones, ٢٠١٦ Blake Sanz

أخبرّني والدي المُحتَضر وصديقه فيسينتي، رّئيس البلدية السابق، أنني إذا أرَدت الكتابة عن قَصّـــص المذّبحة، فعلّيَّ إذن أن أتعقب قصة أحد المزّارعين؛ يعيش في قرّية ساحلية..
ومن ثم قادنا فيسينتي، في سيارّته الفولكس فاجن؛ البيتلز الخضراء القديمّة، إلى لاكوستا إزميرالدا. كان والدي يتنفس في مقعّد الرّاكب المجاوِر لمقعد السائق. فيما كنت أنا أجلس على المقعّد الخلفي.
في الطرّيق كنت أُفكر؛ في ســيرّة حيّاة هذا المزارّع؛ التي كنا نُلاحقها.. والذّي كان في شــرطة مكافحة الشــغَّب، في لانوش دي تلاتيلولكو، عندما وقعّت المذّبحة؛ خلال دورّة الألعاب الأولمبية، في مكسيكو سيتي عام ١٩٦٨.
قال فيسينتي، باقتضاب: "سن دودا"
فقلت: "لقد قُتِل الكثيرون من النّاس في ذلك اليوم.. إنه مزّارع عجوز جداً الآن يا عمي".
التفت أبي نحوّي، وقد ارتفع حاجباه ثم ابتسم، فتساءلت تُرى هل هو متحمس حقاً لهذه التفاصيل؟!..
في الحقيقة، منذ أن فقد أبي وظيفته، وأصـــبح بلا مأوى، كنت لا ألتقيه إلا نادراً، عندما يجتمع الأقارّب. ورُّغم أنه كان مؤذياً عكسنا أنا وأمي، إلا أن تعابيرّه؛ التي كانت تُفصـــح عن اســـتعداد دائم للمغامرّة، جعلتني أشعر شعوراً كاذباً؛ بأنني أشبهه كثيراً!

خلال كل تلك السنوات، التي أنفقتها والدتي في تربيتي، ثم عملي بعد ذلك في لويزيانا، بالكاد عرّفت هذا الرّجل، لكن قيل لي عنه وعن رّوح المغامرّة التي تتملكه الكثير.
تلك الرّوح، رُبما كانت هي الشيء الوحيد، الذي تمنيت أن يربطنا معاً، لكن ذلك لم يحدث أبداً!
دلفنا من الغَّابة القرّيبة من الساحل، إلى بلدّة صغيرّة تسمى (كازنس). كانت الكلاب الضّالة بأضلاعها البارزّة، تتجوّل على الطرّيق، والمنازِّل المهدّمة، المبنية من الطوب؛ قد انخفضت تحت الوزّن الخفيف، الذي ناءت تحته؛ أسقفها المصنوعة من الصفيح، والنساء اللوّاتي يرتدين فساتين طويلة وكن يحمّلن السلال، وهن ينظّرن إلينا بلا مبالاة ونحن نمر! فيما كف الأطفال الحُفاة، عن رّكل كرّة القدّم، وتوقفوا ليشاهدونا، كما لو كنا موكب جنازّة؛ يحمل بعض القتلى المشهورّين في شوارّعهم!
رّفع أحدهم يده في مواجهة فيسينتي، فترّاجع الأخير بالعرّبة إلى الورّاء.. انتشرّت الحفر على الطرّيق الترّابية، التي تلتقي بالشاطئ؛ كحرف تي الانجليزي، وانجرف البحر البُنِّي على الصّخور التي تجاورّه.. كان يوماً بارداً، من أيام ديسمبر، جعلته الغُيوم المتكاثفة أكثر برودة.
انعطف فيسينتي انعطافة حادّة إلى اليمين! حتى بدا أننا قد نصطدم بالأمواج.. نظّرت خلال الفرّاغ بين رأسه ورأس أبي، خلال الزّجاج الأمامي.. رأيت اللّون الرّمادي للسماء، والتَّل المرتفع المكسو باللّون الأخضّر والصخرّي، بجانب الخط الساحلي..
مررنا بفندق مهجور، أفسد الزّمن والإهمال جماله، كانت ساحته لا تزال مليئة بالكرّاسي والطاولات البلاستيكية!

بعد ذلك، صادفنا رّاعي غنَّم؛ وبوابة محلية الصُّنع. أوقف فيسينتي العرّبة وخرّج. التفت والدي يسألني عن رّأيي في كل هذا، وأعجبني سؤاله الذي جعل من عمليتنا الصغيرّة، تبدو وكأنها تواطؤ.. قال: "لن نقول لهذا الرّجل العجوز إنك صحفي".
"سندعوه فقط لتناول الغداء، ونجعله يسكر. ثم سيبدأ في الحديث".
قادنا فيسنتي عبر البوابة المفتوحة، في مسار موحل. مع الارتفاع المتزايد، أصبح البحر الرّمادي خلفنا أكثر اتساعاً! وعندما استدرت مرّةً أخرى، رأيت حقلاً مفتوحاً، ورّجل عجوز، يرتدي حذاء عمل وبذلة قفز، كان يلوّح بمجرّفة، ويطوّح بالترّاب؛ ليحفر حفرّة لعمود سياج.
في البدء لم يشعر الرّجل العجوز بوجودنا، لكن عندما توقف فيسينتي؛ وأغلقنا أبواب السيارّة، التفت نحونا. ووقف مثل ثور!.. كانت تعابير وجهه جامدة؛ غير قابلة للاختراق!.. لوّهلة فكّرت أن فكرّة المجئ إلى هنا؛ كانت فكرّة سيئة! لوّح له فيسينتي بيده وهتف: "تيو!"
تقدّم الرّجل العجوز نحونا، وهو لا يزال يحمل الجرّافة. أصبحت عيناه مقروئَتين. كان رأسه ممتلئاً بالشيب، والتجاعيد قد حفرّت أخاديد وجهه حتى العظم، كاشفةً عن شعور عميق بالإحباط. لقد كان عاملاً مجتهداً، وكان ذلك أمراً عاديًا بالنسبة لمن هم مثله!
"تيو.. هيكتور!"
قال فيسنتي وهما يتعانقان. نظر هيكتور إلى والدي وإليّ..
"معذرّة يا عمّي هذا مانويل، صدّيقي. كان من المتظاهرين في لانوش دي تلاتيلولكو، ألا يعني لك هذا شيئاً؟ وهذا ابنه، إنه صُحفي. يريد أن يسألك بعض الأسئلة عن الأيام الخوالي. كما

تعلم، أعمال الشـــغّب القديمّة تلك.. وأولئك الذين عملت معهم في المزّارع كرّامي بذور.. كانت تلك حيّاة أخرّى منذ وّقت طويل، أليس كذلك؟"

نظرت إلى والدي. رّأيت في عينيه، أقل بكثير مما أدرّكته للتو عن فيســـنتي. حدّق هيكتور في وجهي ولم يقل شـــيئاً. قالت عيناه كل شـيء. حاولت معالجة الموقف، الذي وضـعنا فيه فيسـنتي بتعرّيفه لي كصُّـــحفي، فعرضـــت على هيكتور بكثير من الذوق: "مـا حدث؟"..

لكن هيكتور لم يتزّكني أُكمـل. همس لتيو ابن أخيـه لحظتهـا. ثم همس لفيسـنتي.. ثم اعتذر قائلاً إنه يريد التحقق من دجاجاته، لكننا كنا نعلم أنه يريد أن يختلي ليتخذ قراراً!

عندما ابتعد عن الأنظار، خلف منزل المزرعة خاصـــته، نظرت إلى والدي، لاستكشـاف إحساسـه باللحظة. كان ينظر إلى فيسـنتي. وكان الاثنان على وشـك الانفجار بالضـحك، لكنهما لم يفعلا ذلك على الإطلاق؛ تفادياً لإثارة حفيظتي. قال فيســـينتي: "أعلم أنني أخطأت بتعريفك كصُّحفي".

ألقى كلماتـه هكذا بلا مبـالاة! وبطرّيقةٍ عابرّة، كمـا لو كـان الأمر مجرد مزّحة.. قلت: "رُّبما يجب علينا أن نغادر قبل أن يعود".

"لا!"

رد فيســـنتي. ثم أضـــاف وهو يشـــير الى أبي: "ســـنفعل كما قال مانويل، ســـنأخذه لتناول الغداء، ونجعله في حالة سُـــكر، وبعدها ســـيبدأ الحديث وحدّه.. (لم يحدث شـــيء يا مانويل).. قال عبارته الأخيرّة بالاسبانية..

فرد والدي: "حسناً، على أية حال.. لم يكن هذا هو المكان المناسب تماماً لمثل هذا الحديث".
عاد هيكتور مرتدياً قبعة رُعاة بقر دالاس، بعد أن نزع قفازات عمله.. ثم نظر إليّ: "إذن، أنت تريد أن تسمع عن المجزرّة؟.. دعونا نأكل أولاً.."
وبينما كان يسير باتجاه السيارّة، فتح فيسينتي الباب أمامه. وجلس معه.. كنت في الخلف أشعر بالكتف حذو الكتف، هذا القاتل أمامنا نحن؛ أنا وأبي وفيسنتي رّئيس البلدية السابق!..
وصلنا إلى التَّل، والبحر البارد بزّبده الأبيض أمامنا، ثم مررّنا عبر البوابة المفتوحة. خرج فيسينتي ليغلقها، لكنه لم يستطع معرّفة المزلاج. انضم إليه والدي ولكن دون جدوى!
تخبطا كثيراً وطويلاً دون أن يفلح الأمر، فيما بقيت جالساً كتفاً بكتف مع الوغد هيكتور القاتل، الذي كان مستمتعاً بمشاهدتهما وهما يكافحان.
كانت تفوح منه رّائحة العرّق والطيور والسمّاد، وبدا لي أنه مستفز من رّائحتي اللطيفة، كأنها إهانة لمهنته كمزّارع، التي زاولها طوال حياته، وتمنيت ألا توغر رّائحتي صدرّه ضدي!
كان والدي وفسينتي لا يزالان يعبثان بالمزلاج، وشعّرت أنه يتعين عليّ كسر هذا الصَّمت المرّعب. قلت بلُغَّتي الإسبانية المتواضعة وأنا أُشير إليهما: "إنهما ليسا من المزّارعين".
ضحك. الشيء الذي جعلني أشعر ببعض الرّاحة. قال: "لا؛ فيسينتي، كان دائماً مثل والدته.. ذّكي جداً، ذلك المخلوق.. لكنه ضعيف جداً".

لا يزال هناك المزّيد من الوّقت لملء الفرّاغ: "كم بقرّة لديك؟"
سـألت القاتل فرّد: "ثلاثة.. هناك واحدّة لا يمكنك رؤيتها، خلف المنزل. إنها الأجمل".
"كيف يكون الطقس في مثل هذا الوّقت من العام؟"
قبل أن يتمكن من الإجابة، عاد الثنائي المتلعثم. هتف فيسينتي بارتياح: "لقد نجحنا".
أجاب هيكتور: "عمل جيد"، ثم التفت إلى وهو يغمز.
أثناء سيرّنا، تلاشت مزّرعته عن المنظّر الخلفي. فيما كان فيسنتي ينطلق بنا إلى الفندق المهجور، الذي لم يكن مهجوراً في الحقيقة! أوقفنا العرّبة في الفناء الخلفي، في موقف مرصوف بالحصّى، حيث ظهرّت امرأة عجوز. لوّحت مرّحبة بفيسنتي، ولوّح لها هو الآخر. عندما نزلنا من السيارّة، تقدّمت وعانقت هيكتور. ثم تقدّم ثلاثتنا: فيسينتي ووالدي وأنا، جلسنا على الكرّاسي البلاستيكية، على مسافة أقل من مرّمى حجر من البحر الهائج.
ولأن الجو كان شديد البرودة، أحضرت لنا المرأة جميع الجاكيتات التي لديها لنرتديها، باستثناء هيكتور، الذي ظلت ذرّاعاه عارّيتان. قالت: "سأحضر لك شيئاً لتأكله وتشرّبه".
بعد فترّة وجيزّة، عادت ومعها جمبّري مشوّي وقهوّة، وجلست بجانب هيكتور. وسالت: "ما هي المناسبة؟".
همهم فيسنتي: "حسناً"..
كان كل منا، قد استقر على لعب دور مختلف.. لكن فيسنتي هو المحك.. ابن أخ في منتصف العمر، لديه القدرّة على رّبط الغرّباء بالعائلة.

المرأة العجوز، هي أخت هيكتور، كما اتضح لنا مع استمرّار المحادثة، كانت المرّبية ذات الملابس المحتشمّة، والطاهية المطيعة، التي أطعمتنا واهتمت براحتنا. فيما كان والدي يؤكد لي سمعته كساحر، في ماضيه المخزّي الزّاهر، إذ بدا محاوراً فضولياً لطيفاً، ساعده أسلوبه المختلف في الأيام الخوالي، على إقامة علاقة سرّيعة الآن مع هيكتور.

وكنت المستمع الذي أوعز لوالدي بالأسئلة مثار اهتمامي. وكان هيكتور، رّاوي قَصّص بارّع.. فقد رّوى العديد من القَصّص، التي تصلح أي واحدة منها، أن تجعل منه كاتباً يسعد بسمعته: قَصّص عن بائعات هوّى؛ يُحاكمن مع أوكتافيو باز؛ في قصر عملاق، قُبالة باسيو دي ماليكون في فيراكروز!.. قَصّص عن قنابل يدوية؛ مخبأة في فصل مدرّسة إعدادية في أدغال غيريرو؛ خلال المواجهة بين الثوار والجيش، الذي بسبب أوامر سرّية؛ أعطيت له من وراء الكواليس، ارتكب المذبحة، التي كنت قد قمت برّحلة إلى المكسيك، لأكتُب عنها!.. نّوع من القَصّص، التي لا تُنسى!

النّوع الذي فشلت في العثور عليه حتى الآن، في مسيرّة كتاباتي المتواضعة.. النّوع الذي يُشعرك بالألم، في الأوقات التي تريد فيها دفن حياتك بعيداً.. النّوع الذي تتمنى أن يكون ملكك أنت فقط، إذا كان بإمكانك الحصول عليه؛ وتعيش الألم الكامن وراءه، دون أن تعيشه فعلاً كتجرّبة حيّة!

كانت هناك قصة واحدة رّواها، من خلال حث والدي له على الحكّي، قصة أعلم أنني وأبي نعتز بها بنفس الطرّيقة، على الرُّغم من أننا لم نتحدث عنها أبداً.

لم أر والدي مرّة أخرى بعد تلك الرّحلة. وعندما أفكر فيه الآن، تخطر على بالي هذه القصة، التي ساعدتني على رؤية أنه، على الأقل في اللحظات العرّضية، يمكن أن يكون أبي مانويل، حقاً هو الرّجل الذي طالما حلمت بأبوته لي.

في عام ١٩٥٦، كان هيكتور يبلغ من العمر ثماني سنوات. كان هذا في توكسبان، حيث نشأ على بُعد بضع كيلومترات من مكان جلوسنا؛ في تلك الرّحلة.. في ماضيه؛ كان هيكتور وأصدقاؤه، يعزّفون على الجيتار، ويغنّون الأغاني عند الجسر؛ الذي يربط البلدة بالمدينة، حيث يتوقف في بعض الأحيان، السائحون الذين يسافرون على الشواطئ، ويطلبون أغنية الابن جاروتشو، وكان الأطفال يلعبون أغنية كهذه، مقابل بيزو أو اثنين..

كان هيكتور وقتها على ما يرام مع الجيتار، إذ كان ذلك بمثابة مصدر من مصادر الدخل!

ذات يوم عبر رّجل غريب الجسر؛ مشياً على الأقدام. لم يروا من أين أتى. كان لديه لكنة أجنبية، سأل الأطفال: "هل ترغبون في كسب بعض المال؟".

فردوا: "بالتأكيد".

"حسنا إذاً. تعالوا الأسبوع القادم؛ في هذا الوقت بالضبط، إذا كنتم هنا، سأعرّف أنكم جادين، وسأسألكم مرّة أخرى".

لم يفكر الأطفال بأي شيء في ذلك الوقت. جاء الكثير من المسافرين المجانين؛ ومع ذلك، فقد حرصوا على اللعب في الجسر، الأسبوع المقبل في نفس الوقت! ومرّة أخرى، جاء الرّجل نفسه، هذه المرّة يقود سيارّة. كاديلاك. ويرتدي قميصاً مضغوطاً من الكتّان.. ونظارّة شمسية دّاكنة.

ابتســـم مثل الثعلب، وبدا أنه يعرف ما كان يفعله، ســـألهم مرةً أخرى: "هل ما زلتم تريدون كسب بعض المال؟"..
فردوا مرّةً أخرى: "بالتأكيد".
"حســـنا إذاً. ليس بعيداً عن هنا، يوجد حقل مفتوح.. مرّعى أبقار مثلث؛ يحده البحر من جانبين، ومن الجانب الثالث يحده الطرّيق. اتبعوا هذا المسار بجانب الجسر لمسافة كيلومترين، وانظروا إلى يمينكم. هذا هو المكان. هل تعرّفونه؟"
فأومأوا: "نعم".
"حســناً إذاً.. قابلوني هناك يوم الســبت المقبل، وإذا فعلتم ما أقوله لكم، فسأُعطي كل منكم ثمانية آلاف بيزو".
تركهم الغرّيب عند الجســـر، فقفزوا بحماس. كان ذلك في عام ١٩٥٦، وكان ثمانية آلاف بيزو مبلغاً كبيراً جداً..
"حســـناً". قال هيكتور؛ وهو يفكر فيما كان يمكن أن يفعله هؤلاء الأطفال بهذه الأموال!
كانوا سيصبحون أغنياء. لقد أمضوا ذلك الأسبوع، منغمسين في حُلم ترك عائلاتهم ورّائهم، والهروب من توكسبان إلى الأبد، سعياً وراء مغامرّات رّائعة.
يوم السبت التالي، ذهبوا إلى ذلك المكان. كان الغرّيب هناك. قال: "حســناً.. هذا ما ســيحدث.. في غضــون ثلاثين دقيقة، ســتحلق طائرات صاخبة، وعلى ارتفاع منخفض جداً عن الأرض.. سوف تقوم من عنابر بضـــائعها، بإســقاط صـــناديق خشـــبية بمظلات. وسوف تهبط هذه الصناديق في هذا المكان.. ستكون ثقيلة.. عندما تهبط التقطوها.. انقلوها إلى المنزل على قمة التل". وأشار الغرّيب إلى قمّة التَّل.

تعرّف هيكتور على المنزل بعد ذلك، وهو المنزل الذي يوجد بجانبه القارّب.. أضاف الغرّيب: "عندما تنتهون من إحضار جميع الصناديق إلى أعلى التَّل، قابلوني بجوار..."
لكن هيكتور توقف عن الاستماع، بمجرد أن رأى المنزل؛ وتذكر القارّب الذي رّحل به بعيداً. كل شخص في المدينة يعرّف ذلك.
كان المنزل أعلى التَّل مقراً لفيدل كاسترو، المنزل الذي كان يخطط ويستعد منه.. وهذه الصناديق ستمتلئ بالبنادق والذَّخيرّة، التي سيستخدمها بمجرد وصوله إلى كوبا! وهؤلاء الأطفال، بمن فيهم هيكتور، لم يتوقفوا ليقولوا: (لا، شكراً)؛ ولم يتوقفوا عن الجرّي، حتى وصلوا إلى منازلهم، حيث أمهاتهم وآبائهم.
اختبأوا في الدّاخل لمدّة شهر، ثم لفترّة أطول، حتى ذهب ذلك القارّب ومعه فيدل، وحتى أصبح من الآمن؛ العودة إلى كونهم الأطفال، الذين كانوا من قبل:
الأطفال الذين يلعبون دور البالغين، ويقلقون أبائهم عليهم.. والأطفال الذين يعزّفون الجيتار على جانب الجسر، ويسعدهم الاعتقاد بأن الأشخاص الذين مروا بحياتهم، لم يكونوا سوى غرباء طيبين، كأمهاتهم وآبائهم، ولا يتخيلون نوعاً آخراً من النّاس.. ناس طيبين يشفقون على الأولاد المحليين، ولا يوعزون لهم سوى بالأغاني البريئة، الخالية من لفح الثورّة، وتلميحات العنف أو الأذى، الذي يلوح حتى الآن في أعينهم!
صمت هيكتور. لقد صُدم لأنه رّوى القصة مثل أي منا، باستثناء والدي، الذي لم يصدم، فقد كان حُطام أب منتفخ، وبلا مأوى، و سيموت بعد أسابيع قليلة. كان أبي يعرف عن ماذا يسأل. ومتى يلتزم الصّمت. وما هو التعبير؛ الذي يجب عليه تقديمه؛ في أي

لحظة من لحظات الحكَّي، ومتى يعطي أرّق الضــحكات.. هذا هو أبي الآن؛ مجرد زفير وشهيق!
في غمرّة الأمواج؛ وهدوء المائدة بجانب البحر..
البحر نفســه الذي واجهه كاســترو قبل ســتين عاماً، رفع والدي حاجبيه مبتســماً، هو يســرّق نظرّة عابرّة إليّ، فيما كان الرّجل العجوز؛ يشـير إلى المحكمة.. التقطت شـبح ابتسـامة أبي النّاعمة كالمطر، والتي لم تدم أكثر من نصف ثانية..

موسكو Moscow

داغ سولستاد، Dag Solstad, translated from Norwegian by Becky L. Crook ترجمتها من النرويجية إلى الإنجليزية: بيكي ل. كروك

يُقال إنه عندما غرّقت العبارّة (سكاجيراك)، التي كانت تُبحر يومياً، بين كريستيانساند وهيرتشيلس، واضطر الرّكاب إلى مغادرّتها، وركوب القوارّب، والاندفاع مضطرين إلى البحر العاصف المفتوح، لا متناهي المدى والمخاطر، تم التقاط أحد هذه القوارّب، من قبل سفينة صيد رّوسية.
على مر السنين، عندما يقرأ المرء من وقتٍ لآخر، على صفحات الصُّحف، عن سفنِ الصيد الرّوسية، التي تسافر خارج حدود الصَّيد، فتدخل حدودنا. التي تمتد طولياً. في بعض الأحيان، يبدو الطقس قاسياً، مضطرباً وكئيباً، إذ يُغلف الضّباب بلادنا في الخرّيف. في البحر، تسرّق سفن الصّيد الرّوسية الماضي!
لقد تزّكت القصّص الإخبارية انطباعاً راسخاً، عن إنزلاق هذه السفن في صّمت، كأشباحٍ تتفقد سواحلنا، بمقطورّاتها الطويلة تحت الأرض. حيث تظهر على شاشات الرّادار المستديرّة، كأضواءٍ صفراء قوّية، يطفو بينها سهّم!
وطوال الوّقت في غُرّفة المرّاقبة الصغيرّة تلك، يجلس أفراد الطاقم منحنين على القرص، يشاهدون ويسمعون، الضوضاء المنتظمّة، والطنين المكبوت، وهو ينبعث من الأسلاك والكابلات..

على صفحات الصّحيفة، أقرأ عنواناً رئيسياً:
من يُرّاقب سوّاحلنا؟ ثم صورّة سفينة صيد، تصرّخ من كل كشك ومتجر للتبغ ومحل لبيع الصُّحف..
يُقال إن أولئك النّاجين من الغرّق، الذين التقطهم القارّب، عندما صعدوا على مَتن سفينة الصّيد، لم يكن أي من ضباطها، يفهم اللُغّة الإنجليزّية، وأن المقطورّة التي كانت سفينة الصّيد تجرّها خلفها، كانت تشبه مخلوقاً بفك كالمقص، يتحسس كل شيء، على طول قاع المحيط!
وعندما سُحبت تلك المقطورّة، كانت تتلوّى داخلها، الملايين من أسماك الرّنجة، والسمك الفضّي، والأسماك المضيئة..
غالباً ما كان لدّيَّ قشور سمّكة على أصابعي؛ تفوح منها رّائحة الحيّاة البدائية، التي يصعب تنظيفها.
يُقال، أنه عندما عاد أولئك الذين تم سحبهم، إلى رُّشدهم، حاولوا التواصل مع الرّوس بشتى السُّبُل، ولكن دون جدوّى، إذ لم يتمكنوا أيضاً من فهمهم!..
صحيح. أنهم عاملوهم باحترّام، لكن أيضاً حالوا دونهم ومقابلة القادمين!..
ويُقال أن الناجين أصبحوا قلقين، لأن سفينة الصّيد لم تستدير إلى الدّاخل، إذ استمرّت في الإبحار، على طول الساحل الملتف، كما لو كانت تبحث عن شيء ما، كما لاحظوا تعابير غرّيبة، مرتسمّة على وجوه الرّوس..
أشبه بالتعابير على وجوه الفنلنديين، وعلى الرُّغم من أن تعابير وجوه الرّوس، كانت أكثر وضوحاً، إلا أنها أعرض من وجوهنا،

وعظام خدودهم أكثر بروزاً، وقوامهم أكثر حساسية.. هم رّجال صغّار، يرتدون قبعات من جلد الدُّب في غالب الأحيان!
لقد تمّ تجميع النّاجين جميعهم معاً، في حجرّة صغيرّة أسفل السطح.. وبعد مرور ساعات، دون أن يحدّث أي شيء، بدأت شائعة في الانتشار، بأن السفينة كانت تسير على طول الساحل، بدلاً من التوجه إلى الدّاخل، لأن القبطان لا زال ينتظر رّد موسكو! يُقال، أنه عندما تم ذكر كلمة موسكو، تفشّى شعور بعدمِ الارتياح، في وسط النّاجين.. (موسكو!)..
لقد رأيت قطار موسكو السرّيع، في المحطة..
موسكو لديها سيارّات خضراء، كُتب على اللافتات الملصقة بجسمها الممتلئ: موسكو- أوسلو..
كانت إحدى هذه السيارّات، محمّلة بالحصّى، في القطار اليومي، الذي يربط جوتنبرج - بأوسلو. وكنت قد سافرت بهذا القطار، واستنشقت الرّائحة الغرّيبة لليوسفي والتوابل، ولاحظت أن أرضيات ممرّاته، مغطاة باللّون الأحمر الدّاكن والسجاد النّاعم، حتى يتمكّن الرّكاب من المضي قدماً، دون إصدار صوت!
قال أحدنا وقتها: مجرّد السير في عرّبة قطار غير مألوفة، يكفي لجعلنا نشعر، بعدم الأمان!.. رُّبما قال: "لم نعد في المنزل"، بدلاً من "عدم الأمان".
صعد أحد أولئك الذين تم إنقاذهم على ظهر السفينة، من موقعه، لم يرّى القبطان في أي مكان، لكن رّأى ظهر أحد أفراد الطاقم.. فيما استدار الرّجل ونظر إليه.. كان وجهه بلا ملامح يمكن استقرائها..

)تقول الشـائعات)، أن القبطان، كان جالسـاً أمام آلة التلغرّاف، في انتظار الاتصال اللاسلكي من موسكو، فيما كان رجال (الكرّملين) على الجانب الآخر مجتمعين، لمناقشة القضية!..

(الكرملين).. هو لون ظهر حيوان كبير! قد يكون، فيل رّمادي عملاق، محاط بسـور ارتفاعه عشـرين متراً، وطوله كيلومترين، بخمسة بوابات، وثمانية عشرّة برجاً..

الكرّملين!. نادراً ما تأتي منه توجيهات مرّيحة، فقط الاتصـالات المزعجة!..

كل يوم، تنتظر سـيارّات الليموزين السـوداء خارج تلك البوابات الخمسـة، تدخل السـيارّات عبرها، وتختفي كما لو عبرت بوابة جبل، كما نقرأ عنها في القصص الخيالية!

خلف أسـوار موسـكو، كنائس وأديرّة، وقلاع تحوّلت إلى مكاتب حكوّمية ومتاحف.. وقباب الكرملين، مثل بصـل ذّهبي هائل الحجم، تقريباً مدفونة دائماً في ضـباب نوفمبر.. يمكن للمرء أن يشعر بها، كجدارٍ ضخم خلف الضّباب.

وبين الحين والآخر، يحدث فجأة أن يتشـقق الضّباب، ويحوّل تلك القباب إلى اللّون الأحمّر.. مشـهد رائع حقاً، ولكنه مخيف في الآن نفسه! لأن كل شيء يصبح واضحاً بشكلٍ مباغت!..

داخل الكرملين؛ خلف جدار بارتفاع عشرين متراً، محاط بحرّاسة جيدّة، تُجرّي اجتماعات في كل الأوقات، سواء داخل الضّباب أو تحت ضوء الشمس المتحوّل!

أن يتم تجميعكم معاً، في حجرّة أسـفل السـطح، يشـبه تماماً، أن تكون محتجزاً في قاع المحيط؛ إذن، تتخذ الوجوّه لوناً مختلفاً،

وكل الأصـوات، وكل الكلمات، تصـل إلى الأُذن بطرّيقة مختلفة، عن ما هو الأمر عليه لو لم تكن محتجزاً، وفي وضح النّهار..
هنا، كل شيء يصبح مختلفاً، حيث ينتظر المرء بشدّة لرؤية زّوج من الأرجل، يظهران ببطء على الدرَّج.. يأمل المرء أن يأتي وجه رّوسـي، لا يتفحصـه و يسـبر غورّه، كأنه متهم!.. كم عدد سـفن الصيد الرّوسية، التي تنزلق خفيّة على طول ساحلنا؟..
إذا نظرت إلى خرّيطة، تجد روسيا بلداً شاسعاً مترّامي الأطرّاف، غالباً ما كنت أتخيله.. تقريباً، مرتفع، ويرّمي بأطرّافه اليُسـرّى، بالكامل فوق بقيّة أوروبا، يبتلعها بالطرّيقة نفسـها، التي يبتلع بها الدّب فأراً، أو أي حيوان آخر!
الدُّب الرّوسـي. دائماً ما تُصـّورّه الرّسـوم الكرتونية، على أنه دب مثقوب!.. من على سـطح السـفينة، كان يُرى البحر مندفعاً نحو الأرض! خلف السفينة، تم سحب المخلوق ذي الفك المقصّي بعيداً، عن الأنظار في قاع المحيط. (السمك الفضي) في أوعية كبيرّة (لم يرّاها أحد)..
أحبت جحافل الغُزّاة، اقتحام أوروبا من الشـرق.. على ظهور الخيل: أتيلا، جنكيز خان، جحافل وحشية، رّجال صغار اغتصبوا النساء، ضحكوا بشرّاسة، أحرّقوا، نهبوا، قتلوا!..
الشمس تشرق في الشرق.. مدينة مورمانسك بأكملها، عبارّة عن ساحة ضخمة للأخشاب.. أتخيل الألوّاح البيضاء المتجمّدة، ويمكن أن أشـعر بالجليد على أسـناني، عندما أقضـم الألوّاح.. سـيبيريا، التندرا، السـهوب.. السـهوب اللانهائية.. تورُّم أزّرق.. المنفى في سيبيريا..

رأيت في كتاب للأطفال، رسومات لسجناء يعملون في مناجم الفحم، كانوا مقيدين بسلاسل ثقيلة، حول أرجلهم.. يُقال أن حالتهم المزّاجية، كانت رّطبة للغّاية، على الأرجح كانوا يتجمدون من البرد!

مركب الصّيد هو قارّب صغير نسبياً.. المحيط كبير، والصيد يتأرجح في مثل هذه الليلة من شهر أكتوبر، حيث يكون لّون المحيط رّمادي، مائل إلى الزُّرّقة.. لقد تم حبسهم (أو شعروا أنهم محبوسون) في حجرّة صغيرّة أسفل سطح السفينة الصغيرّة، في انتظار ظهور شخص ما على الدرّج. وبين الحين والآخر كان أحدهم يصعد، لكنه يعود خالي الوفاض!

وفوقهم السهم الموجود على شاشة الرّادار.. وفوقهم، انحنى رجال رّوس فوق الرّادار، الذي كشف عن ساحلِنا الأصفر، وخط حدودنا الأصفر.. ولا توجد رّسالة من التلغرّاف..

تأتي الرّسالة في شكل علامات، يقوم عامل التلغرّاف بعد ذلك بإعادة كتابتها.. من المستحيل بالنسبة لنا، أن نفهم الأبجدية الرّوسية، التي تتكوّن من علامات غرّيبة، لا يستطيع تفسيرّها سوّى الرّجال الغريبون.. في موسكو!

موسكو.. إنها كلمة ثقيلة، على ما أعتقد، مثل الصخور الرّمادية، أو الجلد الصلب. رّوسيا، أرض الكنائس والأديرّة، حيث جلد المتطرفون، أنفسهم في أقبية عارّية، ودعوا منقذهم يسوع، بلسان غير مفهوم وبدون موسيقى.. رّوسيا المقدّسة.. إيفان الرّهيب قُتل في دير، أمام مذبح.. الأيقونات والشموع الخافتة، في الخارج.. الشتاء الشتوّي.. العاصفة الشتوية والسهوب، التي لا نهاية لها..

لكن عبر السهوب، كانت الترويكا تجلد الرّجال بعنف، تجلدهم بسياطهم، في وضع نصف مستقيم!

يُقال، إن أولئك الذين تم سحبهم على متن سفينة الصيد، لم يتكلموا كثيراً. لقد ظلوا هادئين منكفئين على أنفسهم، وهم يتفاعلون بشدّة مع كل صوت، تلتقطه أُذن أحدهم!

كانت الرؤية في تلك الليلة ضعيفة، إلا أنه لو وجه شخصاً ما على الشاطئ بالصدفة البحتة، وبعدسة دقيقة جداً، تلسكوباً نحو سفينة الصيد الرّوسية، لكانوا قد تمكنوا من رّصده.. فالبعض كان يصر، على أن الغرّض من سفينة الصيد الرّوسية هو التجسس!

في فصل الشتاء، تكون البحار الرّوسية مغطاة بالجليد، ومن المرّجح أن يكون صوت قواطع الخشب، من بين أولى الضوضاء، التي يتعرّض لها كل طفل رّوسي!

على سطح السفينة، عمل الطاقم دون توقف، ولكن لم يتمكن أيٌّ من المتجمعين أدناه، من تحديد الهدف.. عبر الهواء، وفوق الغابات الفنلندية، والوديان السويدية، وسلاسل الجبال النرويجية، في أي لحظة قد تأتي إشعارّات من الكرملين..

في الكرملين: جوزّيف ستالين في مكان ما أو آخر سواه، مرئي أو غير مرئي!.. الرّجل الغامض، الذي كان يجب أن يكون قسيساً، الجورجي الذي ابتسم وهو يذبح النّاس.. محاكمات موسكو، غسيل الأدمغة.. الوّعي، الذي لم يعد يعمل كما ينبغي.

لطالما كانت روسيا مختبئة في الضباب.. ظهر الرّجال الصامتين دائماً فجأة بين رجالنا، دون أن يكونوا قادرين، على شرّح أنفسهم!..

من بين صـــوّر كتب التارّيخ، أن كل التارّيخ الرّوســـي، حدث في أيام الصـقيع، جرت وقائعه مع الرّياح، التي تعوّي عبر السـهوب.. موســـكو، المدينة الحصـــينة، حيث يعيش الرّجال الذين يختفون، عنـدمـا تُلقي عليهم نظرّة خـاطفـة، والـذين يحرقون منـازلهم ويصـــرّخون، وفجأة يصـــطدمون بك في الليل، كما لو كانوا مع قوات هتلر.. قوات نابليون، في انســـحابهم عبر المناظر الطبيعية المحروقة!

مدن ميتة ومدمرّة، ومخازن غلال محترّقة.. على لوحة عند قبر ستالين، رُسمت ست وجوه منيعة حول نعشه، وأجساد منتصبة، وماليكوف، الذي كان يشبه سمكة، يرتدي ملابس واسعة جداً.

يُقال، أن المحبوسـين شـعروا، أن الوقت قد توقف!.. أسـفل سـطح السـفينة، يمكن للمرء أن يسمع بوضـوح، صـوت صـرّير المحرّك (يبدو أنـه كـان موجوداً، في المقصـــورّة المجـاورّة).. عند نقطـة واحدة توقف.. صـــعد أحدهم على ســطح الســفينة، ورآهم يرمون (صدى الصوت) في البحر، هذه الأداة التي تُستخدم لقياس الوقت، الذي يمر بين اللحظة، التي تغادر فيها الإشـارّة السـفينة. واللحظة؛ التي يعود فيها صـــدّى الصّـــوت، من قاعِ المحيط. ولكن أيضـــاً، تُســتخدم لتســجيل منســوب الميّاه الضــحلة، حيث الأســماك التي تمرّح، بين السفينة وقاع المحيط!

عاد الرّجل الذي رأى كل هذا، إلى الآخرين وأخبرّهم، أن مقياس الصـدى قد أُلقي في البحر، وأنه لا توجد مسـاحة كبيرّة على سـفينة الصّـيد، وقد يبدو أن للسـفينة عدداً من الزّوايا والأركان، أكثر مما يوجد في الواقع، ثم لم يعد يذكر موسكو!

تحدثوا عن مدى حظهم في كونهم أُنقذوا من الغرّق (لم يعبّروا عن خوفهم، إلا في وقتٍ لاحق، بعد عودتهم إلى الأرض).
يُقال أن جميع الأنابيب، وجميع الأسلاك، اتخذّت شكل كابلات الهاتف.. داخلياً، كان العديد من الذين تم إنقاذهم قد لاذوا بصمتٍ رّهيب!.. التقى أحدهم بأحد الضباط في الممّر، الذي يفصل الكبائن عن المطبخ، وحاول التحدُّث إليه بالألمانية والإنجليزية، دون نجاح يُذكر. حاول أن يشير إلى أنهم، كل ما يريدونه هو الذّهاب إلى الشاطئ، لكن الضابط اكتفى بالابتسام!
موسكو.. إيفان الرّهيب.. ثورّة أكتوبر.. الذئاب البرّية المفترّسة، عبر السهوب.. دَّم.. حاول الهروب.. سيبيريا.. لينين.. بيريا.. القادة السرّيون، يبيدون بعضهم البعض.. دوستويفسكي.. راسبوتين.. معاناة.. كفارّة.. يعبرون حُفاة القدمين، في الثلج خارّج الأديرّة البطريركية.. المبارزات.. جدران الكرملين، التي يبلغ ارتفاعها عشرين متراً، والتي تُتَخذ القرارّات المصيرّية خلفها!..
لقد دفع أحدهم نفسه للجنون داخل دير! فتحت الأبواب نفسها وهربت منتحبة، نصف عارّية، على الثلج، في كابوس متكرّر الحدوث، وأنا مستلقٍ على ديوان شعر، أقرأه في الشقة التي نشأت فيها، وفجأة ينتفخ المصباح ويبتلع الضوء! توهج الخيوط، هو المصدر الوحيد للضوء، ويخبرني أحدهم أنني سأضطر، إلى سحب القابس!..
في الوقت نفسه، قرأت في إحدى الصحف، أنني سأقوم برّحلة إلى موسكو.. لماذا شعر الأمريكي، وليام موت، بضرورّة تهرّيب نفسه إلى الأراضي الرّوسية، وهو يعلم المخاطر؟.. ولماذا انتحر عندما كانوا محشورّين، مع عدد غير معروف من الرّوس، داخل

عرّبة قطار؟.. عندما ناقشنا هذا الأمر، قال شخص ما كنت أعرّفه:
يُقال، أنه تعرض للتعذّيب.. لاحظت اختيارّهم للكلمات، وقلت إننا عادةً نميل إلى القول، إن النّاس يتعرّضون للتعذّيب.. فأجاب: هذا يحدث في رّوسيا.. التعذيب.. رّوسيا المقدّسة.. الدُّب الرّوسي.. الدَّم يتدفق عبر السهوب.. أسمع صرّخات من معسكرات الاعتقال، من الداخل على (التندرا)..
لاحظ بعض الذين تم انقاذهم، مرّة أو مرّتين، أن سفينة الصيد كانت تغرّف صيدها.. بريق من سمك الفضة، يتلوى، الفضة.. درّست صورّة الرّنجة في موسوعة، الشيء الذي أذهلني هو أن رأسها، على عكس معظم الأسماك الأخرى، يخلو من الضغينة! ومع ذلك، ما زلت أجد رأسها بغيضاً!
يُقال، إنه بسبب المحادثات المزّعومة، بين موسكو والسفينة، وجد معظم الرّكاب، أن الآخرين بغيضين! وأن العديد منهم، لا يرغبون في شيء أكثر، من أن يكونوا بمفردهم في هذه اللحظة!..
هناك كثيرون يتساءلون، عما تفعله سفن الصيد الرّوسية قرب سواحلنا، تم اكتشافها في بعض الأحيان على طول الطرّيق على الشاطئ، وعندما يتم اكتشافها، فإنها تختفي دون أن تترك خلفها أثر، فنادراً ما يتم القبض عليها، أو لا يتم القبض عليها أبداً!
في كثير من الأحيان، لا يستطيع المرء حتى أن يكون متأكداً، مما إذا كانت سفن الصيد الرّوسية، هي التي يراها. فكأنهم غير موجودين!..
أتذكر السرعة القياسية للوقت، التي سجلها، المتزلجون الرّوس على الجليد، في (ألما آتا)، كان هناك القليل ممن صدقوا ذلك حقاً،

وإذا صـــدقوا ذلك، فقد كانوا على الأقل قادرّين، على التصـــرّف، كمـا لو كـانوا غير موجودين تقريبـاً. يظهرون فقط، بين الحين والآخر، فتشعر وقتها بوجودهم!

هناك ســـجل زّمني في الصـــحف مقلق جداً. في أحد أيام فبراير جاءوا إلى هيلســينغفورس. كانت الصــحيفة قد نشــرّت صــورّة، تركت انطبـاعـاً قويـاً في أذهـان النّـاس، بـدى فيهـا خمســـة من المتزلجين الرّوس، يرتـدون ملابس رّيـاضـــيـة ســـوداء، تحت الأضــواء الكاشــفة، وحولهم ســطح جليدي لامع.. كانت الصــورّة مصـحوبة بتعليق مختصـر، وكان الأمر بأكمله، أشبه بالتحدّيق في شـــيء، يحدث في قـاع المحيط. وكـانت على صـــدورّهم، هذه العلامات الغرّيبة التي لم أرها من قبل!

بين الحين والآخر، يمكن للمرء أن يســمع، أن الرّوس، كانوا على متن السفينة، وأنهم كانوا يراقبونهم.

لكن يُقال إنهم كانوا يشـــعرون، بأن كل حركاتهم، كانت مرّاقبة.. كأن حتى الغيوم، كانت ترّاقبهم!

تم العثور على أحد أولئك الذين تم إنقاذهم، مطعوناً بجســـمٍ حاد، وهو في طريقه للخروج من الحمام. صـــرّخ بوّحشـــية وأخاف صراخه الجميع. لكن، لم يفعل أي واحد منهم شيئاً!

بســبب ضـــعف الرؤية، لم يتمكن أيٌّ من الذين تم إنقاذهم، توجيه اتهام لأي أحد!.. في مرحلة ما أو أخرى، يجب أن تكون ســـفينة الصيد، قد غيرّت مسارّها واتجهت نحو اليابسة، إذ تم السماح لهم بالوصول إلى الشاطئ في ايجسوند..

صعدوا السلالم وخرجوا إلى ظهر السفينة، ومشوا عبر السطح، ونزلوا على اللّوح الخشبي. فقابلهم مصورو الصحف.. ابتسموا بضعف.. البعض منهم نأى بنفسه!

يقال إن رجالاً ضئيلين، بوجوه عرّيضة، كانوا يقفون عند درابزين سفينة الصيد، التي بدت طويلة، ومظلمة بشكل مذّهل، يحدّقون في اتجاه الأرض بطرّيقة لا يمكن فهمها!..

نحن هنا، ايسيجول سافاس
We are here ، Aysegul Savas

انقضى الصّيف. وعلى طول نّهر الفولغا، تم طّي خيام البيرّة، التي جمعتنا خلال أسابيعه الأولى، وُوضعت في الشاحنات.
لبضـــعة أيام، جلس طلاب المدينة بين القطبين. بحلول الأســبوع التالي، تم تكدّيس الأعمدّة، وحملها بعيداً. وبدا الممّر على المياه الرّمادية فارغاً، قلّبت الأشـــجار أورّاقها واســـقطتها، مثل طلاء تقشـير المباني الصـفراء، في المدينة، مع أول رّيح حادّة اجتاحت النّهر. ظهرّت القبعات المستديرّة المهيبة، ومعاطف الفرو أيضاً!
لقد كان مشـهداً كنا نتخيله دائماً. كانت المقاهي مضـاءة بالنّيون في النّهار. السُكارى المنفردين، يجلسون في الحدائق الفارّغة. النسـاء العجائز في اللّباد والصّوف، يبعن الخُضار.
آخيراً، كان لدينا شـــعور من أين أتينا. وقد أســـعدتنا الكآبة.. كنا نتمنى أن تصبح الأشياء أغمق وأكثر برودة. تمنينا انعكاس الضّوء على الثلج الرّمادي. وكدنا نهتف للنادلات العابســات، على أمل أن يتجاهلننا لفترّة أطول، وتجاهلننا فعلاً، عندما ســـألناهن بلهجاتنا الكوميدية، عما إذا كان لديهن (البلميني). كنا ننظر إلى بعضـــنا البعض، ثم نبتسم منتصرين.. ونقول:
"مرحباً بك في رّوسيا".
وفي الجامعة، زُينت غُرّف النّوم الخاصة بنا، بملصقات من الحقبة السوفيتية للعاملات؛ إعلانات الشوكولاتة، مع وجه الصّبي النمش

كوزيا؛ شخصيات كرتونية لم نكبر معها. كنا نشعر بالحنين، إلى أشياء لا تخصنا. لقد ولدنا بعد فوات الأوان بعدّة عقود.
كنا نتوق لأشياء أكثر واقعية وبالية قليلاً. كان كل منا قد شرع في قراءة (الإتقان) و(مارغريتا) باللُّغّة الرّوسية، و(الآخر)، و(الحرب والسلام).
حددنا أهدافنا دون تردد في سنتنا الأولى في الجامعة، بينما كنا نكافح من أجل اقترّان الحالة الجينية. قلنا إننا كنا دائماً منجذبين إلى هذه الثقافة وشعبها، واستخدمنا كلمات مثل "رّواقي" و "نبيل" لوصف شغفنا.

***

كان هناك عدد قليل من الأجانب الآخرين في المدينة. التقينا بهم في مقهى الإنترنت، حيث كان كل الأجانب يتجمعون يومياً.. رجل أعمال ألماني، عاش لمدّة عام في ولاية ديلاوير، أخذنا جميعاً، لتناول العشاء في أسبوعنا الأول، عندما كنا على استعداد لفعل أي شيء. كنا نلتقي بعد الفصل الدرّاسي للذهاب إلى السوق، وتجرّبة الأطعمة الأكثر غرّابة؛ ذهبنا إلى الساونا، حتى قبل أن يصبح الطقس بارداً. قال لنا رّجل الأعمال في العشاء:
"أنتن يا رفيقات رّائعات".
وأمرنا بإطلاق النّار، قائلاً: "أنتن تذكرنني بسنوات درّاستي."
بعد ذلك، عندما وقفنا نرتجف في الخارج، نسعل من السجائر، قال: "مرحبا بكم جميعاً في روسيا. هناك الكثير من المرّح هنا".
ثم لم نرّه مرّةً أُخرّى.. كان هناك الصبيان المبشرون، أو هذا ما توقعناه، لأن مظهرهما الجميل لا يتناسب مع طرقهما الخجولة.

كانا مندهشـــين من نكاتنا. وكانت هناك فتيات إيطاليات، يأتين للعمل في دار للأيتام.
ســـنلتقي جميعاً في فرايد شـــيكن كنتاكي، ربما فقط لإثبات هدف نزوحنا، وشـعور القرّابة، الذي يربط بيننا، بينما كنا نأكل أسـافين البطاطس. قلنا: "أخيراً، شـيء بدون قشـدّة حامضـة.. شـيء غير مخلل"
كل صـباح في الفصـل، نقول لبعضـنا البعض، ما أعدته عائلاتنا المضـيفة، لتناول العشـاء.. ثعبان البحر المدّخن، الملفوف من مائة نوع، الفطائر مع الجبن. لسبب ما، كل هذا يجعلنا نقهقه بالضحك.
تبادلنا قَصّص مضيفينا في نّوع من المنافسة، ورّاقبنا كل ما فعلوه، مثل علماء الأنثروبولوجيا أو الكوميديين..
تنام إحدانا على أرّيكة قابلة للطّي، في المطبخ. يشـــتبه أحدهم في أن (العم)، الذي كان يزور الأسـرّة أسـبوعياً، بينما كان الأب في سـويسـرا، هو في الواقع (عاشـق للأم).. كانت هذه هي القصـص، التي كنا نتشاركها!
عندما عدنا في العام التالي، وفي حكينا لبعضـــنا البعض، جعلنا قصـص هذا العالم المحيّر، الذي رأيناه، شـرّعية، أنها قصـص من تجرّبتنا، في الحيّاة.
قبل وصـــولي، كنت أتخيل اســتســلامي لهذا الوقت، كما لو كنت أدخل شرّنقة. كنت سأخرج بعد عام منه متحولة، إلى نسخة أفضل من نفسي. كنت على ثقة من أن العام، سوف يملأني بكل الأشياء، التي كنت أفتقدها، حتى دون أن أعرف ما هي.
عشـــت مع غالينا إيفانوفنا، وهي امرأة عجوز بشـــعر برتقالي، يتطابق لونها مع الأزّهار الصغيرّة، على فساتينها القطنية.

كانت تسير في الممّر، طوال اليوم صعوداً وهبوطاً، تطبق على خلية متنامية من الأكياس البلاستيكية، تتدّلى من مقبض المبرد، وتضع بقايا الطعام في الثلاجة أو الشُرفة، ثم تغيّر أماكنها دون سبب واضح!

خمنت أنها كانت في الثمانينيات من عمرها، لكن بدا النّاس أكبر من سنواتهم. (أطلقنا على هذا الأمر "التحوّل الرّوسي" كل الفتيات الشقرّاوات النحيفات، يتحوّلن بين عشية وضحاها إلى بابوشكا).

عاشت غالينا إيفانوفنا في وسط المدينة، بالقرب من الجامعة، حيث كنا ندرّس. كان لمبناها الحجرّي نوافذ مقوّسة، وباب مثير للإعجاب مستدير الصدأ. أخبرّتني بفخر أنه تم تصوير فيلم مرّة واحدة في هذا المبنى.

في الدّاخل، كانت تفوح منها رّائحة العفن. الشقة نفسها قديمّة جداً، وقد تم تأمين شقوق أنابيبها المسرّبة، بنظام من الأربطة المطاطية، والقطن والكرتون.

كنت أنام في غرّفة المعيشة في الدّيوان، بجوار خزّانة زّجاجية، مكدّسة بطقم طعام صيني أزرّق، وكؤوس كريستالية. بجانبهم وُضعت محاليل وكرّيمات.

عند الإفطار والعشاء، نجلس عبر طاولة المطبخ على كرسيين، وتسألني غالينا إيفانوفنا: "حساء، الآن؟ الدّجاج، الآن؟ "

ثم تقدم لي الأطباق واحداً تلو الآخر، بغض النّظر عن إجابتي.. منذ اللحظة التي قدمت لها نفسي، رّمت باسمي عرض الحائط، وأخذت تناديني (ماشا).. قالت خلال عشائنا الأول من الحساء والفطائر: "أنت وأنا فقط، ماشا".

توفيت شـــقيقتها إيرينـا، التي كـانـت تعيش في الطـابق العلوي، مؤخراً.. كانت إيرينا أيضـــاً أماً مضـــيفة حتى النّهاية. لم أكن أعرّف، ما إذا كان هذا أمراً جيداً، أم علامة على المشـــقّة. قالت غالينا إيفانوفنا، إن طفلي إيرينا كانا يعيشان في موسكو.
"وأطفالك؟"
هزّت رأسها، فسألتها: "هل تحبين الطلاب؟".
نهضـــت غالينا إيفانوفنا من على الطاولة. بعد بضـــع دقائق عادت بألبوم صور، وسحبت كرّسيها بجانب كرّسيي. بدأت من الصفحة الأولى، أخذت تتصفح الالبوم صفحة، تلو الأخرى..
صـوّر فتيات يرتدين سـترّات جامعية وسـترّات محبوكة، يبتسـمن بشكل مشرق أمام الخزّانة الزّجاجية. قالت: "سـاشـا، علياء، لارا. (تانيا، كاتيا)"
كانت هناك أيضـًـا صـــوّر للفتيات، وهن تعانقن غالينا إيفانوفنا أو تُمســكن بيدها. لوّحت بيدها في الهواء، وكأنها ترفضـــهن، وكأنها محرّجة، لكنها لم تتعجّل قلب الصفحة.
في نهاية الألبوم، كانت هناك عدّة صـوّر، تم إرسـالها من الولايات المتحـدّة، لتجمعـات عيـد الميلاد، ورّحلات التنزّه، وقلعـة ديزني لاند. قالت غالينا إيفانوفنا: "هذه فلوريدا..هذه مين Maine"
لقد أخرّجت الصوّر من الغطاء البلاستيكي، لتزّيني أسماء الأماكن المكتوبة بالحروف السـيريالية على ظهرها. كان من الواضـــح أن هؤلاء الفتيات، شاركنها شيئاً من حياتهن الخاصـة، هن المفضـلات لديها، وتذكرهن بأسمائهن الحقيقية. قالت: "ياه، جيسيكا.. انظري، جميلة ستيفاني"

في المساء التالي، بينما كنا نجلس في المطبخ بعد العشاء، سألتني ما إذا كنت أرغب في الذهاب إلى المسرّح. فهي يمكنها أن تطلب من صديقتها، التي كانت تعمل في كشك التذاكر، أن تدخلنا. قلت: "شكراً.."

"هذا حسُن"

حاولت أن أوضح لها، أنني لن أفهم مسرّحية باللُغّة الرّوسية.. فقالت: "إنها حفلة موسيقية؟"

قلت مرّة أخرى: "هذا جيد.. شكراً جزيلاً."

كنت أُخطط للانضمام إلى الآخرين، بعد الفصل الدرّاسي، للذهاب إلى (فرايد شيكن كنتاكي). قالت: "إيرينا تحب المسرح"

وتساءلت عما إذا كانت تتحدّث بصيغة المضارّع من أجلي. فقلت: "أتمنى لو كنت أعرفها".

"ألن تشعري بالملل هنا، وأنت لا تفعلين شيئاً؟"

فتحت يدي على شكل كتاب. لقد استحوذتني القراءة والكتابة. بعد فترّة قالت: "ذهب الجميع".

أومأت برأسي. ثم قلت: "أنا هنا.. أنت هنا"

وبعد أن قمنا بتنظيف الطاولة، تبعتني إلى غرّفتي، وأخرجت إطاراً من الجزء الخلفي من الخزّانة الزّجاجية، وأشارّت إلى صورّة رّجل بشارب، يرتدي أوسمّة عسكرّية وقالت: "زوجي.. هو سافر أيضاً، يقرأ كثيراً، مثلكم".

في اليوم التالي في الفصل، أخبرت الأخريات أن والدتي المضيفة، كانت شخصية حقيقية، قلت: "يا رّفيقات.. أعتقد أنها تتواصل مع الموتى."

***

بحلول نوفمبر، أصبحت الأشجار ذّابلة.. لقد فعلنا كل ما يمكن القيام به في هذه المدينة. زرنا الكاتدرّائية، وسرنا في الممّر المفضي إلى قلعة القرون الوسطّى، وذهبنا لقطف الفطر مع أحد المضيفين، وارتدنا المرقص، حتى أننا ذهبنا لمشاهدة مسرّحية، ما لبثنا أن غادرناها بعد الفصل الأول.. قمنا بزيارّة الفتيات الإيطاليات، في دار الأيتام. وقضينا فترّة ما بعد الظهيرّة، في الرّسم مع الأطفال.. قمنا برّحلة في عطلة نهاية الأسبوع، إلى ملكية تولستوي، حيث اشترينا قبعات من الفرو، وشالات مزّينة بالأزهار، مثل النساء المسنات، في السوق..

وعندما عُدت إلى المنزل من هذه الرّحلة، كان شالي ملفوفاً بمثلث على ظهري، وأخذتني غالينا إيفانوفنا من ذرّاعي إلى غرفتها، وأجلستني على السرّير..

ثم أحضرّت رزمة مربوطة بقطعة قماش، من خزّانة الملابس؛ وبعثرّتها على الأرض، وقالت وهي تحمل قميصاً قصيراً: "أمي". قالت ذلك وهي تفرد بين يديها مفرشاً، بمناديله المطابقة، وثوباً من الكريب.. قلت: "لقد تأثرت بخياطتها اليدوية"

فأومأت برأسها، وهي تكرّر مرّة أخرّى: "أمي".

في الأسفل، كان هناك زّوج من الجوارّب الخاصة بالأطفال، وفستان صغير أزرّق بمربعات..

في ذلك المساء، طلبت مني غالينا إيفانوفنا الجلوس معها في غرفتها، لمشاهدّة عرض عن فتاة في المدرّسة الثانوية، بنظارّات مقوّسة سمّيكة.. تناولنا الشاي، وذهبت غالينا إيفانوفنا إلى خزّانة ملابسها، وأحضرّت كيساً من الحلوّيات، وعندما بدأ العرض،

أشارّت إلى الممثل ذي الشعر الدّاكن، وقالت: "إنها تحبه.. لكنه لا ينتبه لها"
خمنّت أن البطلة ستخضع لنّوع من التحوّل، في الحلقات القادمة، كما يفعلون عادةً.. استيقظت أثناء الاسترّاحة التجارّية، وشكّلت يدي بهيئة وسادة، أرحت خدّي عليها. لوّحت لي غالينا إيفانوفنا ثم قالت: "حسناً، إذن"
استلقيت على الصّوفا، وأنهيت تمارّين القواعد، وفي اليوم التالي أضفت بعض التفاصيل إلى الفقرّة التي تصف مسقط رّأسي، فكتبت أن هناك أشجار قيقب كبيرّة، تشتهر بألوانها الخرّيفية، وأن أفراد عائلتي يعيشون بالقرب من مدينة؛ على الرُّغم من أنها كانت صغيرّة، إلا أنها كانت مدينة جميلة.. حاولت استخدام كل الكلمات، التي أعرفها في اللُّغّة الرّوسية، على الرُّغم من أن ذّخيرتي، كانت محدودّة..
استخدمت كلمات مثل: مكتب بريد، مكتبة، حدّيقة، مقعد، حمام سباحة، سينما.. بعد ذلك، أخرجت دفتر يومياتي، حيث كنت أسجل التفاصيل كل مساء:
رّائحة الشمندّر في الشقة، وقطع الصحف المربعة، لاستخدامها كورّق تواليت.. أضفت حزّمة الملابس القديمّة، التي أطلعتني عليها "غالينا إيفانوفنا"، وعُلبة الحلوّى، التي لا معنى لها، في خزّانة ملابسها.

***

كان هناك الضجر الذي بالغنا فيه، اللّعنة!.. هذه المدينة مملة!.. وكان هناك الملّل في حد ذّاته.. كل مساء بعد الفصل الدرّاسي، كنت أمشي مسافة بضع كُتل من الأبنية، إلى مبنى غالينا إيفانوفنا،

ثم أعود إلى الجامعة، لأداء واجباتي المدرّسية.. بعد ذلك، كنت أتجوّل في المدّينة، وينتهي بي الأمر بجوار الكاتدرّائية.
كان الآخرون قد ذهبوا إلى عائلاتهم المضيفة، فهم يعيشون جميعاً في الضوّاحي، وكانوا قلقين بشأن العودّة في المساء، فالحافلات كانت أقل نشاطاً، وكنت محظوظة لكوني أعيش في المركز، مع حرّية المجئ والذهاب كما يحلو لي. قالت الأُخريات إنه لم يكن هناك شيء على الإطلاق حول أحيائهم، لا متجر ولا حديقة، فقط الكُتَل الخرّسانية الكئيبة جنباً إلى جنب على طول الطرّيق.
أخبرنني أنه بمجرد عودتهن إلى المنزل، يجدن أنفسهن مسجونات إلى حد ما. ربما كان هذا هو سبب بدء مشاركتهن في حيّاة عائلاتهن. يرعين الأطفال، ويزرن المعارّف، ويساعدن في إعداد الأطباق التقليدية، التي تستغرق وقتاً طويلاً. عندما استقرّن على روتين حياتهن، اعتقدت أنني لست محظوظة، رغم كل شيء، كنت أفتقر إلى تجرّبة حقيقية.
في المساء، كنت أستلقي على الصوفا، أفكر فيما إذا كان لدي أي شيء آخر لأضيفه، إلى دفتر يومياتي. لقد سبق لي أن وصفت المدينة، بالإضافة إلى بعض الحقائق والأساطير التارّيخية، نسخت قصائد من دكتور زيفاجو، كنت قد أحضرتها معي للإلهام.
بعد انتهاء برنامجها التلفزيوني، كانت غالينا إيفانوفنا تأتي إلى غُرفتي، دون أن تطرق على الباب، وتجلس على حافة سريرّي..
أخبرتني ما الذي سنتناوله على الإفطار، والعشاء، وعندما أكدت لها، قالت: "في هذه الحالة، سأذهب إلى السوق غداً"
اعتقدت أن هذه رُبما كانت طريقتها في السؤال، عما إذا كنت أرغب في الانضمام إليها. في بعض الأحيان، أثناء حديثها، كانت

تبدأ في فك أزرّار فســـتانها، دون أدنى علامة على عدّم الرّاحة. كانت ترتدي طبقات من الملابس، تحتها قميص قطنِّي مطوّي في سروالها الداخلي، وجوارِب طويلة، بحيث لم تكن عارّية أبداً! ومع ذلك، كان ذلك يُدهشني كثيراً!

في المرّة الأولى؛ التي حدّث فيها ذلك، لدرّجة أنني نهضت وذهبت إلى الخزّانة، لإخفاء الأغراض الداخلية الخاصــة بي. خلعت غالينا إيفانوفنا فستانها، ولفته على ركبتيها.. سألتها، ما إذا كانت تستعد للنّوم.. فقالت: "لا تقلقي بشـــأن ذلك، لدي فقط بعض الأشـــياء لإنهائها"

كما لو كنت قد عرضـت عليها مسـاعدتها، في جميع أنحاء الشـقة، حتى تتمكن من النّوم بسرعة..

لقد استمتعت بالتفكير في كل الطرّق، التي يمكنني من خلالها سّرد المواقف للآخرين. لكن فترّة التنافس في سّـــرد الانحرّافات لدى مضيفينا، كانت قد مرّت بالفعل.

***

في نّهاية شـهر تشـرين الثاني (نوفمبر)، وصـل صـندوق من أحد أولياء أمور الطالبات، ملئ بألواح ســنيكرز، والحلوى الحامضـــة والفشار، ومجموعة كبيرّة من الكتب.

يجب أن يكون قد تم إخبار الوالد، بأننا قد استنفدنا مخزوننا الغذائي بالكامل، بالإضـــافة إلى الكتب فمكتبة المدينة، كانت تحتوي على ثلاثة كتب فقط باللُغّة الإنجليزية: صــورّة دوريان غراي، ونســاء صغيرّات، ونداء البرّية.

في الصـــندوق كانت هناك أيضـــاً أفلام إثارة، ورّوايات تجســـس، وكتب عن الأماكن الغريبة، والشذّوذ التارّيخي، كتب تدور أحداثها في كابول وشنغهاي وسانت بطرسبرغ، عن الثوار أو الخياطات.
قسـمنا الكتب بيننا وتبادلناها بانتظام. قرأت أسـرع من الأُخرّيات، وأنا أحثهن على إنهاء كتبهن بسـرعة. أعطتني بعضـهن إياها دون إكمـال قراءتهـا حتى النّهـايـة. في ذلك الوقت كنَّ مرتـاحـات في أعمالهنَّ الرّوتينية. لاحظت التغيير الذي طرأ عليهنَّ، في هدوئهنَّ، والانحسار التدرّيجي للحيرّة، بسبب هذه الحيّاة الجديدّة.
كنـت أقرأ دون تقنين، أذهـب إلى غرّفتي بمجرد وصـــولي إلى المنزل، دون إعطاء الفرصـــة لغالينا إيفانوفنا للمجيء والحكّي عن يومها.
لقد اعتدنا أيضـــاً على رّوتين، تمضـــي أيامنا دون إزعاج لبعضـــنا البعض. غـادرّت المنزل قبل الإفطـار، وقرأت في الفصـــــل قبل وصـــول الآخرين. انضـــممت إلى غالينا ايفانوفنا لتناول العشـــاء، واســـتيقظت لغســـل صـــحوني بمجرد انتهائي، على الرُّغم من احتجاجها على تركها في الحوض.
ثم ذهبت إلى غُرّفتي للقراءة. اختلطت الشـــخصـــيات والمناطق الجغرافية معاً، الغرّيب والمألوف، المأســاة والفرح. كنت ســعيدّة، لاكتشـاف قُدرّتي على التركيز، لقراءة كل ما جاء في طرّيقي، كما لو كـان هذا دليلاً على الشـــغّف.. كمـا لو أن هذا بدايـة تحوّلي، أخيراً!.

***

تم انغمســـت الأُخرّيات في الدوائر الاجتماعية لإخوّة أو أخوّات المضيفات. في ممارّسة بعض هُوّايات:

الرّســـم على الخشـــب، والأيقونات، والغنَّاء مع الجوقة المحلية. فشـــكلّت إحدى الفتيات فريق الكرّة اللينة بين الطالبات الرّوس، ودربتهنَّ في المساء. وساعدناها في تنظيم بيع المخبوزات، لشراء فانلات الفريق، فيما حضـر جميع الطلاب والأسـاتذة سـعداء بهذا الأمر..

فتاة أخرى أعطت دروس اللُغّة الإنجليزية في دار الأيتام. أخبرنا منسق البرنامج أننا مجموعة مثالية. لقد تكيفنا بشكل جيد وسرّيع.

ولم يكن هناك سـوى حدث مؤسـف واحد، عندما تعرّضـت طالبة للسرّقة في وقت متأخر من إحدى الليالي، كانت في طريق عودتها مع شـقيقة المضـيف، من المرقص إلى المنزل. أرسـلت جامعتنا رسـائل إلكترونية من التعاطف والتحذّير، لكننا فهمنا أن هذا النّوع من الأمور، قد يحدّث في أي مكان.

***

في الليلـة الأولى للثلج، قررّت الـذّهـاب في نُزّهـة على الأقـدام. جـاءت غـالينـا إيفـانوفنـا إلى البـاب، فيمـا كنـت أرتـدي حـذائي، وأخبرّتني أن الجو بـارد جداً، بحيث لا يمكنني الخروج.. قـالـت: "اجلسي معي وشاهدي العرض".

ابتســمت كفتاة، ومدّت يدها وهي تمســك بذرّاعي. "ماشــا، لماذا تريدين دائماً أن تكوني وحيدّة؟"

أخبرتها أنني لا أسـتطيع فعلاً متابعة ما يجري في العرض. قالت: "هُراء، انظري كيف تتكلمين"

قلت لها: "معي مفاتيح. لا ينبغي لك أن تقلقي بشـأني، عندما أعود إلى المنزل للنّوم"

مررت بالجامعة والمتنزّه فالكاتدرائية. تطايرّت رُقاقات الثلج بصمت، في ضوء مصابيح الشوارّع. كانت الساحة فارّغة. أخذت من الكاتدرائية، أحد الطرّق المفضية إلى الخارج، مثل الأشعة. كانت هذه ميزّة فريدة في تخطيط هذه المدينة في العصور الوسطى، فقمت بتضمينها في دفتر يومياتي. وصلت النّهر المتجمد سطحه في غشاء رّقيق.. مشيّت نحو القلعة. على الشاطئ الآخر، تلاشت المدينة، مفسحةً المجال لجدارٍ مظلم من الأشجار.

كنت أفكر في السطور، التي قد أضيفها إلى دفتر يومياتي، في محاولة لتذكر مشهد الساحة الفارّغة الممتلئة بالثلج، عندما سمعت صوتاً خلفي، يطلب منّي توّخي الحذّر!

وقف شاب في مثل سنِّي، على بُعد أمتار قليلة يدّخن سيجارّة. ابتسم بشكل غامض. فأومأت برأسي. قال مرّة أخرى: "كوني حذرّة.. سوف تتجمدِّين"

لم أكن أعرّف ما إذا كانت كلماته مهددّة، أم ودودة فهززّت كتفي.. فأضاف: "ماذا تفعلين هنا، على أي حال؟"

واقترّب. بدا لي مألوفاً، فسألته: "هل أنت شاعر أم أي شيء من هذا القبيل؟"

"لا"

بدأت أسير في اتجاه الكاتدرّائية، وسمعته يضحك خلفي؛ وهو يصرخ: "مهلاً.. ما بك؟"

لسبب ما، على الرُّغم من أنني لم أشعر بأي خطر، إلا أنني أسرّعت الخُطى، وبمجرد وصولي إلى الكاتدرّائية، بدأت في الجري!

في المنزل، لاحظت أن الأموال التي تم جمعها، وكانت في جيب معطفي قد تساقطت.. في صباح اليوم التالي، بعد حصة الثقافة، طلبت مقابلة المنسقة، وأخبرتها أنني تعرضت للسرقة في الليلة السابقة.. وأضفت: "لا شيء جاد.. لا خسارّة حقيقية."
لكنَّني أخبرتها أنني قررّت العودّة، بدلاً من البقاء لفصل الرّبيع أيضاً. قالت المنسقة، إنه لا يجب أن أتسرّع في اتخاذ قرّار. سيكون من العّار أن أعود الآن، تماماً!
كما أنني كنت أشعر بالرّاحة في اللُغَّة الرّوسية. اتفقت معها، وكانت تومئ برأسها طوال الوقت، الذي تحادثنا فيه.. ثم سألتني: "متى ستحصلين على مثل هذه الفرصة، مرّةً أُخرّى؟"
أضفت: "في الواقع، هناك مشكلة أُخرّى: لم يكن لدي فرصة كبيرة، للتحدُّث بالرّوسية مع مضيفتي، فهي كبيرّة في السن، ولستُ متأكدّة من أنها قادرّة تماماً على استضافة طالبة في سنِّي".
لقد أشرت إلى حقيقة أنه، بالإضافة إلى قيودها الجسدية، رُّبما لم تكن قادرّة، من ناحية عقلية أيضاً!
"لم يكن بإمكانها التمييّز بوضوح بين الأحياء والأموات، وقد خلعت ملابسها أمامي في عدّة مناسبات"
انزعجت المستشارّة.. وقالت: "لم نكن نعرّف شيئاً عن هذا، فقد أحبتها جميع الفتيات دائماً"
ثم عرضت أن تجد لي عائلة أخرّى.. وافقتها: "غالينا إيفانوفنا امرأة رّائعة. وليس ذنبها أنها كبُرّت في السن"
ثم أضفت أنه، "قد يكون من الأفضل بالنسبة لي، التركيز على موادي الأكاديمية، في الفصل الدرّاسي التالي، وعلى أي حال. اللُغّة الرّوسية ليست تخصصي"

حثتني المستشارّة على البقاء على الأقل خلال الإجازات. استطعت أن أرى أنها كانت مهتمّة بي، بقدر اهتمامها بسمعّة البرنامج.
فقلت: "حسناً، وشكراً لك على كل شيء"
وقبل أن أغادر مكتبها، أخبرتها أن غالينا إيفانوفنا حساسة للغّاية. من الأفضل عدم ذكر ما قلته.

***

كانت بعضهنَّ تقضينَّ العُطلات مع مضيفيهنَّ. وأُخرّيات كُنَّ يسافرنَّ إلى موسكو. فقررّت الانضمام إليهنَّ.. سأذهب في رّحلة أخرّى من هناك، رُّبما إلى قازَّان، أو شمالاً إلى أرخانجيلسك، كنت أفكر في رّحلة قطار، تنتهي في مكان أُسطوري، قبل عودتي إلى المنزل.
وخلال الأسابيع الأخيرّة، التي قضيتها في المدّينة، ذهبت إلى الفصل بشغّف، وصنعت مجموعات من بطاقات المفردات، وملأت دفتر يومياتي بكل المشاهد والأصوّات التي صادفتها.
حضرت تدرّيب الجوقة، وذهبت إلى دار الأيتام، لقضاء يوم ترفيهي مع الأطفال. وعندما عدت إلى المنزل، أخبرّتني غالينا إيفانوفنا، أنها تركّت لي الطعام على المائدة: "ماشا، هل فعلت لك شيئاً خاطئاً؟"
هكذا سألتني ذات صباح، فيما كنت أغادر. بعد الحصة، وكنت قد أخبرتها أنني ذاهبة إلى أحد المضيفين الآخرين لتناول العشاء..
وأضفت: "لا.. أردت فقط الاستفادة القصوى من وقتي قبل مغادرتي"
لم أستطع التفكير في أي شيء آخر أقوله لها.

***

بحلول صـــباح اليوم التـالي، أي قبـل يوم واحد من رّحلتي إلى موسـكو، مرضـت. عندما كان الآخرون يسـتقلون القطار.. كنت مريضة لدرّجة أنني لم أستطع الوقوف..
"ماشـا، هل فعلت لك شـيئاً خاطئاً؟.. هل سـتغادرين لأن الأمور لم تعجبك هنا؟"
"لا، لقد أحببتك وأحببت كل شيء هنا"
لم أسـتطع التفكير في أي شـيء آخر لقوله. كانت غالينا إيفانوفنا، تأتي إلى غرّفتي كل سـاعة، ممسـكةً بيدها على جبهتي، وتُغيّر غطاء الوسـادّة، وتقوم بتحضـير حسـاء لا ألمسـه.. قالت: "خذي يا ماشا.. قليلاً فقط".
وكلمـا حثتني على تنـاول الطعـام، كنـت أبكي بخنوع، وأشـعر بـالذنب.. بعد ظهر أحد الأيام، عندما تمكنت من تنـاول بضـع ملاعق، حملت مجموعة كتبي إلى جانب سـريري. هززّت رأسـي بلا، ثم شكرتها. قالت: "أنت تحبين القراءة"
وهذا أيضـاً جعلني أبكي.. أحضـرت الكرّسـي من المطبخ، وجلست في غرّفتي بقية اليوم. كنت أنام وأسـتيقظ، وأجدها جالسـة على المقعد، ويداها على حجرها، دون أي تلميح بنفاد الصـبر.. قلت لها: "ستمرضين أنت أيضـاً، من فضلك لا تنتظري هنا"
فلوّحت بيدها.. في اليوم التالي، نهضـت من السـرّير واسـتحممت. وفي ذلك المسـاء، جلسـنا على طاولة المطبخ. بعد ذلك، انضـممت إلى غالينا إيفانوفنا في غرفتها لمشاهدة العرض.
كانت الفتاة لا تزال ترتدي الأقواس والنظارّات السـميكة، لكنها جعلت لنفسها مكانة، في الحيّاة الاجتماعية للفصل الدرّاسي.. حتى الصبّي ذو الشعر الدّاكن لاحظها!

عندما كنت ذّاهبة إلى غرفتي، سألتني غالينا إيفانوفنا، عما أخطط للقيام به في المساء التالي، لليلة رأس السنة. قلت لها: "لا شيء".
قالت: "سوف نأكل معاً.. من المهم أن نكون معاً"
في فترّة ما بعد الظهر، مشيت إلى الكاتدرّائية، حيث ترتفع جدرّانها من الثلج، وقبابها المذّهبة مغطاة باللّون الأبيض. اشترّيت هدايا من الأكشاك الخشبية، التي أُقيمّت حول الساحة. وقام مرشد سياحي، بشرح هيكل الطرّق الممتدة من الكاتدرّائية. ثم دلفت إلى الدّاخل لإضاءة شمعة. وقبل مغادرّتي، نظّرت إلى صفوف الأيقونات الفخمة، والأيادي المرفوعة للبركة أو الدعاء، وحاولت أن أستخلص شيئاً من هذا المنظر لأستعيده معي. ثم ذهبت إلى السوبرماركت، واشترّيت كعكة الآيس كريم.
أحضرّت غالينا إيفانوفنا، طاولة المطبخ إلى غرفتي، ووضعتها بقطعة قماش حمراء وكؤوس كريستالية، على طاولة صغيرّة ومعها المقبلات وزجاجة من الكونياك.. كانت صورّة زّوجها على المنضدّة أيضاً، وصورّة أخرى لطفل عمره سنة أو سنتين، مجمعة في بطانية محبوكة..
لقد رفعنا أكوابنا للعام القادم. أومأت غالينا إيفانوفنا برأسها، إلى الصوّر قبل أن تأخذ رّشفة. وبينما كنا نقوم بتنظيف الطاولة، شكرتها على استضافتي، وأعطيتها بروشاً من العنبر، على شكل قلب، كنت قد اشترّيته في ذلك اليوم، من أمام الكاتدرائية.
بحلول الوّقت الذي كان يعرض فيه التلفزيون الألعاب النارّية من الميدان الأحمر، كانت نائمّة على الأرّيكة.

***

في وقت لاحق، رّويت عنها باهتمام، ووصفت مخللاتها وشورباتها، وفساتينها القطنية، وعقلها الذي يتفكك ببطء، كما لو كانت شخصية من قصة خيالية!

قلت إن المرأة العجوز اتصلت بي.. بماشا، وأنني كنت أكتب لها لفترّة بعد ذلك، بتوقيع اسمي الرّوسي (ماشا)، الذي أعطته لي.. حتى أنني كنت قد أرسلت لها ألبوم صوّر غرّفة نومي، وقاعة الطعام، ومنزل والديّ، وشوارع وحدائق مدينتي، والكنيسة الخشبية البيضاء على التّل.

على الهاتف، أخبرّتني أن مدينتي تشبه بلدتها تماماً.. قالت: "لابد أنك شعرت وكأنك في بيتك هنا".

آخر مرّة تحدثت فيها معها، كانت في ليلة رأس السنة الجديدّة، قبل وفاتها بوقتٍ قصير.. صرّخت: "سنه جديدّة سعيدّة! آمل أن يكون لديك كأس من الكونياك!.. تذكرين، ماشا، عندما احتفلنا أنا وأنت؟" "بالطبع، كان احتفالاً رائعاً."

"كانت المرّة الأخيرّة. قالوا إنني لا يجب أن أستضيف أحداً بعد الآن".

قلت: "لقد كنت مضيفة جيدّة جداً".

قالت: "ما كان يجب أن تخبرّيهم، مهما قلت لهم"

ثم أضافت: "لكنني أسامحك"

***

في سّرد قصة مغامرّتي الرّوسية، أود أن أقول إن هذه الأشهر مع مضيفتي القديمّة، كانت فترّة تكوّينية في حيّاتي، وعلمتني شيئاً من حيّاة الآخرّين.. لكن هناك الكثير من التفاصيل، التي لم أُدرجها في القصة، لذلك مع مرور الوّقت، ما زلت أتذكر فترّة الظهيرّة،

عندما أحضـــرّت لي غالينا إيفانوفنا مجموعة الكتب. لســـبب لم أستطع فهمه تماماً، جعلني مشهد تلك الكتب أبكي!
جلست غالينا إيفانوفنا على كرّسي بجانب سريرّي، وفرّكت يدي بين رّاحتيها.. رأيت أنها كانت تبكي أيضاً.
"إنه أمر محزن للغّاية"
اعتقدت أن هذا ما قالته لي. لم أكن متأكدة ما إذا كنت أفهمها بشكل صحيح.. فقلت: "أنا لست حزّينة".
فهزّت رأسها: "لا بأس." ثم أضافت: "نحن هنا، جنباً إلى جنب"
وأخبرتني أنها آسفة، لأنها لا تستطيع فعل أي شيء آخر للمساعدّة.

قضية حرجة، واي زي تشين

Edge Case ، YZ Chin

بعد توقفٍ دام أربع ساعات في هونغ كونغ، ركّبنا طائرّة متوجهة إلى نيويورك. بدى مارلين بارداً تجاهي أثناء الرّحلة، لكنني لم أفكر كثيراً في الأمر.

فقبل كل شيء، كانت الجنازّة، قبل أيام قليلة فقط، لكنني أتساءل الآن: هل من الممكن إعطاء أي شخص، مثل هذه المساحة الكبيرّة من الحزن؟

نزلنا إلى نفق رّطب في مطار جون كنيدي، وعلى الرُّغم من خطوتنا السرّيعة، وجدنا أنفسنا -كما هو الحال دائماً لغير المواطنين! - في طابور طويل بلا نّهاية!- وبحلول الوّقت الذي وصلنا فيه إلى نقطة التفتيش النّهائية. تغذّى تيار الفضائيين من موظفي المطار، حتى أصبح حوالي نصف دستة من الأكشاك، لكل منها محطة كمبيوتر وضابط يرتدي زياً رّسمياً، يجلس في الداخل، ولا يتحرّك من مجلسه، ويمكن رؤيته من الخصر إلى أعلى فقط!

عندما اقترّبنا من رأس الطابور، لعبت تلك اللُّعبة الذّهنية السخيفة، حيث حاولت أن أتنبأ بالضابط الذي سنقترب من نافذّته، ثم أخاطر ما إذا كان موقفه من تخليص إجراءات دخولنا، جيداً أم سيئاً!.. فمن واقع خبرتنا، يختلف موظفين المطارات، بشكل كبير عن بعضهم البعض، في موقفهم من الأجانب!

من المسـلّم به، أن لُعبتي اعتمدت على الحُكم من خلال المظاهر، معادلة العبوس العميق برّهاب الأجانب المعتدل، أو مسـحة من الوردية الكحوليّة، بنفاد صبر متعجرف!

لكن في ذلك اليوم، فزت بالمبارّاة. لقد اخترت على الفور خيارّي الأخير، من بين سـت خيارّات غير مرّتبة أمامنا. وربما كان هذا الخيار هو الضابط الأسوأ!

كان ضابطاً في أوائل الأربعينيات من عمرّه، وشعرّه داكناً بدرّجة كافية، ليقترّب من اللّون الأسود الذي نعيشه، انسدل في خصل عرضية، بدّت وكأنها تقيم أسواراً حول رأسه!

بوجهه الذي يشبه وجه رضيع، كان ينبغي أن يكون محبوباً بالنسبة لي، لكن ذلك الشيء الفظيع في تجعيد فمه، جعلني في حالة تأهب، خاصة عندما أشار لنا أن نتقدم!

كان واضحاً من كلماته الأولى، أننا في ورطة: "ما هو الغرّض من زّيارتك؟"

سأل، عندما لم نقدم جوازات سفرنا، والتي من المسلم به، أنها ليست جوازات سفر أمريكية زرقاء اللّون.. اللّون نفسه، ذلك الأزرق الغامق للأرائك المنسوجة، بذوق رفيع.. نفسه كظل سماء الليل المرّصعة بالنجوم كما يفسره الرّسامون، والعشاق المغرّمين، ونفسه كما في فساتين الزّفاف باهظة الثمن!.. لا، جوازات سفرنا ليست قرّيبة من هذا اللّون!

لقد شعرت بالاحمرار قليلاً، على ما أعتقد، لّوني (مرتفع)، كما يقولون، من شُرب النبيذ المجاني، في ليلة الستة عشرة ساعة طيرّان!

يتمتع مارلين بميزّة كونه ذو بشرّة دّاكنة، وبالتالي تخفي الاحمرّار بشـكل أفضـل من بشـرّتي، على الرُّغم من أن جبهته كانت تلمع قليلاً. وكان يرتدي أيضـاً قطعة قماش سـوداء، مثبتة على كم قميصه الأيسر، للدلالة على الحداد!..

وفجأة خفت أن هذا قد يبدو مريباً للضـابط. شـيء ما قد تغّير.. لقد فعلنـا ذلـك أنـا ومـارلين عـدّة مرّات، أعني مرّرت عبر الحـدود الأمريكية في الماضي، كان الضباط يلوحون عادةً بـعبارات "بيت الترحيب" المعتادة Welcome to America" بعد أن يصـلوا إلى سـجلاتنا على أجهزة الكمبيوتر الخاصـة بهم، ويعرفوا كم قضينا من السنوات، في أميركا، في مرّحلة البلوغ المبكر.. هذا لم يفشـل أبداً في تدفئـة قلوبنـا.. كـان الواحد منهم يقول: "المنزل Welcome to home" وكذلك كنا نقول لبعضـنا البعض، في منطقة اسـتلام الأمتعة، وجميعنا مبتهج، كان مارلين هذه المرّة، لا يزال مرتعباً قليلاً. سـألته: "لقد قال مرحباً بكم في الوطن، هل سمعت؟"

أومأ برأسـه، وفي التحقق من هذا الخبر السـار، بدا أننا نضـاعف فعاليتنا. لكننا لم نمر عبر نقاط التفتيش منذ حُظر دخول المسلمين، والآن حُظرنا لدرّجة أننا ربما لم نعد نسـمع عبارة "مرحباً بك في وطنك".

حدق الموظف في وجوهنا المترنحة: "أه، زيارّة؟"

تلعثم مارلين: "توفي والدي، لذلك ذهبنا إلى الجنازّة..."

خطـأ. تبـاطـأ، وفهم أخيراً مـا كـان يحـدث: "مـا هو الغرض من زيارّتك؟"

بالطبع كان الموظف يســـأل عن هدفنا من زيارّة الولايات المتحدة الأمريكية، على الرُّغم من أن "الزيارّة" بالنســـبة لنا، هي شـــيء نقوم به دائماً خارج الولايات المتحدة، و "العودة"، ودائماً هذا ما يحدّث عندما نصل، إلى مطار جون إف كينيدي، نيويورك!

من الواضح أن معنى الكلمات، قد انقلب منذ آخر رّحلة طيرّان لنا! صـــرّخت بأننا نعمل في هذه المدينة، ونحن لســـنا في زيارّة، نحن عُدنا بعد أن ســـافرنا لأداء واجب عزاء.. عدنا الآن لنتمكن من العودّة إلى وظـائفنـا. وأضـــاف مـارلين: "نعمـل في شـــركـات التكنولوجيا"

كان نصـــفه يتوســـل، ونصـــفه الآخر يفاخر، على أمل أن يُثير الإعجاب.. "أنتما تسافران معاً؟"

"نعم، نحن متزوجان"

"أوه، لكن لديكما أسماء أخيرّة مختلفة"

قلت: "من حيث أتينا، ليس من المعتاد أن تغير المرأة اسمها رّسمياً بعد الزّواج".

بالتأكيد هذه الإجابة أفضـــل من أن أقول: إن جميع أورّاق الهجرّة الخاصـــة بي تحت اســـمي قبل الزّواج، ولن أعرض أي عملية بيروقرّاطية للخطر، خلال المائة عام القادمة -وهو تقريبًا الوقت، الذي يستغرقه المهاجرون من بلدان معينة، للحصول على الجرين كارد-.. شـــيء تافه مثل أخذ اســـم عائلة مارلين، ولكن يبدو أنني كنت قد حكمت علينا بهذا: "من أين أتينا".

يبدو أنه كان لهذا تأثير عكســـي، إذ إبرز غرابتنا للموظف، فذبُلت شـــفتاه، وتوّغل في أورّاقنا، ونقر على لّوحة مفاتيحه، ثم تنهد بقوّة

لدرّجة أنه كان يريد، أن يجعلنا نبتعد عن الأنظار، ثم نطق آخيراً محملاً كلماته نّوع من الرّهبة: "تعالا معي".
نظرنا أنا ومارلين إلى بعضنا البعض بقلق: "أين؟"
تمتمت، لكن قدّمي كانتا تتحرّكان بالفعل، للامتثال للتعليمات، حتى أنني وقفت، وفي ذّهني قد خطر القليل من الإعجاب، بردة فعلي المكونّة من كلمة واحدة (أين؟) والتي، رُّبما، إلى حد ما يمكن تفسيرّها، على أنها احتجاج جرئ: "اتبعيني فقط. سيشرّح لك الضباط على الطرف الآخر كل شيء".
سار مارلين أمامي، كنت أرغب في شد ذرّاعه، وإيقافه لإجراء مناقشة سرّيعة. ثم لاحظت أن جواز سفرّه كان يتأرجح من بين أصابع يد الموظف، منذ استعدت جواز سفري، الذي كنت قد وضعته في جيبي، وأنا شاردةً، في حالة من الارتباك، بينما كان دليل مارلين على الوجود القانوني، محتجزاً كرّهينة تتدلى من بين أصابع الموظف.
أدركت أنه لم يكن لدينا خيار، سوى أن نتبعه. أو بالأحرّى لم يكن لديه خيار، سألته: "هل يمكنني البقاء مع زوجي؟"
وركضت قليلاً للتأكد، من أن الموظف سمعني، ولكن بعد ذلك أُصبت بجنون العظمّة، فعدت أتباطأ مرّة أخرى، لأمشي خلفهما بوتيرتي السابقة.
طمأنتني بعض النظرّات السرّيعة والعصبية المتفحصة حولي، إلى أنه لم يكن هناك أي شخص يحمل سلاحاً موجهاً إلينا.
مضينا في ممّر طويل.. عملاء الأمن الدّاخلي، في أكشاكهم الفردية إلى يسارنا. لقد كان مشهداً مألوفاً غريباً، بسبب حقيقة أن

جميع العملاء الآن، أداروا ظهورّهم لنـا، مؤخرّاتهم من مختلف الأحجام، بادية للعيان، وهي مضغوطة على مقاعدهم.
عدت لأرى من أين أتينا. كشـــك موظفنا لامع تحت الأضـــواء القاسـية، فارغ. لم أكن أعرف اسـمه، خطر ببالي، ماذا لو احتجنا إلى تقديم شـكوّى لاحقاً؟ ثم أمسـكت نفسـي وكدت أضـحك. نعم صحيح.. مهاجران يتقدمان بشكوّى ضد وزارّة الأمن الدّاخلي. من المؤكد أنهما سيخسرانها، ورُّبما يتورّطان في أمور أخرّى.
في نّهاية الممشـــى، ثمّة غُرّفة ببابٍ موارّب. لقد أجهدت عينّي لأرى من خلاله. سـتة عشـرّة سـاعة في مقصـورّة الطائرة جفت عينّي تماماً، وكلما حاوّلت الرؤية بوضـــوح، احتجت إلى المزيد من الرّمش.
شـــعرّت بألم يزّحف إلى الأمام، من مؤخرّة مقلتي العينين، مهدداً بالزّحف أيضـــاً إلى جُمجمتي. لقد قلت لمارلين ذّات مرّة: "أنـا أرتجف من الألم"، في محاولة لنقل إحسـاسـي بالصـداع النِّصـفي الوشيك إليه، فهو لم يكن يعاني من الصداع من قبل.
عندما عبرنا إلى الغُرفة، تغيرّت الإضـاءة فجأة، وأصـبحت أكثر إعتاماً. شـــاهدت الموظف يســلم جواز ســفر مارلين، إلى زّميله الجـالس خلف مكتـب، وهو ينطق نوعـاً من الكلمـات المشـــفرّة، والأرقام والحروف، التي يمكن أن تكون اختصـــارّات. وعندما استدار الموظف لمغادرّة الغرّفة، حاولت التقاط ديباجة اسمه، لكنه كان قد ابتعد بالفعل، بخطوات منتظمّة دون عجلة، حيث افترضت أنه عاد إلى موقعه.

كانت الغُرّفة قاتمّة، وذّات سقف منخفض، وزّوايا حادّة، تبدو كأنها يمكن أن تقطع، منتشـــرّة في كل مكان: أثاث صـــلب وملصـــقات وإشارات. مقابل جدار رّقيق..

كان هناك صـــف من أربعة مكاتب، ثلاثة منها يشـــغلها رجلان وامرأة، وجميعهم يرتدون الزّي الرّسـمي. كان الرّجل الأقرب إلى المدخل، يحمل جواز ســفر مارلين، والذي تم وضـــعه بلا مبالاة، بجوار وسـادة فارهة، ودباسـة مثل ثقالة الورّق، أو دباسـة لم تعد تعمل وتم إعادة وضعها، كثقالة للورّق. لقد أذهلتني!..

لن أترك شـيئاً مهماً أبداً، وأجلس ببسـاطة في الخارّج هكذا، دون أن أتحســـه بحذّر. قيل لنا أن نجلس على كرّســيين من اللونين الرّمادي والأخضر، يواجهان صف المكاتب.

وجهت عيني بعنـاية، على ارتفـاع بضـــعة أقدام فوق رؤوس الضـــباط، بنفس الطرّيقة التي أتصـــرّف بها، في مترو أنفاق مزدحم..

"ما رأيك في هذا؟"

سـألني مارلين بعد وقت طويل.. حاولت التوصـل إلى طرّيقة أقول بها ما أردت قوله، دون أن أتسـبب في مزيد من المتاعب، طرّيقة تتفادى تركيز الضباط، لحواسهم الخارّقة في السمع.

كان عقلي المتعب، متردداً في أداء أي نوع من العمل المســتدّام، فأخذ يتحســس الملصــقات.. رأيت علامة حظر اســتخدام الهاتف الخليوي. بجانبها كان هناك ملصـــق أكبر، به فقرّات أكثر كثافة، قـام عقلي المكـدود بـالتمعن فيـه بمـا يكفي، لأفهم أنـه من غير القانوني، أن يرتكب الضـــباط، جرائم جنســية ضـــد... شـــعرت بالصـدمة وأنا اقرأ!.. مارلين أو أنا، "إذا واجهنا مثل هذه الجرائم،

يجب علينا رفعها في تقرير عبر الطرق التالية..." في النّهاية لم يعد بإمكاني تجاهل نظرّة مارلين الاستجوّابية. أجبت بسرعة، مع إبقاء صوتي منخفضاً، قدر الإمكان: "حسنًا، نحن من نفس البلد، ولدينا نفس نوع جواز السفر، ونحمل نفس نوع التأشيرّة، ونعمل أساساً في نفس الصناعة، وقد نزلنا للتو من نفس الطائرّة. ما هو المختلف؟"

وجهت عينّي بشكل هادف إلى يده، ثم إلى يدي. قال: "تقصدين، ذلك لأن بشرتي دّاكنة".

أسكته. كما لو كان عليّ مجادلته، تم استدعاء مارلين إلى الطاولة الأقرّب إلى الباب، حيث كان جواز سفرّه موضوعا بشكل غير رّسمي. حاولت إخراج هاتفي، حتى أتمكن من البحث عن ما هو قانوني (بمعنى ما يجب تحمّله) وما لم يكن (بمعنى ما يجب تحمّله بعد الاحتجاجات الضعيفة) كحالتنا. لكنني كنت خائفة من ذلك، بسبب اللافتة التي تنُص على عدم السماح باستخدام الهاتف الخلوي.

هزّ مضيف جوي رأسه أمامي. تعرّفت عليه؛ لقد قدم لنا أطباق البيض في عبوات بلاستيكية، وأوصى لنا بالنبيذ الأبيض المجاني، بدلاً عن الأحمّر المجاني، عندما طلبت النبيذ الأحمر.

"لا تزالين هنا؟"

أدركت من تعبيرّه المحبط والمذهل قليلاً، أنه قد لا يكون قادراً على المغادرّة، حتى تتم تبرئة مارلين، من التهمة المجهولة، التي قد توّجه إليه!..

نظّرت إلى ساعتي؛ لقد مرّت حتى الآن ساعة كاملة.. كان مارلين يهز رأسه لشيء قاله الضابط. وكان الجزء الخلفي من رأس زوجي، قد بدا كما لو أن شخصاً ما قد ضربه بالدّاخل.
لقد أدت الرّحلة الطويلة إلى تسطيح تجعيد الشعر، وجعله يتجه إلى الجانب، مثل أجنحة الخفافيش. لم أنتبه إلى ذلك وقتها، لكنّني سرعان ما حدّقت في مؤخرة رأسه طويلاً، وأنا أتوق إلى الحصول على سبيل للوصول مباشرّة، إلى المؤامرّات السرّية في عقله.
لماذا يتعين على الطاقم الجوي على متن رّحلتنا، البقاء في الجوار حتى ننتهي؟ لم يكن الأمر وكأنهم يستطيعون ترحيلنا (هو) على نفس الطائرّة!
كان الطاقم متعباً، ويحتاج إلى الرّاحة، بعد هذه المهمّة المضنية.
هل يمكن أن يُطلق على المضيف الجوّي لقب شاهد؟ (الوقت الذي أسقطت فيه بطانيتي في منتصف الممّر؛ الوقت الذي حاولت فيه تجاوز عربات الطعام إلى الحمام؛ الوقت الذي ضغط فيه مارلين بشكل متكرّر، على أيقونة مضيفة الهواء على شاشته، لأن شيئاً ما كان خطأ في ضوءه العلوي؛ كيف أن مارلين -رُبما- طلب الكثير من أكواب النبيذ المجانية؛ وكيف صرّخ عندما انسكب الماء الساخن المضطرب، من كوب المعكرونة على ذرّاعه...)
اختفى مضيف الهواء من إطار الباب! استقريت على ما بدا أنه التفسير الأكثر منطقية بالنسبة لي: أنه كان مسؤولاً عن جمع أمتعتنا، في حالة ترّحيل مارلين، حتى يمكن إبعاد أمتعتنا إلى جانب أجسادنا!
بدأ يجتاحني نّوع من الذُّعر.. لم يكن لدي أي فكرّة عما إذا كان الشخص المُرحَل، ملزماً بدفع تذّكرة السفر الخاصة به، في

الترّحيل القسرّي. قد نكون قادرين على شراء تذّكرة واحدة، ولكن بالتأكيد ليست اثنتين؛ ليس حتى يحصل كلانا، على راتبه القادم.
كانت هناك فرصـــة، إذن، أو كانت اختياراً، أنني ســأضــطر إلى البقاء، أثناء إرسال مارلين بعيدًا. ما لم أتسبب في كارثة جديدة!..
في ذلك الوّقت -فكرت بتهور- وتخيلت مشــهد ترحيلي إلى جانبه. ربما كان كل ما علي فعله، هو إخراج هاتفي. لكنني أرغب فقط في القيام بذلك، إذا غطّت الحكومة الأمريكية، نفقات السفر الجوّي للمرّحل. كيف ســأكتشــف هذه المعلومة، دون مخالفة أي لافتات منشورّة؟
دوى الذُّعر بصـــوت أعلى قليلاً. ربما كان الأوان قد فات، وقد اتخذت القرّار الخاطئ بالفعل. جئت مع مارلين إلى هذه الغرفة لأكون بجانبه. هل يجب أن أغادر بدلاً من ذلك بحثًا عن محام؟
قرأت أن المحامين كانوا، قد أقاموا معســكراً في مكان ما، في هذا المطار بالذّات، وتطوعوا بوقتهم وخبرتهم، لمســاعدّة الأشــخاص المتضررّين، من حظر المسلمين!
لكن كان ذلك في عام ٢٠١٧، هل كان لا يزال هناك محامون في الجوار؟ هل سيساعدوننا؟ هل تأهلنا الى ذلك؟.. لم نكن مسلمين، رغم أننا حملنا جوازات سفر، ما اعتبره الكثيرون دولة إسلامية!
بدأ مارلين يسـير عائداً نحوّي.. في الوقت نفســه، قام ضــابط في الطرّف الآخر من الغرّفة، وســـار في اتجاهي.. انقبض قلبي. استغرق الأمر كل قوّة إرادتي، لأُبقي عينّاي على مارلين، بدلاً من الضابط الذي يقترّب.
كان مارلين جالســاً، دون أن ينبس ببنت شــفة. بوّعيي المحيطي، شـعرّت بالضــابط يسـير أمامي، وفكّرت في الحمّام بارتياح، حتى

سمعت بدء محادثة.. فكرت في مارلين: لسنا وحدنا. استدرت لأرى باباً خلفنا مفتوحاً. لابد أني قمت بتسجيله كخزانة تنظيف، أو غرّفة خادم أو شيء من هذا القبيل، أحد تلك المساحات غير المرئية، حتى يتم الاحتياج إليها. لكن لا، كان هناك شخص آخر. ربما كانت الغُرّفة نوعاً من الزنازين. حاولت التنصت، لكنني لم أستطع معرّفة أي شيء.

"ماذا قال الضابط؟"

همست لمارلين فقال: "يقول إنه ينتظر تأكيداً لتفاصيلي، من بعض الفروع المركزية"

"أي نوع من التفاصيل؟"

"يريدون أن يعرفوا أنني أنا من أقول إنني أنا؟ أعتقد؟ سأل عن طولي ووزني لسبب ما".

"لديهم حق الوصول إلى قاعدة بيانات الكمبيوتر؟ لماذا عليه الانتظار؟ شخص ما يجب أن يذهب إلى غرّفة ضخمة، بها صفوف من خزائن الملفات أو شيء من هذا القبيل؟ "

"إدوينا، لا أعرف"

بدا غاضباً...

خرج الضابط من قفصه الزجاجي، إلى مجال رؤيتي، وكان صفيرّه يسبقه، ويزرع وخزّات في فروّة رأسي. لم أستطع النظر إليه جيداً بعيني المتعبتين. لكن بدا لي أن لديه شعر رّملي، انتهى بقرون غير متطابقة في مؤخرّة رّقبته، وشعرّه من الجانب الأيسر، منخفض إلى أسفل.

كان لديه أيضاً أكتاف ضيقة، تنغمس وتتدّحرج، عندما يتجه إلى مكتبه، حيث كان يخلط بعض الأورّاق المنتشرّة، دون تنظيم

واضح. لم أرَ جواز سفر، على الرُّغم من وجود شخصية باتمان، ذات رأس طائر، تم تقديمها بأسلوب، يسميه بعض النّاس رّخيص! استقام الضابط عندما دخلت امرأة.

"ها أنت ذا"

حيّاها. كانت المرأة ترتدي زياً مختلفاً، بدرّجات زرقاء فاتحة. لم أستطع معرّفة، ما إذا كان ذلك يعني رتبة أعلى، أو منصباً مختلفاً تماماً، أم ماذا؟.. قبل أن يمشي إليها، قام الضابط بذهن شارّد، بحسم الرّجل الوطواط، ودفعه للذهاب..

فجأة انتظمت المكان فورّة من النشاط. وقف جميع الضباط الجالسين المتبقين على أقدامهم. لابد أنني فاتني شيء ما في مكان ما، ربما ليس أكثر من إيماءة من المرأة. توجهت العصابة من أمامنا إلى غرّفة الملابس، وتُركنا أنا وزوجي بدون إشراف. كان أول شيء، أوحت به غريزتي اللاعقلانية، هو انتزاع جواز سفر مارلين، والرّكض به، لكن عندما هجمت نظرّاتي، على طول المكتب بجوار الباب، لم يكن جواز السفر موجودًا!..

"هل يجب علي الاتصال بشخصٍ ما؟"

وهمست: "أعتقد أن كاتي قالت إن ابن عمها محام، أتذكر؟ عندما تناولنا العشاء معها؟"

هزّ رأسه: "كان محامياً في قانون الملكية الفكرّية، أو شيء من هذا القبيل. قانون الشركات. بالتأكيد ليس قانون الهجرّة، على أي حال".

وصلت إلى رّكبته وضغطتها. كان يحدق في يديه في حضنه. لقد فعلت هذا الشيء، الذي كان يكرّهه عادةً، حيث غرّزت عينّي

بشـدّة، في ملّفه الشـخصـي، وأردته أن يبادلني النظر، فنظر إلى الأعلى.
كان شيئاً أُحب القيام به، في أنحاء الاستوديو الخاص بنا. اعتاد أن يقول إنني زّاحفته. مازحته أنه كان اختباراً، لربط توارّد الخواطر. بدأ الصفير من ورائنا مرّة أخرى، فارتفع صوته. لم أتعرّف على اللّحن. كانت هناك مرّافقة مسـتمرّة - اسـتغرق الأمر مني ثانية واحدة، لأدرك أن الصفير، ما هو إلا جلجلة معدن، ربما مفاتيح!
لم يلتفت أي منا ليشـهد الأحداث.. كلانا أطال جهله لأطول فترّة ممكنة، حتى أُقتيد رّجل في الفرّاغ، بين مكاتب الضـباط، والمكان الذي جلسـنا فيه. كان يرتدي سـترّة بغطاء للرّأس، لذلك لم نتمكن من رؤيـة وجهـه، لكنني، مدربـة، فبحثت على الفور عن يديـه، لتحديد لَّون بشرّته. كانتا ملتويتين خلف ظهرّه، وبلَّون بعض أغلفة الكتاب المقدس، مثل تلك التي توجد في الفنادق.
قال الضـابط مع الرّجل الوطواط: "الرّحلة القادمة إلى المملكة العربية السعودية ستكون غداً، في الصباح الباكر، هل تفهم؟"
لم يكن هناك رد.. "ربما إنه بطيء الفهم بعض الشيء، هاه"
رفع الضـابط الذي يحمل جواز سفر مارلين إحدى يديه، ولفها في دوائر كسـولة حول ظهرّه. نظرت بعيداً، وأنا أتمنى أن أقول أو أفعل شـيئاً، أمنح به الرّجل ذو القلنسـوّة بعض الرّاحة. بدلاً من ذلك، حدّقت في الحرّكة الأخرى الوحيدّة في الغُرّفة. بينما كنت أتتبع أحكـام (تشـيبي بـاتمـان)، تسـابقـت في وّعيي فكرّتين متعارضـتين، إذ تسـاءلت عما إذا كان باتمان، يهتف للضـباط بإيماءات بالموافقة، أم أنه يرتجف من الغضب، ويتأرجح للتدخل؟

تخيّلت إحساس القوّة والعدالة، الذي يجب أن يتدّفق عبر الضابط كل يوم، عندما يأتي إلى العمل، ويرى باتمان على مكتبه.
تخيّلت درّجة حرارّة الأصفاد، التي تحيط الرّسغين. ربما كان هذا، وليس فقدان والده، هو ما زرع في نفس مارلين شكوكاً، بشأن الحيّاة في أمريكا!
ربما سممّت هذه الحلقة، كل ما بنيناه في نيويورك، ولم يعد بإمكانه تحمل العيش، في نقطة الضعف تلك.
عند الشعور بالتهديد، يقوم بعض الناس بتدّمير أنفسهم، بدلاً من السماح لأنفسهم بالدمار. أو ينقلون هذا الشعور بالعجز إلى شخص آخر، على أمل استعادّة بعض القوّة!
ربما كان هذا ما حدث.. جعلت أمريكا مارلين يشعر بأنه غير مرّحب به، فتركني...

الأميرة باري، هونج سوك يونج

ترجمتها عن الكورية إلى الإنجليزية سورا كيم راسل

Princess Bari، An excerpt of the novel by Hwang Sok-yong, translated from the Korean by Sora Kim-Russell

كنت بالكاد في الثانية عشرّة، عندما انفصلت عائلتي. لقد نشأت في تشونغتشينغ. كنا نعيش في منزل على قمّة تل شديد الانحدّار، يطل على البحر..

في الرّبيع، كانت مجموعات أزهار الأزالية، تخرّج من بين الحشائش الجافة، وتُزّاحم بعضها البعض، للحصول على مساحة، في الأماكن الشاغرّة، وتُضئ بلّون أحمّر، يتعمّق في وّهج شمس الصباح والمساء، مثل جبل (جوانمو)، المغطى بالثلوج!.. والذي، أيضاً تغطيه الغيوم، التي تطفو على سماء الشرّق الواسعة، من الخصر إلى السفح.

من أعلى التل، شاهدت السفن الفولاذية المتثاقلة، الرّاسية في الماء، وقوارّب الصيد الصغيرّة، تشق طرّيقها ببطء حولها، تلتقط أذني، صوت محركاتها بوضوح. فيما تحطم طيور النّورس، إنعكاس ضوء الشمس؛ على سطح الماء، الذي يتلألأ مثل قشور الأسماك، قبل أن يمضي في رّحلته العكسية، نحو الشمس مرّة أخرى!

كنت أنتظر هناك، حتى يعود والدي من وظيفته، في مكتب المرفأ، أو تعود أُمي من السوق. فأترك الطرّيق، وأتسلق مرتفعاً شديد الانحدّار، وأجلس القرفصاء؛ على حافة الجرّف، فقد كان المكان الملائم للاختباء، ولكن أيضاً، أحببت النّظر منه إلى البحر..

كان لدينا منزل ممتلئ.. الجدّة، الأب، الأم، أخواتي الستة، اللواتي يكبُرنني في السن. وُلد معظمنا في غضون عام أو عامين، لا تفرّق بيننا سنوات أكثر، ما يعني؛ أن والدتنا كانت حاملاً، أو مرضعة لمدّة خمسة عشر عاماً تقريباً!

في اللحظة التي وُلدت فيها إحدى شقيقاتي، كانت أمي تتجوّل مع أُخرى! لم تنس شقيقتاي الكبيرتان الخوّف، الذي كان يملأ منزلنا، في كل مرّة يُدّاهم فيها والدتنا المخاض. لحسن الحظ، كانت الجدّة، بجانبها في كل مرّة تعمل كقابلة..

أخبرّوني أن والدنا، اعتاد السير في قلق، ذهاباً وإياباً خارج الباب أو في الفناء، ودُّخان سجائره ينعقد في فضاء الانتظار!.. ولكن بعد وّلادة شقيقتي الثالثة، كلما ظهرّت على أمنا علامات المخاض، كان يتأخر في العمل، بل تطوَّع للمناوبة اللَّيلية!، إلى أن انفجر الغضب، الذي كان يكتمه أخيراً، عندما وُلدت (سوك)، شقيقتي الخامسة..

في ذلك الصباح، كانت أُمي وجَدّتي في الغُرّفة الرّئيسية، المتاخمّة للمطبخ، تحممّان المولودة الجديدّة (سوك) في حوض من الماء الدافئ، عندما عاد أبي من العمل اللّيلي..

فتح الباب، وألقى نظرّة واحدة إلى الدّاخل، وقال: "ماذا يفترض بنا أن نفعل بفتاة أخرى؟"

ثم انتزع سوك الصغيرّة من ذرّاعيهما، ودفع برأسها تحت الماء.
صُدمت جدّتنا، وأخذّت المولودة من الحوض على عجل!..
لم تبكي سوك، كانت قد ابتلعت الماء الدافئ، وأخذت تسعل.. بدا أنها ابتلعت الكثير من الماء، وعاجزّة عن التنفس!
وعندما وُلدت شقيقتي السادسة، هيون، خُتمت (جين)، الأكبر سناً، بوعاء نحاسي من (الكيمتشي) على رأسها، فيما كانت في طريق عودتها من المبنى الخارجي، إذ عبّر والدنا عن غضبه، بإلقائه صينية الإفطار في الفناء!
"إذن، ما الذي حدث في رأيك عندما وُلدت؟"
قالت جين: "لقد احتشدنا جميعاً، في زّاوية غرّفة الأطفال.. كنا نرتجف من الخوف"
بعد أن سمعنا البكاء الأول للمولود الجديد، زّحفت (صن)، أختي الكبرى الثانية، للتحقق من نّوع المولود، وسرعان ما عادت عابسة وهي تبكي.. قالت من بين نشيجها: "نحن محكوم علينا! إنها فتاة أخرى".
حذرت جين الجميع: "ولا نفس!.. لا تفكروا حتى في الخروج من هذه الغُرّفة، حتى بعد أن يعود أبي إلى المنزل"
جَدّتي، التي أمسكّت بي عندما وُلدت، لفتني في بطانية، وكان جلدي لا يزال مغطى بالدَّم والسوائل، وبعينين فاغرّتين، جلست على أرضية المطبخ الترّابية، كانت في حَيرّة من أمرِها، شغلها حتى عن التفكير، في وعاء شورّبة الأعشاب البحرية لأمنا، الذي كان يغلي بشدّة!
بكت أمنا بهدوء، وهي تنطوّي منكسرّة على نفسها؛ ثم بعد فترّة وجيزّة، حملتني وأخذّتني خارّج المنزل، إلى رُّقعة من الغّابات،

على مسافةٍ طويلة من مسكننا، حيث لم يذهب أحد منا على الإطلاق!..
وهناك ألقت بي في بعض الشُجيرّات الجافة، بين أشجار الصنوبر، وغطّت وجهي ببطانية.. رُبما كانت تريدني أن أختنق حتى الموت، أو أتجمد في رّياح الصباح البارّدة، أو يأكلني أي وحش برّي!
عندما عاد أبي إلى المنزل، فتح الباب، دون أن ينبس ببنت شفة! بالطبع، كان بإمكانه أن يخمِّن، من الحالة المزّاجية العامة في المنزل، نّوع المولود، إذ كانت أمنا تُغطي وجهها في صّمت، ولا تستجيب لأي كلام، فيما جَدّتنا، من مكانها في المطبخ، تسعل سعالاً جافاً، من آنٍ لآخر!
وهكذا أدرّك أن لا أمل، في إنجاب إبن على الإطلاق، فاستدّار على عقبيه وغادر!
بقيت أمنا وجَدّتنا في ذهولهما، إحداهما في الدّاخل، والأخرّى بالخارج في المطبخ، وآخيراً، عندما توّسطت الشمس كبد السماء، عادت جَدّتنا إلى الدّاخل، وسألت أُمي: "ماذا حدّث للطفلة؟"
"لا أعرف. رُبما زّحفت بعيداً من تلقاء نفسها".
"لماذا رّميت بها! سوف تصابين بصاعقة، جزاءً لفعلك أيتها الغبية!"
وخوفًا من أن تلعَننا السماء، فتشت جَدتي المنزّل من الدّاخل والخارّج، لكن لم تجد المولودة في أي مكان. كانت تشعُّر بالشفقة على زّوجة إبنها، وبناتها الصغيرّات الفقيرّات، ملأت وعاءاً من الخزّف بالماء البارد، ووضعته على صينية صغيرّة بأرجل، وجلست للخلف، فيما أخذت جَدَّتي تفرك كفيها بالدُّعاء: "الآلهة

على الأرض، الآلهة في الجنّة، أتوســـل إليكم، أن ترفعوا الحظ السيئ، من هذا المنزل، أعيدوا هذه الطفلة قطعة واحدة، هدئوا من رّوع قلب الأم المسكينة، هدئوا من غضب الأب الجاحد، وأبقونا جميعاً في أمان.. آمين"

أنهت جَدّتي صـــلاتها، وفتشـــت المنزل مرّة أخرّى، وبحثت في جميع أنحاء الفناء والجيرّان، قبل أن تســتســلم أخيراً، وتعود إلى المنزل.

جلست يائسة على ال (تو‌ينمارو)، الشرفة الخشبية الضيقة، التي تصـــطف على جانبي المنزل، بينما فاجأتها كلبتنا (هندونجي) بإخراج رأســـها من بيتها الخشـــبي الصـــغير، وهي تحدّق فيها. فانتبهت لها، واســـتدّارت تمعن فيها النّظر، ولفتت الكلبة انتباهها بتحوّيل عينيها، إلى رّكنٍ صـــغِّير من البطانية، التي لفتني بها أمي في لحظة يأس، فاندفعت جَدّتي إلى بيت الكلبة، وألقت نظرّة خاطفة إلى الدّاخل..

كانت هندونجي مســـتلقية، وأنا قربها أرقد في هدوء. قالت جَدَّتي أيضـــاً، إن عينَّي كانتا مغمضـــتين، وكنت أتنفس بانتظام في نوم طفل غرّير!

لابد أن هندونجي، قد تسللّت من مسافةٍ كافية، خلف والدتنا، عندما غادرّت المنزل للتخلص مني، دون أن تشـــعر بها والدتنا.. ثم تتبعت رّائحتي، حتى وجدتني بين الشجيرّات، فالتقطتني برفق بين فكيها، وحملتني إلى المنزل.

"أيغو، هندونجي كلبة طيبة! هذه الطفلة هبة أُرســـلت إلينا من السماء، أنا متأكدة من ذلك!"

رُبما لهذا السبب شعرّت عندما كنت صغيرّة، بأنني أقرّب إلى جَدّتي وكلبتنا هندونجي، التي سُميت على الفراء الأبيض، الذي اشتهرت به سلالتها بونغسان، لكنني لم يكن لدي اسم حتى اليوم المائة من ولادتي، فالأسماء تُعطى للأطفال الأحيّاء، ولكنني في طفولتي، كنت متأكدة أنني سأعيش!.. ومع ذلك لم يخطر ببال أيا منهم، أن يعطيني إسماً.

في وقتٍ لاحق، بعد أن تشتت شمل عائلتنا في جميع الاتجاهات، وكنت أنا وجَدَّتي نعيش وحدنا في ذلك الكوخ، المخبأ على الجانب الآخر من نّهر تومين، أخبرتني قصة سمعتها منذ فترّة طويلة، من جَدّتها الكبرى..

كانت قصة الأميرّة باري، التي يعني اسمها "مهجورّة"، كانت تنهي القصة دائماً، بغناء الأسطر الأخيرّة لي: "ارميها خارجاً، أيها الرّامي الصغير. أخرجها، أيها المنبوذ الصغير"

"هكذا حصلت على اسم (باري)"

على أي حال، لم يكن لدي اسم لفترّة طويلة. ألقته جَدّتي ذات يوم، عندما كنا نجلس حول الصينية المستديرّة، ونحن نأكل مع أمي، بعد أن أخذ أبي وجَدّتي طعامهما، في الصينية المربعة..

"أعني حقاً!"

واجهت جدتي أبي فجأة: "لماذا لم تحمل هذه الطفلة اسماً حتى الآن؟"

تنقلت عينيه ببطء بين طفلاته المجتمعات حول الطاولة، كما لو كان يعدنا واحدةً تلو الأخرّى، ثم قال: "حسنًا، أعلم أن هناك ما يكفي من أسماء الفتيات التوائم، وصولاً إلى التوائم الستة، ولكن

ماذا علي أن أفعل بعد ذلك؟ أنا أعرف الكثير من الشـــخصـــيات فقط".

"تقصـد أن تقول إنك ذهبت إلى الكلية، ويمكنك التحدث بالصـينية والرّوسية، لكن لا يمكنك ابتكار اسم لطفلتك؟"

كان هذا في الماضـــي، عندما كانت الجمهورّية لا تزال كرّيمة، فوقتها عندما يولد توأمان، بغض النّظر، عما إذا كانا في مدينة كبيرّة، أو قرّية رّيفية نائية، كان المراسلون يظهرون من محطات التلفزيون والصـــحف، ويظهر الأطفال في الأخبار المســـائية.. فبفضـــل نظام الرّفاهية القوّي في البلاد، كان يتم رّعاية الأطفال، في دور الحضـانة الحكومية، وتحصـل الأمهات، على حصـص وفيرّة من بودرة الحليب الجاف، وكان القائد العظيم نفسـه، يشـكر الوالدين ويغمرّهم بالهدايا، بدءاً بملابس الأطفال وحتى الألعاب.

سُميت الفتيات التوائم الرُّباعيات، على اسم النباتات الأربعة النبيلة للفن الصـيني الكلاسـيكي (الأوركيد، الخيزران، الأقحوان، وزّهر البرقوق) وربما كانت هناك أسماء مطابقة، مماثلة لخمسة توائم أو ستة..

هذا ما قصده والدنا عندما قال، إنه كان مستعداً لستة فتيات فقط..

جاءت أســـماء أخواتي، كالتالي (جين، صـــن، مي، أي الحقيقة، الخير، والجمال) (وجونغ، ســـوك، هيون أي النعمة، الفضـــيلة، والحكمة).

في مجموعات من ثلاثة، وليس أكثر. ربما اعتقد والدنا أن ولادتي كفتاة، قد حوّلت تلك الأســـماء الكاملة، والمطابقة تماماً، إلى خليط لا معنى له من الحروف. لم يكن لديه شيء آخر ليقوله عن ذلك.

ولكن منذ أن تم طرح الموضـــوع، اســـتمرّت جَدّتي وأمي في الحديث، حتى بعد مغادرته للعمل. قالت جدّتي لأمي: "ربما حان الوقت، لأن نطلق عليها اسماً".

"أطلقي عليها اســم (آســف) أو (خيبة أمل)، لأن هذا ما شــعر به إبنك.. الأسف والخذّلان"

"لقد سـمعت عن أسـماء من هذا القبيل من قبل، ولكن دعونا نرى. لقد حاولت التخلي عنها في الغّابة..."

وهكذا جاءت جَدَّتي باســـمي. بالطبع، لم يمر وقت طويل، بعد أن ذهبت إلى أقاصـــي الأرض، وعانيت من كل أنواع المصـــاعب، حتى فهمت بالضبط، لماذا أطلقت علي اسم (باري).

إيلاج، تيان يي لي (لوجاسيك)
Penetration ،Tien-Yi Lee

(جاك) كان هنا لأكثر من ستة وثلاثين دقيقة!
كانت (سـولي) تعرّف ذلك، لأن الليلة كانت عاصـفة، فقد انقطع التيار الكُهربائي، فقام جاك بضـبط سـاعة الرّاديو على الثانية عشـرّة، فأخذت الأرقام الحمراء تومض؛ منعكسـة على عدسـات نظارّته، كلما رّفع راسـه للتنفس (لقد نجح في ذلك.. هناك، ولا يزال يرتدي نظّارته).
كانت سـولي تحب جاك، خاصـةً عند اقتراب الظلام، لأن طعم لسـانه مثل البرتقال، وصـدرّه ناعم ورّخو، كما أنه يمكنها من تجنب النظر، إلى وجهه المضعضع!
كان جاك يكبُرها، فهو في الثامنة عشـرّة، بينما كانت سـولي في الخامسة عشرّة. كان صبوراً.. أكثر من ستة أسابيع مستفزاً من تضـاريس جسـدها المتمرد (شـفتيها، عنقها، صـدرّها، حلمتي نهديها، سُـرّتها، أصـابع قدميها، سـاقيها، الرّكبتين، الفخذين وردفيها..)، وآخيراً زّحف فوقها على أطرّافه، مثل كلب واقف!
تتذكر سولي؛ أنها كانت تنتظر مثل هذه اللحظة، طوال حياتها.. أو هكذا بدا لها الأمر. عندما كانت في الحادية عشـرة من عمرها فقط، وسألها (كانديس ماك)، عما ستفعله، إذا اكتشفت أن أمامها؛ أربعة وعشرين ساعة فقط لتعيشها؟
لم يكن لدى سـولي أي فكرّة عن الإجابة الملائمّة، لكنها قرأت في كتاب والدتها العالمي، سؤالاً مشابهاً؛ في اختبارٍ قصير، وكانت

الإجابة في ضع دائرّة على الحرف الصحيح، هي (د): (سأستمر في عيش حياتي كالمعتاد)، وكشف التحليل في الصفحة مائتين وخمسة وعشرين، أن هذا اختيار فرد قوّي حقاً، واعتبرته سولي كذلك لفترّة، حتى صاح كانديس: "الجنس، المتعة، اللعنة، نعم!.. أعني، ألا تريدين، مثل، أتعرفين؟"

الآن يقوم جاك بإدخاله هناك، محاولاً أن يجد طريقه، بطبقة مزدوجة من الواقي الذّكري، الملئ بالسائل المنوي.

سولي تتنفس بصعوبة؛ محاولةً الاسترخاء.. جاك لا يقول لها كلمات حميمة، كحبيبتي.. أو يدعها ترضعه، يكتفي فقط بأن يقول لها: "استرخي" رُبما لهذا وحده تحبه، ولكن عندما يهتز السرير، تؤلمها فروّة رأسها. لأنه لا ينتبه أن شعرها عالق تحت مرفقيه!

سولي تحب المحيط. وتحب فلوريدا وبروتوكول الإنترنت، ومكتب خدمات المشارّيع بفلوريدا..

سولي تحب الرياضيات، والعزف على الجيتار، وصنع الأغاني المختلطة.

***

في لحظة الإيلاج، هذا ما تراه سولي دائماً: بناطيل جينز والدتها الزرقاء، التي لا تزال رّطبة صباح يوم الأحد، معلقة من أسفل لأعلى، في كل مكان لتجف!

إنه الشتاء..

سولي الآن في الثانية عشرّة من عمرها. والدتها في الكنيسة.. ظلال البناطيل التي في كل مكان، تهتز في أشكال جذعية مخيفة..

"سولي" معتادة على الأشكال الخالية من عتمّة.. زّوج واحد معلق من مروحة السقف.. آخر ينزلق على مقبض الباب.. آخر ملفوف على مسند الأرّيكة..
زوج آخر يتدلى بحلقة حزام؛ من نهاية قضيب الستارّة، مرقع مرّتين عند الرُّكبتين، وممزّق من الفخذين.. وينتشر زوج بجيوب مرّصعة بالنّحاس، على الطاولة المكسوّة بالفورميكا القاسية، وأرجله مثبتة على حرف V الانجليزي.. في للعذراء. في للمهبل. في شاغر.. سولي تحب المحيط. وتحب فلوريدا وبروتوكول الإنترنت ومكتب خدمات المشاريع بفلوريدا!
سولي تحب الرياضيات..
والدة سولي تصرّخ في عمها: "ابتعد عنها، انزل منها"
عم سولي يقول: "سأقتلكما كليكما، أيتها العاهرات"

***

في سن السادسة عشرّة كان هناك جون هنري، الذي تفوح منه رّائحة قطة، وستيفان!.. ما هو اسمه، بهيكله العظمي الضئيل، وفي السابعة عشرّة يوجد موسى (نعم، موسى) الذي يوقظ نفسه باسفنجة، وهو الرّجل الأكبر سناً الذي عرفته، والذي لن يفعل سوى أن يقوم بتثبيتها من الخلف، و(أشر وو).. الذي يتوقف عن التقبيل، ليسألها؛ لماذا يبدو ملمس ظهر ذرّاعيها؛ كملمس جلد الدجاج، بينما باقي ذراعيها ناعماً كالحرّير!
في الثامنة عشرّة من عمرها توقفت عن العد. وفي الثانية والعشرين تزوجت جاك، الذي قُتل في العراق في العام التالي لزواجهما.

***

في وقت لاحق، بعد ذلك بكثير، هناك سنجين سيمور سيلفرشتاين، الصَّبي الذي يحمل اسم الرّجل العجوز.
كان يبلغ من العمر ثلاثة عشرّة عاماً، ويمسح جبهته المالحة بكُمِّه. سـولي في الحادية والثلاثين الآن. يقوم بقص حديقتها، وتقليم شجيرّاتها، في أحد الأيام دعته إلى الداخل، لتناول كوب من الماء، وأثناء ابتلاعه جرعة، كان بإمكانها رؤية تفاحة آدم، التي لم تبلغ سن البلوغ وهي تتمايل. قال: "لديك بالتأكيد مسكن جميل، سيدة سولي"
كان مُعجباً بمكبرات صوت الاستريو الأنيقة، وأجهزة الفايكنج؛ والمرّاكب الشرّاعية..
سينجين سيمور سيلفرشتاين.. حلو، حلو مثل مكعبات الكيك، وبينما كان يغسل كأسه في المغسلة، يعطيها ظهره، اقترّبت منه.. وضغطت ثدييها على ظهرّه، وحاصرّته ببطء بوركيها وكتفيها النحيفين، بحرّكة على شكل الرّقم ثمانية. "جاك!.. لماذا جاك؟"
جاك اعتنى بها عناية شديدة، نظفها بفوطتين مبللتين وبالمناديل الورّقية، التي كان قد اشتراها من محل قرب الكنيسة، حيث كان يعمل.
سنجين سيمور لا يصبر طويلاً، لا يصبر حتى تقذف.. رُبما دقيقة.. قامت بضربه على جبهته، وعندما كان يرتدي ملابسه للذهاب، كانت تمرّر أناملها على خط فكه النّاعم، وصولاً إلى ذقنه.

ثم تُخرج سولي مجفف شعر والدتها القديم، وتوجهه نحو الملاءة، لتجففها من بلل المعركة، وهي تقول لنفسها: "سأستمر في عيش حياتي كالمعتاد"
فيما تراقب البقع تتقلص وتتلاشى.

المساهمات، بيمي أغودا
Contributions 'Pemi Aguda

لفترّة طويلة كنا نتدرب على (الايســـوزو). أُمهاتنا وجَدّاتنا فعلن ذلك. ومن المحتمّل أن جَدّات جَدّاتنا أيضـــاً فعلن ذلك. لم نواجه مشـــكلة في هذا الأمر من قبل، لم يكن هناك شـــيء مهم؛ حتى ظهرّت في حيّاتنا هذه المرأة، لا شيء لا يمكننا إصلاحه، على أي حال؛ هذه هي الطرّيقة، التي يعمل بها نظامنا:

كل امرأة لديها شـــهر واحد، للمســـاهمة بمبلغ محدد من (النيرّة). أسـماءنا مدرّجة في قائمّة، وعندما ينتهي ذلك الشـهر، أياً كان من يحتل المرتبة الأولى، فسيأخذ الايسوزو كله.

ثم تبدأ المسـاهمات مرّة أخرى، وفي نهاية الشـهر الثاني، يتم جمع المبلغ الثاني، ليأخذه شخص آخر. الأسماء دائماً بترتيب عشوائي. نذهب إلى أسـفل القائمّة، حتى يقوم آخر شـخص بجمعها، ثم نُعيد ضبطها، مرّة أخرى لنبدأ من جديد.

هذا الأمر عملي بالنسبة لنا. لسنا بحاجة إلى البنوك الخاصـة بكم. لسنا بحاجة إلى قروضكم. يمكننا الاعتناء بأنفسنا!

الأمور ليســـت دائماً على ما يُرام. مثلاً، أهدرّت (إيا إبيجي) ما جمعته، في رّحلة إلى دُبي -ركوب الجمال والتسـوق- ثم لم تتمكن من تقدّيم مسـاهمتها في الشـهر التالي! فاضـطررنا إلى الاسـتيلاء على مولد، متجر الأطعمة المجمّدة، الخاص بها. حتى أتت بالمال!

نحن لســن شــريرّات، لكن يجب أن تفهم، لكي يعمل هذا النظام، يجب أن يتم تطبيق القانون الخاص بنا بصــرّامة، فالنظام يحتاج لنظام آخر، للحفاظ عليه!

ومرّة أخرى، اضـطرّت السـيدة (ب) إلى دفع فواتير المسـتشـفى لعملية إبنها.. إذا أظهرنا الشــفقة لها أو لغيرّها، ولو لمرّة واحدة، فما بنيناه ســوف يدّمر ذّاته، وينهار على رؤوســنا، ولذلك قمنا بالاستيلاء على إبنة السيدة (ب)!

كـانـت البنـت مفيـدّة، إذْ جعلنـاهـا تعـد لنـا وجبـات الطعـام، وحمـل حقائبنا عندما نذهب إلى التســوق، والحق يقال، أنها خففت عنا بعض الأعباء؛ وفرّكت أقدامنا وضـفرّت شـعورنا، وعندما جمعت أمها السيدة (ب) المبلغ المطلوب منها، أعدنا إليها ابنتها.

وما زلنا نحتفظ بذكريات جميلة، عن هذه الفتاة الخدومة: ابتسامتها الحُلوّة، حسـاء اللحم البقرّي الحار، الطرّيقة التي تقفز بها، من قدم إلى قدم، كما لو كانت عظامها مصنوعة من الورّق.

في الحقيقة مجموعتنا صــغيرّة. يجب أن نكون كذلك، بســبب تركيزنا على عملة نادرّة، هي الثقة، والأمانة. التي لا يتداولها كُثُر هذه الأيام، لذلك لن يقبل أي شخص؛ بشروط القبول الصـارّمة في مجموعتنا الصغيرّة.

ليســت هناك كثيرات؛ تقبلن بالحزم والصــرّامة! نحن نفعل ما بوســعنا، حتى نوفي بالتزاماتك، وبالنســبة للكثيرّات، هذه قوّة ومخاطرّة كبيرتين.

نحن نقول لمن ترفضن قوانيننا، وهن مطرقات في مسكنة تتوسلن: "نحن لم نـدعوكن إلى مجموعتنـا، اذهبن وجربن حظوظكن مع البنوك"

لقد عملنا بجد، حتى لا نسمح بأي تساهل غبي، قد يعيدنا إلى زرائب الحوجة مرّة أخرى. لذلك عندما جاءت المرأة الجديدة، إلى اجتماعنا وشتمتنا، بأسنانها الملتوية المصفرّة، حذرناها، وسألناها عما إذا كانت متأكدة.. "نعم"، قالت.. إنها بحاجة إلى بديل للبنوك.. "نعم"، قالت، أنها متأكدة.. فهي إبنة عم أحد أفضل أصدقاء إخوتنا، لذلك قلنا حسناً، حتى لو كنا مترددين -لقد رّحبنا بها في الظاهر، لكن صدورنا كانت تحتبس على رّأي آخر!.. نعم، رّحبنا بها..

في البداية سارّت الأمور بسلاسة. فالهُراء نادراً ما يُظهر نفسه على الفور. دفعت مساهماتها في الوقت المحدد؛ جاءت إلى الاجتماعات، وشرّبت (فانتا)، وأكلت معنا (زوشيني). وتبادلنا الآراء حول اللّون، الذي يجب أن نرتديه، في حفل زفاف (أوجي) ابنة السيسي. هل نرتدي (الوردي أو العنابي)، وما إذا كان علينا بشكلٍ جماعي، التوقف عن ارتياد منتجع طريق الطبيعة، لأن المالك دفع واحدة منا بمرفقه، عندما كان في طريقه للكنيسة، للحصول على القربان.

ولكن بحلول الشهر الرابع -بعد ستة أشهر من شهر جمعها- بدأت في ترك رسائل نصية على هواتفنا، وهي تتوّسل طالبةً مزيداً من الوقت!.. "انظروا، الأمر لا يعمل بهذه الطريقة!"

قمنا بتقيّيم حياتها، والتحقق مما يمكننا الاستيلاء عليه، وما يمكن أن نأخذه منها، حتى تفهم خطورّة هذا الالتزام.

لم نجد عندها شيئاً في القرّية، سوى زوج بائس وأم عجوز! ومع ذلك قبضنا على الزّوج! للأسف، كان عديم الفائدة في منازلنا.

جلس مع أزواجنا، ببطنه الكبير كبطونهم، بتأثير البيرّة والأكل دون عمل!
كلهم كانوا يرتجفون بشكل هُلامي في مرّح، وهم يحكون لبعضهم النكات البغيضة! كان زوجها يصرّخ في مباريات كرّة القدم، التي تشارك فيها بلدنا، ويلعب تنس الطاولة في حدائقنا، ويصيح مثل الأحمق، كلما ارتطمت الكرّة بالمضرب في يده، وفي بعض الأحيان كان ينظر إلينا. نظرات تذكرنا بامتداد أورّاكنا، وترّهل صدورنا وأجسادنا، التي لم تعد رّشيقة ومرّنة، وضخامتها التي أصبحت تشغل مساحة كبيرّة في بيوتنا..
أُحبطنا، فأعدنا إليها زّوجها، لكنها استمرّت عاجزّة عن دفع مساهمتها، فقبضنا على والدتها. لم تكن والدتها أفضل حالاً من زّوجها.. كانت تجلس طوال الوقت، تتأمل زوايا منازلنا، وزوايا أجسادنا بعينيها المنتفختين، فيما كنا نحن نقصف (اليام) أو نخيط زراً في ثوب قدّيم!
أمها العجوز، اختلط جسمها مع أنسجة العنكبوت، واكتسب جلدها زغباً غامقاً، وقشوراً لامعةً، في الظلال المتغيرّة، وعندما تحوّلت في النهاية إلى ضفدعة ثم سحلية فقطة، صرّخ أطفالنا فرحين!
لكن عندما حاولوا مداعبة القطة، خربشت أيديهم، وسال الدّم، وتركت ندوباً بأشكالِ لُغّة غرّيبة. لقد قفزت بعيداً عن أذرعنا المتألمة، لتجلس عالياً فوق رؤوسنا، فقمنا بتوتر، نلوّي أعناقنا لننظر إليها، ونحسدها على خفة الحرّكة الرّشيقة، والطرّيقة التي يمكن بها، أن تجذب جسدها وتكمشه فيبدو أصغر وأخف، كانت ماكرّة وقادرّة على التخفِّي، والوصول لأي مكان تزّيده!

أرسلنا الأم بعيداً، واستدعينا المرأة وسألناها، ما الذي يمكن أن تقدمه لنا بعد كل هذا، حتى نتمكن من الحصول على مساهمتها، التي فشلت في الوفاء بها؟

أجلسناها في وسط المجموعة، حتى تشعر بأعيننا تتأرجح في جلدها من كل اتجاه، وحتى تشعر بضغط خيبة أملنا فيها. قالت، انظروا، هل ستأخذنَّ ذرّاعي؟

كانت ذرّاعيها طويلتين، وذات عضلات خبرّت العمل الشاق، فقبلنا بذرّاعيها. كانت مفيدّة في مطابخنا، هذه الأذرّع، تقطع أورّاق (الأوجو)، هنا وتقلب قدر من (الإيويدو) هناك، تقطع (اليام)، تقطع التفاح. كانت مفيدة في المزرّعة وفي المنزل، إذ كانت أيضاً تزيل الغبار المترّاكم في الممّر، وتهز الطفل لينام.

أحياناً كانت الأذرّع ملفوفة حولنا، عندما كان أزّواجنا يصرّخون، أو عندما كان الأطفال يبكون مرّة أخرى، أو عندما تتلبد السماء باللون الأزرّق الدَّاكن. لكن مع ذلك، لم تستطع تقدَّيم مساهمتها، لذلك تمسكنا بذرّاعيها!

"ساقاي؟" سألت، متى -في الشهر التالي- ما زالت غير قادرّة على الدّفع. جلست، بلا ذرّاعين، وأكمام فستان (البوبا) منهارّة على جانبيها، في منتصف الدائرّة، ورأسها منحني بحيث، أخفت ضفائرها وجهها، عن أعيننا المتسائلة.

لم نشهد مثل هذه الحماقة من قبل، مثل هذا الاستسلام، لتخلي إنسان عن أجزاء من جسمه!..

لكن ساقيها كانتا قوّيتين، بسمانات صلبة، وأقدام يمكن أن تركل كرّة القدم مع أبنائنا، وركبتين قوّيتان، نسند عليهما رؤوس بناتنا، عندما نضفر شعرّهن، أو تسند رؤوسنا عندما نشعر بثقل عيوننا

وثقل رؤوسـنا ونبكي، لأن السـماء كانت لا تزال غائمة. بظلالها الزرقاء!

"جذّعي؟"، عرضته علينا.

"رأسي؟" أضافت!..

أصـبح صـوتها أكثر فراغاً، مع عرضـها لكل جزء جديد من جسدها، نظير مساهمتها!.. وما فائدة هذا الصدر، هذه المعدة، هذا الرأس الثقيل، الذي ليس سـوى مجرد جمجمة؟ وكنا نأخذ ما تعرضه، أخذنا وأخذنا وأخذنا.. لم نر ما فعلته، حتى حصلنا على جميع أجزاء جسدها!

ألم نرغب أيضاً ودائماً في التخلص من أجزائنا، وأن نكون أخف وزناً، ولا نكون شيئاً، وأن نكون أحراراً؟.. ألن نتوقف عن إعطاء كل شيئ حتى لا تعود أجسادنا ملكًا لنا؟

الآن، لا نتحدّث عن ذلك، لأننا نخجل من أن نعترف كيف خدعتنا في حملها، وتحمل وزنها إلى الأبد، وأعصابها وعظامها وأسنانها وعضلاتها وأنفاسها ودمها!

نتجنب أعين بعضنا البعض، بينما نناقش المساهمات والمجموعات. عندما ننتقل من الاجتماعات، تنحني أكتافنا، وتتدحرج أطرافنا من عبئها، ومن حمل ما أخذناه.

لوائح أفريقيا، إك أوسوندو
Enacting Africa, EC Osondu

كانت مجهوداتي بمعايير الأسبوع الماضي رّائعة، هذا يعني؛ أنه ليس عليَّ القيام بنقد ذّاتي، مثل الآخرّين. لا يتوجب على المرء، أن يسأل نفسه سبعة أسئلة حرّجة، أو يقدم سبع استجابات مختلفة. فالمعايير العظيمة، وضعت لهذا السبب، إذ تجعل المرء يشعر، وكأنه منذ وقت طويل يتسابق في عرض للنجاة، فالشخص الذي يُبلى بلاءاً حسناً، في التحدّيات التي يواجهها الفرّيق، يحصل على الكافيار وجبن غروييير، وبينوت جريجيو المجمّد.. أما الخصوم الخاسرّين، فلا يحصلون سوى على الجرّاد والعسل البرّي.

لا يعني ذلك في المزرعة، أن نسمح لأنفسنا بالشماتة في بعضنا، فنحن فريقاً واحداً كبيراً. نحن عائلة واحدّة سعيدّة.. نحن هنا لدعم بعضنا البعض.. سنكون لا شيء بدون بعضنا البعض..

كانت الفكرّة ولا تزال، أن ندعم بعضنا البعض.. الشماتة ليس مسموحاً بها، لكن أيضاً من الجيد أن نشعر بالرّضا. كان واجبي هو تمثيل إفريقيا.

لم أستسلم. جعلت العملاء يرتدون (داشيكي) ملوّن. جمعتهم في دائرّة، وشجعتهم على التخلص من شخصياتهم القديمّة. كان عليهم أن يتخيلوا أنفسهم، تحت شجرّة (إيروكو) في ساحة قرّية أفرّيقية. لقد شرّعت في سن القوانين الملزمة، مثل القرّية.. أعني، كيفية تربية الطفل فيها (وهو المثل الذي رّوج له أحد السياسيين).

اسمحوا لي سادتي، أن أقدم اعترافا خجولاً، حول سنوات نشأتي في إفريقيا، إذ لم أسمع إطلاقاً أي شخص، يستخدم هذا المثل عن الأطفال والقوانين والشرّائع، في مثل هذه الأمور!

أخبرت ضيوفي بقصة شعبية أفريقية، مليئة بالحيوانات الناطقة، والملوك القُساة، والأميرّات البدينات، وتلك الأمور التي تجعل الرّعشة والدّفء، يسرّيان في عروقنا!

جعلتهم يغنون ويرقصون، وجعلتهم يلعبون أدوار الحيوانات المختلفة، التي في القصة. لقد تم نقلهم يا سادتي إلى الأبد.. إلى قلب حلقات قرع الطبول الأفريقية!

لا عجب أنهم قد جعلوا الاحتفاء بي مناسبة رّائعة.. ومع ذلك، فإن زميلتي لينغ، قد حصلت على تصنيف أقل من ممتاز، بل الحقيقة المؤلمة سيئ للغاية. لكن في بعض الأحيان، عليك أن تقضم الرّصاصة، نعم.. ابتلع الحبّة المرّة، وقل الحقيقة حتى لو أدت إلى تذّمر الجميع!

كانت جذوة تأثير لينغ خابية. على الأقل هذا ما كان يقوله معظم النّاس في المزرّعة. لذلك تراجع تقييمها، كان بإمكان الجميع رؤية ذلك. في نقدها الذّاتي، فبدلاً من طرح الأسئلة السبعة الحرجة على نفسها، وتقديم إجابات حولها، كانت منشغلة بإلقاء اللّوم على العملاء!

اشتكت من أن زبائنها، الذين قالت إنهم كانوا من النّوع الخطأ. قالت إن عملائها لم يمنحوها الفرصة، لإظهار إبداعها وخبرّتها. يبدو أنها نسيت أمرّين مهمين في عملنا. كما يُذكرنا كتاب القواعد دائماً، لم تكن هذه قواعد، بل كانت اقترّاحات، لأننا كنا وكلاء أخلاقيين أحرّار، ولسنا آلات مبرمجة..

القاعدة رقم ١: تقول، أن العميل دائماً على حق.. القاعدة رقم ٢: تقول، عندما تكون في شك، أنظر القاعدة (١ أعلاه).
رّفعت أيقونة لينغ على الشـــاشـــة ذات الخلفية النخيلية لكمبيوتري الخاص، وبعثت لها وجهاً مبتسماً.. فرّدت بوجهٍ باك.. أرسلت لها وجه حزّين بفم عابس وعيون تعيسة، طلبت أن نلتقي شخصياً "أنا ملتزم"
قالت لينغ: "الطعام الصـــيني، الطعام، الطعام، هذا كل ما يريدون أن أتحدث عنه".
كانت تبكي وتلف مكياجها الثقيل. كان شيونغسام الأحمّر منحرفاً. ومع ذلك، يحتاج المرء إلى أن يكون زميلاً جيداً. كنا جميعاً هنا في المزرّعة، أُخوّة، يجب أن يكون الواحد منا أخونا أو حارس أختنا، حسب ما يستوجبه الوضع..
"لينغ، كان التقييم الخاص بي منخفض جداً، هل تتذكرين؟ لقد كانوا جميعاً أقل مجاملة، لكنني جمعت نفســـي من تحت حذائي، ورّفضت أن أكون مضغة في الأفوّاه.. انظري إليّ اليوم".
عضـــضـــت لســـاني، لأُذكر نفســـي، بألا أكون مغرورّة، أو غير محتشـمّة. كانت لدي مسـؤولية تجاه لينغ، بمسـاعدتها حتى تتمكن من الوقوف على قدميها، وتصـبح أفضـل ما يمكن أن تكون عليه، حتى تحقق المزرعة أهدافها، التي أُســـســـت من أجلها.. وســـبب وجودها.. سألتها: "ماذا يمكنني أن أفعل للمساعدة؟"
"بصـــرّاحة، لا أعرف. أعتقد أن المشـــكلة هي الصـــين.. يريدون التحدّث عن الطعام الصّـــيني، ليس لدي مشـــكلة في الحديث عن دجاج الجنرال تســـو، وبطة بكين ودجاج الســـمســـم، إذا كان ذلك

سيفتح الباب، أمام التقييمّات الرّائعة. لكنهم بالكاد يريدون منحي فرصة..
كما تعلمين، لا يُسمح لنا بالطهي للضيوف.. أعتقد أن بعض الضيوف، يفضلون أن أطهو لهم طعاماً صينياً.. الحقيقة هي، أنني لا أعرف كيف أطبخ أي شيء.. أنا حتى لا أحب الطعام الصيني".
أدرّكت لينغ أنها ذهبت بعيداً قليلاً، ما قالته للتو، كان أكبر من أن يكشف عن نفسه. لم يكن هذا نقداً ذاتياً. حتى في النقد الذّاتي، لا يُسمح للمرء أن يشير إلى أنه غير كفء، أو أقل من أي مستوى ممكن!
لُغّة النقد الذّاتي، لا تتحمل الموظف الكسول!.. قال أحدهم أشياء مثل: "أجد صعوبة في التواصل مع عملائي، على جميع المستويات، في بعض الأحيان.. أنا لا أشعر بالبهجة في كثير من الأحيان.. أحتاج إلى العمل بجدية أكبر لأكون أكثر كمالاً.. أحتاج إلى أن أكون أكثر نشاطاً.. يجب أن أُجسد الدور الذي ألعبه كل يوم.."
كنا زملاء في المزرعة، وكنا جميعاً لائقين ومؤهلين، وكنا الأفضل، واعتُبرنا جديرين ولدينا القدرّة على التعلم.. لقد كنا المختارين. وكان خطأً فادحاً، أن نعترّف بأن أحدنا أقل كفاءة، أو أنه ليس الأفضل، أو ليس في ذُروّة الابتكار.. وكنت أرغب في مساعدة لينغ، قلت لها: "انظري، لينغ، أعرف كيف يمكن أن تكون هذه التقييمّات، غير المثالية أقل تشجيعاً، ولكن هل فكرّت في إخبارهم بالحكّايات الشعبية الصينية؟ عادة ما تحقق حكاياتي الشعبية الأفريقية، نجاحاً كبيراً مع عملائي".

"الحكايات الشعبية الصينية؟ حسنًا، إنها ليست مثل قصصك الأفريقية، كما تعلمين. في الحكايات الشعبية الصينية، أولئك الذين يفعلون الخير، ينتهي بهم الأمر للعقاب. لا يمر عمل صالح بدون عقاب على الإطلاق".

قلت: "آه".

"هل سمعت عن التنانين الأربعة، التي حاولت إنقاذ شعب الصين من الجفاف؟"

قلت: "لم أفعل، لكني أعتقد أن التنانين رائعة".

"ذات مرّة، كان هناك جفاف، وكاد الشعب الصيني يموت من الجوع والعطش، بسبب عدم هطول الأمطار. عندما سمعت التنانين الأربعة صرخات النّاس، قرروا التوسط نيابة عنّهم، من خلال مناشدّة الإمبراطور اليشم، لإرسال المطر. قال الإمبراطور اليشم، إنه سيرسل المطر، لكنه نسي الأمر على الفور.

قررّت التنانين أن تأخذ الماء من البحر، وتصبه من السماء مثل المطر، وعندما فعلوا ذلك، أصبح النّاس سعداء.

ومع ذلك، عندما سمع الإمبراطور اليشم، بما فعلته التنانين، استشاط غضباً، فقد أعتبرهم اغتصبوا دورّه. فدعا الإمبراطور اليشم أربعة جبال، لسجن التنانين الأربعة. وجاءت الجبال الى الأسفل، وهكذا انتهى المطاف بالتنانين الأربعة الطيبة، بالموت في سجنهم الجبلي".

"آه"، قلت مرّة أخرى، بشكل أكثر تأكيداً هذه المرّة: "هذا بالذات يبدو غير مبهج بعض الشيء!"

"هل ترين ما أقصده؟"،

ســـألتني لينغ. لقد رأيت بالفعل ما كانت تعنيه، لكنني لم أخبرها بذلك، قلت: "يمكن للمرء دائماً أن يكون مبدعاً في قصـصـه، كما تعلمين. أنا شخصياً أستخدم القليل من الإبداع، بين حين لآخر".
"أنت تفعلين؟"
سألتني لينغ، بدا لي الأمر مشؤوماً نوعاً ما.. نظرت بشكل محرج إلى شـــاشـــتي النخيلية.. قالت لينغ: "أرى أنه عليك العودّة إلى العمل".
ثم أومأت برأسـها نصـف إيماءة.. فقلت: "أنا آسـفة حقاً لأنني في مثل هذا الوضع، الذي لا يمكن معه فعل شيء أكثر لك".
ردت لينغ: "يجب أن أتعلم كيف ألتقط نفسي".
قلت: "لدينا جميعاً لحظات أقل من مثالية".
ولم أنظر إليها، بينما كانت تتراجع ورأسها منحني..
أضـاءت شـاشـة النخيل الخاصـة بي، باللَّون الأزرق، وتم تمرّير رّسالة عبرها: "لديك عملاء. لديك عملاء. لديك عملاء.."
اســتعديت ووضـــعت هدّفي في اللُعبّة -أو بالأحرى، هدفي في إفريقيا، وكنت على اســتعداد للذهاب للحصـــول عليه.. راجعت شـاشـتي النخيلية.. خفق قلبي بصـوت عال.. لقد كان صـحيحاً إلى حد ما، ما أخبرونا به دائماً، عن كونهم فاعلين في المزرّعة، لم يكن هنـاك عميلان متمـاثلان على الإطلاق. كـان هـذا هو الجزء الممتع من دعوتنا كفاعلين.
"جامبو!"
استقبلني موكلي، بفرّح شديد.
"جامبو!"

رّحبت به مرّة أخرى، وأبرزت نبرّة صـــوتي قليلاً لتتناســـب مع حماســـه العالي.. كان يرتدي داشـــيكي، حول رّقبته، ذلك العقد المصنوع من الصدف والخرّز.. بدأ يقول، بعد أن صافح يدي بقوّة وحماس: "آه، أفتقد أفريقيا، لم أكن أعلم أبداً أنني سأفتقدها، إلى أن تبينت ذلك بعد أن غادرت.. بدا أنني عشـــت أكثر، عندما كنت هناك. يبدو أن الحيّاة هناك تأتي إليك في موجات. تشعر بها أكثر.. أنت تعرفين ما أعنيه صـــحيح؟ أكثر حيوية.. أكثر وعياً بحقيقة أن كل لحظة مباركة، قد تكون الأخيرّة.. يا للهول، أنت على وشـــك عبور الطريق، دون النظر إلى اليسـار أو اليمين، مثل أي شـخص آخر.. والازدهـار، على مـا يبـدو من العـدم، مـاتـاتو بموســـيقاه الصـــاخبة التي تنطلق من مكبرات الصـــوت، فتصـــطدم بك.. وازدهر، أنت في طريقك للقاء صـــانعك. مثل هذا تماماً.. يا للهول!"

"بووووم! ،!trhum"

هذا ما قلته وأنا أبتلع دهشـــتي!.. شـــعرت أنه ســـيدير كل الكلام وحده، لذلك لم أتدّخل، سمحت له بذلك..

"تلك الرّائحـة. أنـت تعرّفين تلـك الرّائحـة، أليس كـذلـك؟ لا يوجد شيء مثل تلك الرّائحة. رّائحة أفريقيا".

قلت: "يمكننا أن نصنع تلك الرّائحة لك هنا، في المزرعة".

"تستطيعين؟"

سأل كطفل، فقلت: "فقط أعطني ثانية واحدة".

جمعت أورّاق الموز الجافة، وقشـور الذرّة وأشـعلت ناراً صـغيرّة. ثم قمت برّش القليل من بذور الفلفل الحار، وبمجرد أن بدأت النّار تشتعل، أخذ يستنشق الهواء مثل القوارض..

تنفس، ثم شــمّ مرّة أخرى.. "الرّائحة، الرّائحة. أســتطيع أن أشــمّ رّائحة أفريقيا مرّةً أخرى"..
قال، فاجبته: "رّائحته جيدّة. هذا ما تقدمه لك المزرعة! نحن نبذل قصارى جهدنا لإسعاد ضيوفنا"
ثم قلت في نفسـي: "كما تعلم، على عكس معظم الأشـخاص، الذين يذهبون إلى إفريقيا، لم أر نفسي ذاهبةً إلى إفريقيا، في مشروع من نّوع ما، لإنقاذ إفريقيا بالمسيح مثلاً!
كنت آمل نوعاً ما، في الابتعاد إلى أي مكان، لإنقاذ نفســـي. لم أذهب بنية مساعدة الأيتام، لا تفهمني خطأ، إن مساعدة الأيتام أمر رائع، والأيتام، الذين يوجد عدد كبير منهم في أفريقيا، بحاجة إلى كل المســاعدة، التي يمكنهم الحصـول عليها. لكن لأكون صــادقة، بالكاد استطعت مساعدة نفسي".
أضفت جهراً: "لا يوجد مكان مثل إفريقيا".
"دعيني أخبرك بهذا. كانت أفريقيا هي المكان الوحيد، الذي لم يحكم عليّ. لقد اعتدت على أن يتم الحكم علي من قبل الأســرّة، والحكم عليّ في المدرّسة، والحكم عليّ في الوظائف الرّهيبة، التي يشــغلها عادة أناس مســدودي الأفق، حيث كنت عادةً يتم فصــلي سريعاً، لكن إفريقيا لم تحكم علي أبدًا".
قلت: "الوطن الأم لا يحكم على أحد، فأصل البشر من أفريقيا".
كانت النيرّان مشــتعلة، ورّائحة أفريقيا تتلاشـــى مع البخار، الذي ينبعث من اللهب المتضائل ببطء.. كان وقته ينفد. أحببت الضيوف مثله. كان هو الذي قام بكل الأداء. لا تفهموني خطأ. أنا أحب أن أتحدث.

نظرت إلى شاشة النخيل الخاصة بي. فنظر إلي.. "آه، لقد نسيت نفسي تقريباً، أنت لا تستطيعين أن تصنعي الزّمن الأفريقي هنا. فكما تعلمين، بالعودة إلى إفريقيا، أن موقفهم تجاه الوقت أحد الأشياء التي أحببتها حقاً.. هناك، إحساسهم بالوقت مستوّحى مباشرّة من كتاب "إصرار الذّاكرة" لسلفادور دالي. إنهم يعرفون شيئًا لا نعرفه هنا، الوقت عندهم مخصص للإنسان، والإنسان ليس مصنوعاً من أجل الوقت".

قلت: "لم تقال على الاطلاق كلمات أكثر صدقاً، من هذه الكلمات".

قال: "عند هذا الحد، يجب أن أذهب".

شكرته عندما جاءت رّسالة ترقية. نظرت بعيداً مثل نادلة جيدة، ولم أتسكع لمعرفة مقدار ما تبقى من إكرامية. بمجرد أن غادر، نظرت إلى الهدّف في بلدي.. ممتاز! لقد قيمّني بصورّة مرضية، حتى أنه وضع علامة تعجب!

على الرُّغم من أنني كنت مترددة في الاعترّاف بذلك علناً، لم يكن هناك شك في أنني، كنت على وشك أن أفعل ذلك.. من يدري؟ رُّبما في يوم ما قريباً سأصبح قائدة!

في تارّيخ المزرّعة، لم ينهض أي من أولئك الذين شرّعوا قوانين أفريقيا ليصبح قائداً. يمكن أن أكون الأولى. من يدري؟

لم أسهب في هذه الأفكار لفترّة طويلة. على المرء، أن يحذر من أوجه القصور، مثل الغطرّسة والكبرياء وعدم الاحتشام. من الجيد أن يفخر المرء بعمله، ولكن يجب على المرء أن يتذكر أن المزرّعة، كانت كلها أجزاء صغيرّة، تعمل معاً كوحدة واحدة.. هذا أحد المبادئ، التي علمتها لضيوفي، على أنها جوهر الشخصية الأفريقية.

كان هذا ما ترمز إليه أوبونتو. فهو إقراراً بأن المرء لا شيء بدون الآخرين. أي شـخص واحد ناجح، إنما بسـبب أشـخاص آخرين، ساعدوه على النجاح!

***

لقد حان الوقت للخروج. أغلقت شاشة النخيل الخاصة بي، وقمت بتسجيل الخروج. بالطبع، يعلم الجميع أن شاشة النخيل، لا تنفجر أبداً ولا تتوقف أبداً عن مشاهدتك.

في قاعة الطعام في تلك الليلة، كنت هدفاً لجميع أنواع الجوائز. صفع الموظفون الآخرون ظهري. من كل ركن من أركان القاعة، نادى علي زملائي المشرّعين. قال البعض: "أفريقيا تنهض".

صاح البعض: "القوّة السوداء".

وقال آخر: "أفريقيا في القمّة".

"أفريقيا تتحرك"، نادى آخر في التحية.

كانت هناك أسـئلة من جميع الجهات. "هل يمكنك إخبارنا كيف تفعلين ذلك؟"

"ما هو سر نجاحك؟"

"ما الذي يمكنني فعله لتحسين...؟"

ابتسمت وتذّكرت، أن على المرء أن يكون متواضعاً، خاصة مع زملائه من الممثلين، لأن كل شخص في المزرّعة، كان شخصاً بسبب أي شخص آخر. كبحت فخراً ينمو في صدرّي، ويسعى للإفلات من عقاله، ولبست وجه التواضع المزعوم، وقلت: "لم أكن لأفعل ذلك بدونكم، زملائي المشرّعين. إذا كنت أقف مرفوعة القامة اليوم، تعلمون جميعاً ماذا يقولون، أليس كذلك؟.. ذلك لأنني أقف على أكتاف زملائي المشرّعين. نحن جميعاً نؤدي دوراً

عظيماً. نحتاج فقط إلى جعل عملائنا، يتواصلون مع قاراتنا وبلداننا الحبيبة، وأن نشاهد هذه التقييمّات تتطوّر إلى مستوىً عالٍ".
قالوا: "خطاب عظيم".
قالوا: "خطاب رفع المعنويات".
قالوا: "اسمع، اسمع".
نظرت حوّلي، مسحت طول قاعة الطعام وعرضها بحثًا عن لينغ. كانت تجلس بمفردها في الزّاوية. كانت مثل الطفل الذي لا يُحظى بشعبية، في المدرّسة، فيجلس بمفرده أثناء الغداء، ويبدأ يتكون داخله مستقبل قاتل متسلسل!
كان بإمكاني رؤية عشاءها، على طبقها من الستايروفوم.. كانت جزرّة صغيرّة واحدة. كانت تتناول جزرّة صغيرّة واحدة على الغداء؟!..
هذا يعني أنها تتناول من الجزر، أقل مما تتناوله أرنب مليئة بالحيوية والنشاط!..
كانت بحاجة إلى رفع معنوياتها. كانت بحاجة إلى حديث حماسي. كانت بحاجة إلى نفخة صغيرّة من الهواء تحت جلدها، لتفرد جناحيها السحريين وتطير!.
من الأفضل أن يعطيها، شخص ما الأمل، شخص مثل هذا الرّجل، الذي ألقى للتو خطاباً رّائعاً محتشدّاً بالمعنويات؟
ومع ذلك، وبينما كنت أسير باتجاه طاولتها المنعزّلة، وقفت وابتعدت، وعيناها على أرضية غُرّفة الطعام المليئة بالحيوية. سألت نفسي مجموعة من الأسئلة.. هل آذيتها بطريقة ما، بكوني غير متحفظة، مثلاً؟..

هل كنت أقل دعمًا لزملائي المُشـــرِعين؟.. هل فعلت أي شـــيء لتقليل شعورها تجاه شخصيتها؟.. لا، لا، ولا...
نظراً لأن الإجابات على الأسئلة الثلاثة، كانت سلبية، فقد شرعت في الاستمتاع بعشائي من القلب.

***

أخبرّتني شاشتي النخيلية، أن لدي عملاء. كانوا مجموعة مختلطة، لذلك قررّت أن أقدّم لهم ما أخبروني به، ولا أعرفه عن الرّوتين الأفرّيقي.. فسـألتهم: "هل تعلمون أنه في بعض أجزاء إفريقيا، يتم دفن النّاس في توابيت مصنوعة على شكل مهنهم؟"
ثم شـــرّعت في الإجابة على ســـؤالي الخاص.. "ســـيكون نعش الطبيب على شـــكل ســـماعة الطبيب، والمحامي مثل الباروكة والرداء، والميكـانيكي مثـل مفتـاح البرّاغي، والموســـيقي مثـل الجيتار"
تزّاوحت ردودهم من رائع إلى رائع جداً!.. رّفع أحد العملاء، وهو طالب جامعي، يده ليطرّح ســـؤالاً. لســـبب ما، جعلتني الأســـئلة متخوفة نوعاً ما. ألم أكن دقيقة بما يكفي في عرضي التقدّيمي؟
"وماذا عن صانع النعش؟"
قلت: "نعم، صـانع النعش.. عندما يموت صـانع النعش، هل يُدفن في تابوت على شكل نعش، لأن مهنته صناعة النعش؟"
ضـحك عدد قليل من النّاس. ليس ذلك الضـحك الجيد. أشـبه بنوع من الضحك التكذيبي على شاكلة: "مسكتك".
قلت: "حسـنًا، من الناحية الفنية، صـانع النعش هو نجار، لذلك يتم دفنه إما في طائرة يدوية أو في نعش على شكل منشار".

بدت إجابتي مرضية لعملائي. جاء موجه التنصيب وقاموا جميعاً بتصنيفي. عندما غادروا راجعت النتيجة: "لقد منحوني جميعاً تقييم ممتاز!"..

في وقت لاحق من ذلك المساء، اجتمعنا جميعاً، من في حضرّة لجنة التقييم.. ألقى قائدنا خطابه المعتاد، وأخبرنا أن يكون لدينا الموقف الصحيح، تجاه هؤلاء النقاد. يجب أن نغتنم الفرصة، التي سيوفرونها لنا، لنصبح فاعلين بصورّة أفضل.

لم يكن هناك شك، في أن أولئك الذين قدموا أفضل أداء، هم أولئك الذين رأوا النقاد كوسيلة، لتحسين أدائهم.. نظر إليَّ بحدّة، أومأ برأسه، وابتسم ابتسامة صغيرّة..

ابتسمت مرّة أخرى على نطاق واسع، طال الجميع.. أومأ برأسه للينغ. لكن لم يبتسم.. وقفت لينغ.. من كل رّكن من أركان القاعة، ارتفعت الأصوات في وجه لينغ. بدت أنحف وأضعف مما كانت عليه في السابق. وأصبحت عينيها حمراء من البكاء: "أعلم أنني لم أكن مجتهدة خلال الأسابيع القليلة الماضية، لكنني أعد ببذل قصارّى جهدي للتحسن"

تمتم: "الوعود ليست جيدّة بما فيه الكفاية. نعم، الوعود لا شيء بدون تطبيقات عملية.. هل أنا على حق أيها المشرعون؟" سألهم.

فردد الصدى:

"الوعود لا شيء".

ارتفعت الأصوات الفردية الواحدة، تلو الأخرى من زوايا مختلفة من القاعة..

"من خلال عدم اجتهادك، فإنك تسحبين المزرعة إلى أسفل.."

"أنت غير متفانية في عملك"

"المزرّعة تقل قوّتها بأضعف حلقاتها".
كان القائد يهز رأسه ويبتسم، وهذا بلا شك زّاد من وتيرّة غضب المشرّعين، حيث أصبحت انتقاداتهم الآن سريعة وغاضبة.
"أنت تحبطيننا."
"أنت لا تعملين كفريق واحد."
"أنت تخفضين معنويات الفريق."
"أنت لا تفعلين ما يكفي للصين."
"إنك تلحقين الضرر بالصين."
في غضون ذلك، كان القائد يسير بخُطى سرّيعة. كان يسير في الزّوايا الأربعة للقاعة، بينما كانت الانتقادات تنهمر. كان رأسه مرفوعاً، لكن عينيه لم تنظر إلى أحد، كانتا تنظران إلى الأمام مباشرّة.
"أستطيع أن أرى أننا جميعاً متفقون، على أن الوعود ليست كافية. المزرّعة تقف اليوم لأننا جميعاً متحدين معاً. لا يمكننا أن نسمح لأي فرد بمفرده أن يسحبنا إلى الأسفل.
قالت: "أنا بحاجة إلى وقت للتفكير".
وخرجت من القاعة ويداها خلف ظهرها. لم أنظر إلى لينغ. كان علي أن أكون حريصة، حتى لا يُنظر إليّ، على أنني انضممت إلى أحد الفاشلين، الذي كان يسحب المزرّعة إلى الخلف..
في صباح اليوم التالي، قمت بفحص حالة لينغ على شاشة النخيل الخاصة بي، لكن وجهها لم يظهر. حيث كان يجب أن يكون وجهها، كانت هناك بقعة سوداء. هززّت رأسي، ثم تذّكرت مقولة في المزرّعة: يأتي الفاعلون. المشرعون يذهبون. لكن المزرّعة

بـاقيـة. لقـد عقـدت العزم على العمـل بجـديـة أكبر، للحفـاظ على الوضع الخاص بي.

إرتفاع عالي، فرانسيس دي بونتيس بيبلز،
High Rise Frances de Pontes Peebles

الجار في الشقة ٧٠٦
اجتاح نافذتي مثل ظل طائر ضخم، لكنه لم يكن يطير. كان يتساقط. كنت أعد الغداء مع خادمتي (نوبيا)، علينا أن نعمل معاً الآن بسبب جائحة كرونا. فطباخي، أكبر من أن يتمكَّن من ركوب الحافلة إلى هنا -إنها خطورَّة عالية بسبب الزّحام- ومساعدتي الأخرى، التي تقوم بالتنظيف الثقيل، لديها طفل صغير، وليس هناك من يعتني به.. وأنا لا أريد أن تتزاحم الخادمات الثلاثة هنا، في ظل هذه الجائحة المرعبة!
على أي حال. (في الأحياء الفقيرّة، التي يعيش فيها هؤلاء؛ مكدّسين فوق بعضهم البعض، يجعلهم الزّحام فرّيسة شهية للفيروس).
لحسن الحظ، وافقت نوبيا على العيش معي، في غرّفة صغيرّة بجوار المطبخ. هيئتها لها بحيث تكون جميلة وغير مملة، إذ وضعت فيها جهاز تلفزيون ومروحة.
في بعض الليالي أسمعها على الهاتف مع والدتها وهي تبكي. فهي حتماً، تشعر بالذّنب لوجودها هنا، فهي آمنة ومرتاحة معي، فيما لا يمكننا قول الشيء نفسه، عن والدتها!.
في الشقق الأخرّى خادمات يأتينَّ ويذهبنَّ كل يوم، وكأنه لا يوجد حجر صحي؛ إنهنَّ تعرّضنّنا جميعاً لخطر الإصابة بالفيروس.. لقد

قلت عبر تطبيق زووم الكثير عن ذلك، في اجتماع جمعية السكان الخاصة بنا، لكن لا أحد يستمع!
الجميع يفعل ما يشاء، ومن الذي سيوقفهم؟ بالتأكيد ليس رئيسنا، الذي يسمي هذا بـ "برد قارّس قليلاً!"
حسناً، على الأقل رّفقة نوبيا جيدّة! فلو لم تكن معي، عندما مر الظّل على نافذّة المطبخ، لظننت أني توهمّته!
كان الأمر أشبه بغطاء تم شدّه ثم رّفعه. في تلك الثانية العابرّة.. تذكرت فوفو دولسي، والدة والدتي، التي كانت تعيش في الرّيف، في البيت الكبير الملحق بمصنع السكر، الذي كان لعائلتنا، منذ أن جلب البرتغاليون؛ الحضارّة إلى ذلك المكان.
لقد تم بيعه الآن كقطع صغيرّة، لمشارّيع الإسكان الحكومية، لكن فوفو دولسي سعّت قدر استطاعتها للحفاظ عليه.
كنا قد اعتدنا زّيارّته خلال عطلة ساو جواو، فكنا نشعل ناراً في ساحة فوفو الأمامية، ونُطلق الألعاب النّارية. وكانت جَدّتي تجلس على الشرفة، صغيرّة ومنكمشة مثل فاكهة العواطف القديمّة!..
كانت تخبرّنا بقصص، عن ظهور الشيطان لها، على هيئة ماعز أحمر!
ذّات مرّة، على الشرفة، صرّخت صرخة أشبه. بنعيق غرّاب!..
بعد أن ركضنا إليها، قالت فوفو دولسي إنها رأت "ظل الموت".
ثم عدتنا، واحداً تلو الآخر، للتأكد من أننا جميعاً هناك!
في البدء اعتقدت أنها مجنونة، لكن هرّع عامل مزرّعة إلى الشرفة، وقال إن حادثاً قد حدث على الطرّيق، خارج البوابة.. إذ انقلبت شاحنة مكدّسة بقصب السكر.

توفي الســـائق في الحال، كما قُتل بعض المارّة المســـاكين، جراء سقوط حزّم القصب عليهم، إثر انقلاب الشاحنة.
كل يوم أســـتيقظ معتقداً، أن لدي دغدّغة في حلقي، أو أن تنفســـي ضحل، أو أنني متعب أكثر من المعتاد. لكن ما هو الشيء الطبيعي الآن، في ظل هذه الجائحة الرّهيبة؟
عندما سقط ذلك الظل عليّ وعلى نوبيا، حدّقنا في بعضنا البعض. لأول مرّة، رأيت أن عينيها عسليتان وليستا بنيتان. وأن لديها بقع خضراء وصفراء بداخلهما، مثل الحقل!
أمســـكت بيدي نوبيا وأمســـكت بيدي، كانتا مبللتين من غســـل الخضـــار، وخشـــنتين للغّاية، رُّغم أنها أصـــغّر مني بثلاثين عاماً.. في تلك اللحظـة، كـانت يدهـا دافئـة في يدي، ووجههـا قرّيـب بمـا يكفي لتقبيلها، فكّرت: من هذه الفتاة؟ كيف لا أعرف لون عينيها؟
بعد ارتفاع، الظل، ســـمعنا دوياً فارغاً، مثل كيس طحين يضـــرب الرّصيف.
اكتشفت الحقيقة، فقط بعد أن تركّت يد نوبيا، واتصلت بالبواب. لم يكن طائراً أو كيس دقيق. كان طفلاً صغيراً!

مدير البناء

القرّف الذي رأيته في هذا المبنى، لن يصـــدقه أحد. هناك هُراء حقيقي: ثلاث طوابق من المرّاحيض، التي غمرّتها المياه، بعد أن قرر (الهيبي) في الشـــقة ١٣٠٥ أنـه من الجيد، رّمي منـاديل التنظيف القماشـــية المبللة، في حوض تصـــريف الحمام، ثم هناك الهُراء العقلي، الذي انظفه كل يوم (أقول لزوجتي: "أنـا في هذا المبنى أخصائي نفسي، وأخصائي اجتماعي، وصانع سلام!).

عندما تنسى السيدة إيفا نيلدا، المصابّة بالخرّف، مفتاح البوابة، فلا تتمكن للوصـــول إلى شـــقتها، التي تحمل الرقم ٩٠١ كنت أنا من يجدها -عادةً- تنتظر في حجرّة البواب، فأتولى مهمّة ضـغط الزّر، لفتح البوابة الأمامية، وإعادتها إلى زّوجها سالمة!

وعندما حاول نجل السـياسـي في الشـقة ١٧٠٣ العودّة إلى والده، بتحطيم سيارّته البورش العتيقة؛ في عرّيشة الحديقة، أنا من سحب الصّـــبي من مقعد الســـائق وأمســـكه، فيما كان ينخرط في البكاء كطفل..

وعندما اشـتكّى السـكان، من أن رّائحة بئر السـلم الرّئيسـي؛ تشـبّه رّائحة البول، بقيت متأخراً، حتى أمسك بأستاذ الفلسفة ساكن الشقة ٦٠٢ وهو يتبول في الدرّج، لأنه كان يعتقد أن (حرّية التبول) من حرياته الأصيلة، حسب الدّستور!

حســـنًا، لقد وجدت له مكاناً ســـرياً مناســـباً، وأقل مركزية، ولا يتعارض مع الدّسـتور، بإمكانه أن يمارس فيه "حرّيته" ويتفلسـف كما يشاء!

يعتقد النّاس أن الأحياء الفقيرّة في فوضـى؛ يجب أن يقضـوا يوماً في هذا الحي، الذي يصـفونه (بالراقي). عشـت عبر المياه، في برازيليا تيموسـا، حيث يلتقي نهر كابيباريبي بالبحر. لأنه، على مر السنين، حاول أغنياء كابراس المطالبة بالأرض وطردنا، لكننا لم نتزحزح!

في الخمسينيات من القرن الماضي، عندما كنت طفلاً، أبحر خمسة صـيادين من منطقتنا بقوارّبهم، على طول الطرّيق، إلى رّيو دي جانيرو، وطلبوا من الرّئيس إصدار قرار سياسي، يمنع السياسيين من هدّم المجتمع، لبناء ميناء فاخر!

خمِّن ما الذي حدّث؟ لم يتم بناء هذا المنفذ!.. كان والدي ووالده أيضـا صـيادين هنا. ثم اسـتحوذّت شـركات المأكولات البحرّية الكبرى على الأمر، ولم يعد هناك ما يكفي من الأسماك!

كان علي أن أتعلم كيفية إصلاح الأشياء: المراحيض، والمصارّف، والألواح الكُهربائية، والبلاط السـائب، والأبواب المتذبذبة. أقول لزوجتي: لقد كنت دائماً عاملاً مثابراً.

كانت هذه المنطقة عبارّة عن أرّصـفة ومسـتودعات، حتى قاموا ببناء هذا السـكن المرتفع، قبل عشـرّة سـنوات.. خمسـون شـقة.. خمسـة وعشـرون حكّاية.. حفلات على السـطح مع بار مبهرج.. مسبح.. حديقة، وأربعة مصاعد: ثلاث للسكان، وواحد للعمال.

لقد كنت المدير الفعلي للمبنى منذ البداية، الكل ينادّيني (ديدينهو)، لأنني فقدت إصـبعي الصـغير في حادث عمل منذ سـنوات، فقط الدكتور فريد، في الشـقة ١٢٠٢، ينادّيني باسـمي.. كنت سـعيداً لرؤيته ينتقل إلى الإقامة هنا -وهو طبيب فاحم، أكثر سواداً مني!

أخبرت زوجتي بالأخبار، عندما وصـــلت إلى المنزل. الآن كلانا يقول إن بناتنا ســيمتلكن شــققاً هنا يوماً ما.. أصــغرّهنَّ، إيزيس، تدرّس في الجامعة الفيدرّالية. تم إلغاء جميع فصــولها الدرّاســية الآن بســبب الوباء، فبقيت عابســة في المنزل، لكنها ســتنجح.. نايدي، أكبرّهنَّ، ممرضة، نزلت الحي واشتريت لها قناعاً للوجه.. وإن ٩٥، لم نرّها منذ شــهور، لأنها لا تريد أن تنقل إلينا العدوى. اتصل بها على واتساب كل يوم، فقط لأرى وجهها.

عندما التقيت بالدكتور فريد، ورأيت كم كان شـاباً ووسـيماً -كثيف الكتفين وطويل القامة- فكّرت: سـأقدمه إلى نايدي.. لم لا؟ إنها فتاة جميلة وذكية، وكلاهما يعمل في الطب..

لكن قدم لي فريد طبيباً آخر كزوج له، فقد كان الوغد مثلياً!.. لن أحكم عليه، لأنني لســت الله! ولا أتظاهر بذلك، لكني قلت للدكتور فريد هذا: "إنه لأمر مخز أن رّجل مثله لن ينجب أطفالاً!"

عندما رأيت ذلك الطفل الصــغير، ملتوياً في الفناء الحجرّي، اتصلت بالدكتور فريد. كان اسم الصّبي مارلي، مثل المغّني بوب مارلي. خمس ســنوات. عيون بنية كبيرّة، وكانت لديه أجمل ابتسـامة رأيتها. إنه لأمر مخز أن تُحجب هذه الابتسـامة الملائكية بكمامة. أعلم أنك تبتسم هناك! أحببت أن استفز مارلي. أستطيع أن أرى ذلك في عينيك! تمســك بوالدته، مايســا،، مثل الغراء. أنها تعمل في الشقة ٩٠٢ التي تعيش فيها السيدة روزي.

لقد رأيت الاثنين -مارلي ومايســا- يصــلان معاً كل يوم، لأنه تم إلغاء المدرّسة بسبب الفيروس. ذلك الفتى كان لديه طاقة. كان مثل مصباح صغير، مشرق، بقدر ما يمكن أن يكون مشرقاً!

تنشـــر بعض المنافذ الإخبارية تقارير الآن، تقول إن مارلي كان حفنة من النّاس، وأنه كان مفرط النشاط ومستمعاً سيئاً. سأخبرك بما كان عليه: فضـــولي. يســـأل الأســـئلة والأجوبة المتوقعة. ما المشـــكلة في هذا الأمر؟ كلما زارنا، ســـألت مارلي إذا كان سيساعدني في إصلاح الأمور. سمحت له بفك إحدى لوحات وحدة التكييف، حتى يتمكّن من رؤية ما بداخلها. هناك عالم كامل! قلت له: "تيو خورخي سيريك الآن هذا العالم"

قبل خمس دقائق فقط من سقوطه، نزلت مايسا بمفردها، لتمشية كلب السيدة روزي -وهو كلب (يبيبي) يشبه الفئران. تقول الشرطة، أن مارلي لم يكن يريد أن يكون هناك، في ٦٠٢، بدون والدته. هرب من الشـقة. السـيدة روزي كانت مشـتتة. كان لديها موعد مانيكير في ذلك اليوم. كانت تهتم بأظافرها الجميلة، أكثر من ذلك الصّبي الصغير!

بطريقة ما انتهى الأمر بمارلي في الطابق التاســـع. صـــعد على وحدّة تكييف، على شرفة أحد السكان، وفقد قدمه!

عادت ميســـا من تمشـــيّة الكلب، وكان هذا قد حدّث بالفعل. بدأت تتنفس بشكل مضحك، كأن لا هواء يدخل أو يخرج. خلعت القناع عن وجهها. قلت: "عليك أن تتنفســـي، أنا أحبه، كما لو كان طفلي. تنفسي من أجله، لأنه لا يزال هنا"

استمّر الكلب في شد يد مايسا. كانت ذرّاعها ترتخي، كما لو كانت ميتة. أزالت المقود عن معصـمها، وأطلقت سـرّاح الحيوّان. النّوم ليس سهلاً، الآن لا أستطيع تهدئة أفكاري المبلبلة.

في معظم الليالي، أترك زوجتي في السرير، وانغمس في الواتساب مع نييد، التي تكون مستيقظة هي الأخرى في المستشفى. تقول: "أريد أن أساعدهم. لكنهم كثيرون".
"فقط ساعدي واحداً.. يكفي واحد.. واحد هو العالم كله"

الدكتور، ساكن الشقة ١٢٠٢
القراصنة القدامى،
نعم، سرقوني،
باعوني للسفن التجارّية،
دقائق، بعد أن أخذوني من الهاوّية.
كتب هذه الأغنية قبل وفاته، بسبب سرطان الجلد النّادر، سرّيع النّمو (أكرال الميلانوما). بدأ الأمر على شكل بقعة تحت أظافر قدمه، آلمته عندما رّكل كرّة القدم. ثم سرعان ما أصبح غير قادر على الاطلاق، على لعب كرّة القدم. لم يعد باستطاعته اللعب.
فريد لديه دماغ، هذه هي عضلاته، كما اعتادت ماما أن تقول في ذلك الوقت، كانت تعرف. كلانا كان يعرف أن لديه دماغ.
أحببت أن أشاهدها وهي ترتدي ملابسها.. أحببت أن أجرب عطورها.. لقد درّست رسومات سبايدر مان وسوبرمان، وأنا أحدق في شرائط العضلات، وفي عضلات الفخذ الرّباعية، والمربعات المنتفخة للصدر، ليس لأنني أردت هذه العضلات لنفسي، ولكن لأنها كانت جميلة جداً، لدرّجة أنها صنعت شيئاً بدّاخلي! أشبه بهمهمة أو اهتزاز لذيذ لدرّجة أنه يؤلم.
عندما كنت صبياً، كنت نحيفاً للغّاية، لدرّجة أنني تمكنت من إخراج كتفي، حتى تشبه الأجنحة..

"لا تفعل ذلك!"
كانت ماما تصـرخ. فأرتجف، فتقول إنني أبدو مثل طائر صـغير سـقط من العُش. أقول لها إنه لا يؤلمني.. في الواقع، كنت أشـعر بالارتياح لأني قادر على فعل شيء غير عادي بجسدي. أردت أن أكون بطل خارّق جميل.. أردت أن أكون طائراً وأطير!
في ذلك اليوم، عندما رّن جرّس الهاتف الدّاخلي، اعتقدت أنه كان ذُعراً آخر من كوفيد في المبنى. كدت أصـرخ: "أنا طبيب أمراض جلدية بحق الله!"
في وقت مبكر، تم تشـخيص الزّوجين في الشـقة ١٤٠٥ بعد عودتهما من إيطاليا.. أعطوها لخادمتهم إليسـانجيلا التي ماتت بعد ذلك بوقت قصـير، كان الجميع خائفين، لكن لم يكونوا حذرّين، لدرّجة السماح لخادماتهم، بالبقاء في منازلهن بمرتبات مدفوعة!..
أخبرت رّافائيل: "لن نُعرّض أي شـخص للخطر.. لم أكبر مع خادمة، ولسـت بحاجة إلى خادمة الآن.. نحن نصـعد السـلالم ولا نرتقي بالمصعد. نرتدي أقنعة في أي وقت نترك فيه الشقة. نطلب البقالة دليفري، وندفع الإكرّاميات الكبيرّة، لعشـاق الدرّاجات النّارية"
كان كلانا قد علق ممارّساته الخاصـة.. البوتوكس ليسـت خدمة أسـاسـية، على الرُّغم من أن مرضـاي لا يوافقون على ذلك.. رافائيل طبيب عظام، لذا فهو تحت الطلب، في عدد قليل من المستشفيات الخاصة، لحالات الطوارئ فقط.
ما زلت أقوم بنوبات عمل في المستشفى العام، حيث نرى المزيد من حالات الجذام، وداء الليشـمانيات، أكثر مما ينبغي لأي مدينة، في القرن الحادي والعشرين.

الآن أصبحت ممددّة للغّاية، لدرّجة أنها جعلتني، أرتدي من الرّأس إلى أخمص القدمين، معدّات الوّقاية الشخصية، وفحص مرضى كوفيد. كانت تعتقد، أن النّاس في هذه الشقة، سيستمعون إلى العلم، واتخاذ الاحتياطات.

في الواقع بدلاً من ذلك، كانوا يتجولون بدون أقنعة، ثم يتصلون بي أنا ورافائيل، عندما يكون لديهم أصغر دغدغة في حلقهم!

رّافائيل أجمل منهم ومني.. الحصول على نتيجة اختبار لعلتهم، هو كل ما أنصح به. ما أريد حقاً أن أقوله لهم هو: "الآن تنادونني "دكتور؟.. كم منكم نظر إلي من أعلى لأسفل في المصعد وهمس، كما لو كان يقدم بعض النصائح اللطيفة: بني، هذا هو المصعد الخاص بالسكان، تحتاج إلى استخدام واحد خاص بالخدّم!"

في ذلك الصباح، لم يكن أي من جيراننا، على الهاتف. كان صوت خورّخي عالياً ومرّعوباً: "سقط شخص ما. ولد صغير. مارلي. لقد صعدنا سلالم المبنى معاً عدّة مرّات"

(بعد الوباء، لم تستقل والدة مارلي، مايسا، المصعد أيضاً).

ضحكت مايسا ذلك النّوع من الضحك، الذي يجعلك ترغب في الانضمام إليها. ضحكت والدتي تلك الضحكة.. اضحك حتى لا تبكي -أليس هذا ما تقوله السامبا؟ وكان ابنها الصغير -مارلي- يعمل بالكُهرباء. دائماً ما يدّق على جدرّان بئر السلم ويصنع صوتاً، ويتحدث دائماً. كنت أسأله عما إذا كان سيترشح، لمنصب رّئيس البلدية، لأنه كان اجتماعياً للغّاية.

"ليس العمدّة أو رئيس الجمهورية!"

رد. فقلت: "الرئيس مارلي".

ابتسمت ميسا وضربت رأس ابنها. كان رأسه يتناسب تماماً مع رّاحة يدها، كما لو كان مصنوعاً من أجل يديها!
أعطتني والدتي اسماً أجنبياً. فريد، مثل أستير؟ استجمعت شجاعتي وسألت عندما كبرت بما يكفي: "فريدي ميركوري؟"
هزّت رأسها. جاء الاسم إليها عندما كانت حاملاً. بدا الأمر رجولياً، كما لو كانت تأمل أن يكون ابنها في المستشفى العام.
قبل كوفيد، جلست امرأة سوداء تبلغ من العمر ٧٥ عاماً، مصابة بالصدفية من النّوع الثاني، وعندما رأتني، خلف ستارّة الكشف، قالت: "أنت طبيبي؟"
اعتقدت أنها ستطالب أن يعالجها طبيب آخر. لقد حدث ذلك مرّات عديدة من قبل. وبدلاً من ذلك، أمسكت بيدي وقبلتهما وقالت ليباركنا الله! لم يسبق لي أن كان لدي طبيب بلوني طوال حياتي! لقد انتظرت خمسة وسبعون عاماً لأرى هذا!"
ثم نادت ابنتها لتنضم إلينا خلف الستارّة، وطلبت التقاط صورّة. وضعت ذراعها حول خصري وابتسمت للكاميرا.
أخرجت هاتفي، حتى أتمكن من الحصول على صورّة أيضاً. كان هذا خطأي. رأى مريضي صورّة الشاشة الرئيسية لرافائيل وأنا نتبادل، القبل خلال الكرنفال. زلقت المريضة ذراعها حولي. حذرتها أنه من الأفضل أن تستغفر الله..
"سقط! سقط!"
ظل السيد خورخي يقول عبر الهاتف الدّاخلي.. دفعني الذُّعر في صوته إلى الإسراع بارتداء كمامتي وقفازاتي. صعدت الدرّج اثنين، اثنين.. ظننت أنه رُبما كسر في العظم. كان رافائيل مفيداً في مثل هذه المواقف، لكنه كان تحت الطلب في ذلك الصباح!

يجب أن يقبلوا بي. لم أرغب أبداً في قطع الأجسام المفتوحة، والوقوف لمدة ستة عشرّة ساعة لإجراء جراحة، والربط والفصل والشفط، للإنعاش والاستقرار.. لم أرّغب قط في إنقاذ الأروّاح. كل ما كنت أرغب فيه هو أن أعيش حياتي الخاصة.

في مدرّسة الطب، تمت معاملة أولئك الذين اختاروا "المسارّات اللينة" (الأمراض الجلدية، الجرّاحة التجميلية، الأشعة) كما لو أننا لم نكن أطباء حقيقيين!

كأننا اخترنا هذه التخصصات، لأننا لم نكن جيدين بما يكفي لدرّاسة التخصصات الأخرى. وفي وقت مبكر، عندما تدربنا على الجثث، فتحت خزّانتي ووجدت زوجاً من الخصي يجلسان بالدّاخل، وهما مقطوعين من بربخهما. كان لديهما لمعان باهت، مثل حجرين بيضاويين!

فتحت الطالبات الأربعة خزائنهنَّ وصرخنَّ -لقد حصلنَّ على نفس الهدّية. عندما اشتكينا، أطلقت عليها الادارة "مزّحة غير مؤذية!".

خلال الجولات، كانت إحدى هؤلاء الفتيات، والتي كانت قد ذهبت إلى المدارس الخاصة طوال حياتها؛ وسافرت حول العالم، قد قالت إن مرضاها السود، يتمتعون ببشرّة أكثر سمكاً. لم تستطع أن تغرز فيها الإبر!

قلت لها رُّبما لا تعرّفين كيفية اعطاء الحقنة. ووصفتني بكارّه النساء، وأبلغتني أنها قدمت شكوى رّسمية بحقي!

عملت مايسا مع الزّوجين في الشقة ٦٠٢. وقد كان الزّوج أصغر عمدة لبلدة شاطئية تبعد ساعة واحدة، لكنه اختار العيش هنا، في المدينة.

زوجته روزي هي "السـيدة الأولى".. هذا ما أطلقناه عليها أنا ورافاييل، عندما شـعرنا بالضـيق منها.. كانت ترتدي الكثير من المجوهرات، لدرّجة أنها بدت وكأنها رّاقصـة شـرقية، تتعجن وتتمايل وتتقصع، في كل مرّة تدخل فيها المصعد.
في اجتماعات رّابطة السـكان، عندما اجتمعنا جميعاً في غرفة الحفلات بالمبنى، قالت السـيدة الأولى إننا بحاجة إلى المزيد من الكاميرات، والمزيد من الأسلاك الشائكة، ولوحة المفاتيح لدخول الرّدهة..
لكن دكتور فريد كان واحداً من القلائل، الذين تواصـلوا معي.. "دكتور. فريد" لم يخلط أبداً بيني وبين البسـتاني، أو فتى غسـيل السيارات، لم يطلب مني مطلقًا أن أستقل مصعداً مختلفاً!
في ذلك الصـباح، تركت السـيدّة الاولى، طفلاً في الخامسـة من عمره لتدبر أمرّه، فسقط من على الدرابزين بمقدار خمسة وثلاثين متراً!
إذا كان إبناً أبيضاً لإحدى صديقاتها، فهل كانت ستتركه بمفرده؟.. هل اعتقدت أن جلده أكثر سمكاً؟
عندما رّأيت مارلي متمدداً، ترنحت، فوضـعت يدي على عمود الفناء، لأُبقي نفسي في وضع مستقيم.
كان السـيد خورخي يمسـك مايسـا بقوّة، ويهزّها كما لو كانوا يرقصـون. وكان الهاتف الدّاخلي في الطابق الأرضـي يرّن، يرّن، يرّن.
وكان الكلب الصـغير لا يكُف عن النبّاح.. ثم كان علي القفز من المخالب. حتى لا يقضم كاحلي.. و.. وايقظتني صدمة العضة...

انتقلت إلى جانب مارلي. كان رأسه سليماً. كان لا يزال دافئاً. لم يلوّث نفسه. ضغطت بإصبعين على رّقبته، وشعرت برفرّفة قلبه النابض.. كان علينا نقله إلى المستشفى بسرعة!

سيستغرق وصول سيارّة إسعاف عامة ساعات، هذا إذا وصلت أصلاً. في هذه الأيام، حتى سيارّة الإسعاف الخاصة، تستغرق وقتاً طويلاً، وتكلف ثروّة صغيرّة!

كنا بحاجة إلى نقله في سيارّة، ولكن ماذا لو أصيب في رّقبته؟ كسر في العمود الفقرّي؟ لماذا كنت في المنزل في ذلك اليوم وليس رافائيل؟

لأول مرّة، ندمت على درّاسة طب الأمراض الجلدية. أطلت السيدة الأولى فجأة في الطابق السفلي، انحنت فوقنا، وهي تصرّخ. "لقد هرّب! لم يستمع! لم يستمع!"

"اخرسي!"

سمعت نفسي أصرخ بوجهها. كان لديها سيارّة دفع رّباعي. يمكننا طي المقعد الخلفي، ووضع مارلي. طلبت من جورج الحصول على دعامة عنق من المرأة في الشقة ١٤٠٢، فقد تعرضت لحادث سيارّة منذ بضعة أشهر. كانت دعامتها من النّوع الرّخيص من الدعامات، التي يبيعونها في الصيدليات، ولكن كان يجب أن نستخدمها!

قادّت السيدّة الأولى العرّبة، فيما اتكأت بظهري وأنا أُبقي رأس مارلي الذي كان ساكناً، على رُكبتي. كانت والدته ترقد بجانبه ممسكة بيده. شاهدت صدرّه يرتفع ويسقط. ذهبنا إلى مستشفى (الاستعادّة)، الأفضل في المدينة للحوادث، ولكنه الأسوأ للشفاء. سوف ينقذون حياتك، وبعد ذلك تموت من العدوّى!

سمعت نفسي أقول لمايسا: "سوف أعتني به"
لم أكن أفكر بشكل صحيح، لم يكن مارلي مشمولاً بالتأمين الخاص بي. إذا أصـــيب بالشـــلل، أو أصـــيب بجروح داخلية خطيرّة، أو احتـاج إلى جولات من العمليـات الجرّاحيـة، فـإن إبقـائـه على قيد الحيّاة في مســـتشـــفى خاص، ســـيكلف أكثر مما يســـتطيع أي منا تحمّله.
في اللَّيل، حلمت بأنني أسـقط. أسـتيقظت وشـعرت برئتي وكأنهما بـالونـان مفرقعـان. هزّني رافـائيـل وهو يهمس: "تنفس، شـــهيق. زفير. سوف نتحرك"
السـوق ضـعيف، وسـنخسـر المال في أي صـفقة نبرمها، لكني لا أهتم. أريـد منزلاً آخر. ســـيـان.. على مقرّبـة من الأرض أو في المرتفعات. كنت أرى السيدة الأولى والمانيكير كل يوم في الحلم.. يبدو وكأنه حلم لا أستطيع الهروب منه!

المانيكيرة

أغلقت أبواب المصـــعد ورائي، وانتقلت إلى شـــقة ثلجية، مكيفة الهواء، لا يوجد هواء نقّي. العالم ضـــبابي خلف قناع وجهي. صوتي غرّيب تحت قناعي. أُمسك بأقدام العملاء وأكشطها، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء.

أقوم بتدليك أيديهم. أقوم بقص كل شيء ميت وسميك وأصفر. أنا أرســـم وألمع. أتركهم جميعاً ناعمين مثل الأطفال. يدي حمراء ملسوعة بالصابون والمطهِّر والعرّق، الذي يتجمع داخل القفازات الطبية.

كل ليلة أخلع ملابسي في باب منزلي، وأضع ملابسي المتسخة في كيس بلاســـتيكي، ثم أجري إلى الحمام. يُقدر بعض العملاء مدى حرصي. يرتدون الأقنعة الخاصة، بهم ويفتحون النّوافذ، أو نجلس في الخارج على شرفاتهم.

يناديني عملاء آخرون بـــ "الفتاة في الفقاعة". إنهم يحاضرونني - لا يجب أن أقلق بشأن اصطياد أي شيء عليهم، لأنهم حريصون ونظيفون، ولديهم أجهزة مناعية مثل الثيرّان، ولم يمرضـــوا يوماً في حياتهم.

مازحت الســـيدة روزي قائلة، إنه بإمكاني أنا وخادمتها ارتداء بدلات الفضاء، إذا جعلنا ذلك نشعر بالأمان، لكنها لم تكن ترتدي قناعاً في منزلها. قالت ذلك بمرّح، بطريقة جعلتني أشـــعر، وكأنها تقدم فنجاناً من القهوّة.

في بعض الأحيان كانت تقدم لي القهوّة، تطلب من ميسا أن تصنعها. لقد فعلت ذلك بمرّح أيضاً.. هكذا كانت السيدّة روزي- تبتسم دائماً. كانت أول زّبون لي في ذلك اليوم. سمحت لي ميسا بالدخول، من خلال مدخل الخدمة. صفير إنذار الشقة -دينغ!!- كما لو كنا في متجر فاخر!

كان طفل مايسا الصغير، مارلي، في المطبخ. كان يرتدي قناعاً عليه كلاب. رآني، اختبأ خلف والدته. يوركي.. السيدة روزي.. نباح وركض في دوائر، الكلبة تنزلق عبر بلاط المطبخ، كما لو كانت مزيتة!

"بيجو!"

وبخت السيدة روزي كلبتها وهي تضيف: "إنها لا تعرف، أن هناك شخصاً، يرتدي كل معدات الأمان هذه"

كان من الصعب سماع ضجة اليوركشاير. مدّ مارلي يده إلى الكلبة، فدار الحيوّان وزّمجر، وفي ومضة خاطفة، أخذ إصبع الصّبي بين أسنانه. قامت ميسا بسحب الكلبة بعيداً، وتفحصت العضّة.. كان إصبعه قد انتفخ لكن لم ينزف.

قبلت مارلي، وهي تمسح دموعه بإبهاميها. قالت السيدة روزي: "قلت لك، إنها لا تحب أن يتم اصطحابها، هل تحتاج إلى ضمادات؟ ثلج؟"

زّمجرت الكلبة وصاحت في الهواء. بقيت مايسا وابنها في أمان، داخل فقاعة الهمسات والقبلات، بمنأى عن الضوضاء والأسئلة، فيما انزلقت بيجو عبر المطبخ إلى هدفها الجديد.. خدشت بأظافرها ساقي. "مايسا!" صرّخت السيدة روزي. نظرت الأم والابن لأعلى، الفقاعة المكسورّة.

أمرتها السـيدة روزي: "خذيها في نزّهة على الأقدام.. أنا بحاجة إلى السلام والهدوء"
قالت ميسا لابنها: "لنذهب يا مارلي".
هز الفتى رأسه. رفعت ميسا سلسلة وردية اللَّون من ربطتها على الباب. هدأ بيجو وارتعد. قالت ميسا: "تعال يا مارلي، احصل على الشبشب الخاص بك"
زّفر بشدّة: "لا أريد أن أذهب"
قالت السيدة روزي: "لا بأس أن تركته".
"هو وبيجو بحاجة إلى بعض الفسحة"
قالت ميسـا وهي تتنهد قبل أن تضـيف: "ابق مع السـيدة روزي، وسأعود في غضون خمسة عشرّة دقيقة"
كان مارلي يرتدي زي والدته -زيّاد أزرق، كالمنظّم.
قال: "أنا لا أريد البقاء"
قالت السيدة روزي بصوت عالٍ مرح: "دع والدتك تمشي مع هذه الكلبة المملة، يمكنك الحصـول على ملفات تعريف الارتباط، ومشاهدة ديزني!"
تعالى نباح بيجو بصورّة أكثر إلحاحاً.. فيما السيدة روزي تقودني إلى غرّفة المعيشـة، حيث كان هناك كرّسـي جلدي أمامه حوض بلاستيكي لغسيل القدمين.. كانت ميسا قد ملأت حوض الاستحمام بالماء الدافئ..
أرشدتني السيدة روزي إلى كرّسي صغير. في المطبخ، صاحت بيجو. تفاوض مارلي وميسا في همس. بينما السيدة روزي تنزلق بقدميها في المياه الرّطبة، وهي تهمس: "هذا الحجر الصـحي يجعلنا جميعاً مجانين".

ثم أضافت: "حضنته. لم يكن لدى ميسا مكان تضعه فيه. سمحت لها بإحضاره، حتى لا تفوت العمل. إنه ليس فتىً سيئاً، لكنه يثير غضب بيجو".

صفير الباب الخلفي -دينغ! دينغ!- عندما غادرت ميسا القاعة، أصبح نباح الكلب أكثر هدوءاً، إلى أن اختفى.

انتقل مارلي إلى غرّفة المعيشة. كانت رّموشه سميكة وداكنة مثل دُمية. كان بطنه صغير ومستدّير، وكذلك لديه ثنيات صغيرّة من الجلد عند معصميه ورّقبته. لوحت بيدي التي ترتدي القفاز، وحاولت الابتسام، على أمل أن يرى الابتسامة في عيني.

"مارلي!"

صاحت السيدة روزي، وأضافت: "تعال! شغِّل التلفاز"

ولم يتحرك الصّبي، فقالت:

"ألا تريد مساعدتي؟.. يمكنك إلقاء نظرّة على الملمعات"

هزّ رأسه.. لقد ربيت خمس أشقاء وخمسة أخوات. يعتقد معظم النّاس أن هذا يفسر سبب عدم إنجابي لطفل، وأنا لا أصحح ذلك. الحقيقة هي أنه قبل بضع سنوات، كان لدي ألم رّهيب في ظهري. اعتقدت أن هذا كان بسبب وظيفتي -كل الانحناء والانحناء. ثم بدأت أنزف كثيراً، عندما حان وقت الدورّة الشهرّية. كنت أضع فوطة سميكة مثل الحفاضات، وحتى ذلك لم يكن كافياً، لامتصاص كل شيء.

لقد تعبت لدرّجة أنني بالكاد استطعت أن أعمل. أرسلني طبيب في العيادة لإجراء فحص بالموجات فوق الصوتية. هناك، في تلك الغُرّفة المظلمة، وضعت التكنولوجيا الكاميرا على بطني -لزجة وباردة- حتى توقفت. على الشاشة، بالأبيض والأسود، رأيتها:

بيضـــة تنمو بداخلي. ثم وجدت أخرى، بأحجام مختلفة: حصـــاة، عنب، بيتومبا. قال الطبيب من المستشفى العام، إن الأورام اللّيفية ستنمو بشكل كبير جداً، ولن يتبقى مكان بدّاخلي يخلو منها..
قال إنني يجب أن أجري عملية جرّاحية، لاسـتئصـال كل شـيء. وقال إنه بدلاً من اقتلاع الحشـائش، علينا أن نزيل قطعة الأرض التي تنمو عليها!
بعد أن أزالوا الرّحم، أمضـيت أسـبوعاً واحدا فقط في المسـتشـفى للتعافي، الجُرح تحت زر بطني يتقشـر إلى ندبة، اكتشـفت أنه كان بإمكانهم قطع كل ورّم ليفي بعيداً، أو كسـرّهم باسـتخدام الليزر، لكن كلا الإجراءين كانا يكلفان الكثير المال والوقت. يعتقد بعض الرّجال، أنني أنجبت طفلاً.. الندبة هي نفســها تقريباً مثل الندبة القيصرية. لرّجل، قلت الحقيقة -لم يعد لدي رّحم بعد الآن!
أحدّهم، في وقت لاحق، ونحن نتعارك، قال إنني لســت امرأة حقيقية:
"احصل على ملفات تعرّيف الارتباط الخاصة بك، عزيزي. هناك الكثير شاهد ما تريد!" قالت روزي، وهي تغمز لمارلي، الذي عاد إلى المطبخ. قبل أن تفرك طلاء أظافرها بالطلاء القديم، ســمعنا:
"دينغ! دينغ!"
"مارلي؟"
قالت الســيدة روزي. لم يكن هناك جواب. أخذت قدميها من الحوض البلاستيكي، ووضعتهما في شبشب.
"مارلي!"
صرّخت، صرّخت في المطبخ. سمعت دينغ! دينغ! عند خروجها. بعد بضع دقائق عادوا. دينغ! دينغ!

"لا يمكنك الخروج"
قالت السيدة روزي، لاهثة.
"أمك ستعود قبل أن تشاهد شيئاً"
كانت هناك قرقعة ملفات تعريف الارتباط، وهي تتساقط على طبق.
"ها أنت ذا!"
قالت السيدة روزي.
وهي تضيف: "كن ولداً جيداً"
لقد دخلت للتو غرفة المعيشة، عندما سمعت: دينغ! دينغ! ضحكت تقريباً. كنت سعيدّة لأن السيدة روزي لم تستطع رؤية وجهي تحت القناع، لكني تمكنت من رؤية وجهها. اختفت الابتسامة. دخلت بسرعة إلى المطبخ. دينغ! دينغ! دينغ! دينغ! عادوا، الصّبي يتوسل الآن..
"لكنني غيّرت رأيي!"
أجابت السيدة روزي: "سوف يستيقظ قريباً" وبسرعة ذهب عن صوتها المرّح بسرعة، قابلت مارلي والسيدة روزي في المطبخ.
قلت: "يمكنني أن آخذه إلى الطابق السفلي".
"أليس بعيدا"
أعطتني السيدة روزي نظرّة صارمة: "مارلي يمكن أن تنتظر عشر دقائق، أليس كذلك؟"
نظر إليها مارلي وعادت مرّة أخرى: "أنا لا أعرف."
أضافت: "بالطبع تفعل!" وهي تستعيد مرّحها مرّة أخرى: "انظروا كم عدد ملفات تعريف الارتباط الموجودة على هذا الطبق: واحد،

اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة! أراهن أنك إذا شاهدت هذه واحدة تلو الأخرى، فستعود والدتك بحلول الوقت الذي تنتهي فيه".
حدّق مارلي في الطبق. عدت أنا والسيدة روزي إلى غرفة المعيشة. دينغ! دينغ! تركت السيدة روزي أثراً من الماء، في غرفة المعيشة وفي المطبخ..
بعد هروبه الخامس، أخذ وقتاً أطول للعودّة. لقد حان دوري لأشعر بالانزعاج -كان لدي عملاء متتالون في ذلك اليوم. تأخير واحد، من شأنه أن يسبب تأخير للآخرين.
عندما عادت السيدّة روزي أخيراً، لم يكن مارلي معها. هبطت على الكرسي. كانت عيناها مبللتين. قالت: "أنا أستسلم، حتى هو لم يبقَ"
قبل أن أتمكن من السؤال عن مكان مارلي، سمعنا ذلك: صوت يرتفع مثل صفارّات الإنذار. الآن تريد الشرطة إجراء مقابلة معي. لدي موعد في المحطة. يقول الأصدقاء أنني قد أحتاج إلى محام. السيدة روزي تتصل وتتصل وتترك رسائل بريد صوتي. تقول إن الأمر عاجل.
تم القبض عليها بعد أيام قليلة من وفاة مارلي، لأن الشرطة عثرت على شرائط مبعثرّة من الرواق حتى المصعد، اعتبرتها أدلة. لا يوجد صوت، واللقطات محببة، لكن هذا لا يمنع كل قناة إخبارية من تشغيل الأشرّطة بشكل متكرر.
هناك السيدة روزي، الهاتف المحمول في متناول اليد، تقود مارلي مرّة أخرى من الدرّج.. مرّة، مرتين، ثلاث، أربع مرات. في البداية تبتسم. في النهاية، تشد ذراعه. في المرة الخامسة، يصعد مارلي إلى مصعد السكان..

السـيدة روزي تسـد الباب بجسـدها. يتكلم ويلوي قناعه في يديه. رّدت عليه بشيء، ثم ضغطت على زر الطابق الأرضي.
السـيدة روزي على بُعد خطوات. أغلقت الأبواب. في اللقطات، مارلي يحدق في نفسـه في الجدران العاكسـة للمصـعد. تسـتغرّق الرحلة وقتاً أطول من المتوقع.
اتصـل شـخص ما في الطابق العلوي بالسـيارّة، وقبل أن تضـغط السيدة روزي على زر "الطابق الأرضـي". المصعد يرتفع لأعلا، لا لأسفل. سبعة، ثمانية، تسعة. تفتح الأبواب. تبدو جميع الطوابق متشـابهة في ذلك المبنى؛ تم تصـميمها بهذه الطريقة. يخطو مارلي للخارج. لقد فكرت في الاتصـال بـــ ميسا، لكن ليس لديها رقمها. حتى لو فعلت، ماذا سـأقول؟ أنني كنت قلقة بشـأن جدولي الزّمني؟ أنني لم أكن أريد أن أفقد السيدة روزي كعميل، لذلك لم أصر على توجيه مارلي إلى الطابق السـفلي؟ أنه، في هذه اللحظة، يشـعر وكأنه مصـدر إزعاج، وليس طفلاً صـغيراً؟ رُبما أخبرها أنني بدأت في التقاط الأحجار -الأحجار الملسـاء والخشـنة. بعضـها حصـى، والبعض الآخر بحجم العنب.. أحملهم من عميل إلى آخر في جيوبي حافظة نقودي.. ثقيلة. كان مارلي قد اختفي!

مالك الشقة ٦٠٢
الله وحده يعلم كيف أوصـلتنا إلى المسـتشـفى. لا أسـتطيع تذكر الرّحلة، لقد قامت بالقيادة بسـرعة كبيرة. في غرفة الطوارئ، وقفت مع ميسـا وأمسـكت بيدها. لم أرها منذ ذلك الحين. ليس شـخصـياً، على أي حال. إنها دائماً على شـاشـة التلفزيون، ويتم

متابعتها داخل وخارج مكتب العمدة، أو تجري مقابلات من على شرفة منزلها، حيث تطالب بالعدالة.
تقول ميســـا إنني بحاجة إلى أن أعاقب. أنا بحاجة لدفع ثمن جريمتي. يقول زوجي فيتور إنه لا يجب أن أشـــاهد الأخبار، ولا يجب أن أقرأ الصحف. يقول المحامي الخاص بي إنه لا ينبغي أن أتحدث إلى الصحافة، ولا أنشر على وسائل التواصل الاجتماعي، ولا يجب أن أتصـــل بميســـا، ولا يجب أن أقول الكلمات مثل: "أنا آسفة".
يقول وعيناه زرقاوان فوق قناعه: "تشـــعرين بالفزّع حيال هذا الحادث المأساوي.. لقد فعلت كل ما في وسعك"
أرسـلت جمعية السـكان رسـالة تطلب مني أنا وفيتور دفع المزيد كتأمين. هناك طواقم تصوير خارج البوابات، على استعداد لنصب كمين للجيرّان، والبواب، والخادمات.
حشد من المتظاهرين في الشارع يصرخون: "العدالة لمارلي!"
ويحملون لافتات تقول: "حياة السود مهمة"
كما لو كانت البرازيل ســـيئة مثل الولايات المتحدة. كما لو كنا عنصـــريين هنا. لقد عرفت ميســـا طوال حياتي. كانت والدتها، ديلما، تعمل في منزلنا عندما كنت صغيرّة.
لعبت أنا وميسـا معاً -الغميضـة والبحث، واللباس، ماركو بولو في المسـبح. بحلول الوقت الذي كنا فيه في الثانية عشـرّة، توقف هذا بالطبع.
بعد ذلك، في المرّات القليلة، التي جاءت فيها ميســـا إلى منزلنا - لالتقاط والدتها بعد العمل، أو لكسـب القليل الإضـافي كخادمة، في حفلات عيد الميلاد لدينا- كنت ابتســم لها، أنا وهي دائماً لبعضـــنا

البعض. قبل بضع سنوات، اكتشفت أن ميسا كانت حاملاً وأن والد الطفل قد اختفى. فوظفتها. لم يكن فيتور سعيداً. علينا أن ندفع لها إجازة الأمومة. لكنني أصررّت، ومنذ ذلك اليوم، كانت ميسا تنظف وتطبخ وتسير بيجو.

من حين لآخر كانت تصنع بريجاديرو، ونجلس في المطبخ ونأكله مباشرّة من القدر، معاً. لم أجبرها على استخدام مجموعة مختلفة من الأطباق والأواني، كما يفعل الآخرون مع الخادمات. هي وأنا يمكن أن نتحدث حقاً. نضحك على بيجو، التي اشتريتها لتكون كلبة صغيرّة لطيفة، لكنها تحوّلت إلى ديكتاتور!

كنا نتحدث عن الجيرّان. كانت ميسا تخبرني بكل سر تعرّفه الخادمات. في بعض الأحيان كانت تخبرني عن حياتها -مشاكل والدتها الصحية، وابنها، وتاريخ سئ مرّت به.

في بعض الأحيان كنت أخبرها عني وعن فيتور -علاجات الخصوبة، الهرمونات التي جعلتني أبكي بلا سبب، والاختبارات الفاشلة.

عندما انتشر الوباء، انتقل فيتور إلى مكتبه، على بعد ساعة على الشاطئ. إنه رئيس البلدية وهم بحاجة إليه هناك. عرضت الانضمام إليه، لكنه قال إن المدينة أفضل بالنسبة لي. تزّوجنا في شبابنا. إنه من عائلة جيدة، مثل عائلتي. كانت لديه طموحات وجعلني أضحك. وهو ضخم مثلي.

عندما كنت في الثانية عشرّة من عمري بدأت اتباع نظام غذائي - حمية الكرنب، حمية الحساء، حمية العصائر. لا شيء يعمل.

عندما كنت في الخامسة عشرّة من عمري، أجريت عملية شفط للدهون بمناسبة عيد ميلادي، ولكن حتى ذلك لم يدم!

قالت والدتي ذهب المال هباءً.. في البداية، قال فيتر إنه كان لدي المزيد لأحبه. فقط عندما لم أستطع الحمل، بدأ يطلب مني أن أفقد وزني -ربما بعد ذلك التلقيح الاصطناعي سيعمل بشكل أفضل.
اتبعت المزيد من الأنظمة الغذائية، والتقيت بأخصائيين في التغذّية، لكن لم يساعدني شيء. جسدي يحمل كل السعرّات الحرّارية، لكنه لن يحمل طفلاً.
أثناء الحجر الصحي، لم يكن هناك مكان أذهب إليه، ولا أحد لأراه. الشخص الوحيد الذي أملكه هو ميسا. عندما أغلقت المدارس، أخبرت ميسا أنها تستطيع إحضار الصّبي إلى هنا، لذا لم يكن عليها أن تفوت العمل.
اعتقدت أنه سيكون من المبهج، أن يكون لدي طفل في المنزل. اشتريت له فيل محشو. حصلت على اشتراك في قناة ديزني. كان مارلي مختلفاً عما كنت أتخيله. كان دائماً يتسلق الأشياء، وكان ينزلق دائماً بجواربه عبر البلاط. وكان يتبع ميسا، ويسأل باستمرار: "لماذا هذا؟" و "لماذا هذا؟"
لا يعجبه صوت المكنسة الكهربائية. ضغط على بيجو، ثم بكى عندما عضته. لقد أطعم بيجو أشياء لا ينبغي لها أن تأكلها، لأنها ستصاب بالإسهال وستلوث جميع أنحاء السجادة.
الأسوأ من ذلك كله، أن ميسا لم تكن هي نفسها، عندما يكون ابنها في الجوار. معها هنا، إذ تتصرف معي بغضب، كما لو كنت أنا من أزعجها. أحياناً أبقى في غرفتي مع بيجو، أحاول حملها، لكنها كانت تتلوى وتعض، لتفلت من بين ذرّاعي.
الشيء الوحيد الذي شعرت بسهولته، هو عندما قمت بتجميل أظافري. على الرُّغم من أن أريان كانت ترتدي زياً، كأنها متجهة

إلى جناح الجذام -قفازات وقناع ودرع للوجه- لكنني مع ذلك شعرت بالارتياح لوجودها هنا. أنا وهي نضحك. كانت تخبرني قصصًا عن المنازل، التي زارتها. كانت تقوم بتدليك يدي وقدمي. شعرت بالرضا.

حدث كل ذلك بسرعة. سيكون من الأفضل لمايسا أن تمشي بيجو بمفردها. كانت خمس عشرة دقيقة فقط. يمكنني الاعتناء بطفل لمدة خمس عشرّة دقيقة، أليس كذلك؟

لكنه ظل يغادر، بغض النظر عن عدد ملفات تعرّيف الارتباط، التي قدمتها له، بغض النظر عما عرضته عليه أو كم توسلت.

في المرّة الأخيرّة، التي طاردته فيها في القاعة، كانت قدمي لا تزال مبتلة، وانزلقت وكدت أسقط. أمسكت بذرّاع مارلي. كانت عيناه واسعتين لدرّجة أنني خفت، واستدرت لأرى من وراءنا. لم يكن هناك أحد. أنا فقط!

في الأخبار، ترتدي ميسا قناعاً عليه صورّة ابنها. تقول إنه مات بسبب غروري ونفاد صبري. في مقطع الفيديو الأمني، عرضت الشرطة، ضغطة امرأة على زر في المصعد، ثم تركت الأبواب تغلق وكان بداخلها صبي. لماذا!؟

لقد سألوني. لماذا؟ لماذا؟ المرأة في الفيديو هي أنا، لكنها لا يمكن أن تكون كذلك. وسعها؟ كل شيء ضبابي الآن.. أتناول الحبوب للنوم، والحبوب من أجل الاستيقاظ!

اتهمني المدّعي العام بالإهمال الجسيم.. تقول الأخبار، أنني يمكن أن أمضي اثني عشر عاماً في السجن. اضطررت لتغيير رّقم هاتفي ثلاث مرات بسبب التهديدات. قاتلة. العضو التناسلي

النسوي الغنّي. الكلبة السمينه. أتمنى أن تتعفني في الجحيم. أتمنى أن تمزق أظافرك الجميلة واحداً تلو الأخر في السجن!
كيف يمكن للناس أن يكونوا قســـاة إلى هذا الحد؟ كيف حدث هذا لي؟ ميسا..
٣٥. إذا كنت أحبه بما فيه الكفاية، فسيكون بأمان.
٣٤. لقد صدقت هذا.
٣٣. ثمانية وخمســون ثانية. هو الوقت من مغادرّة المصــعد حتى سقوطه.
٣٢. أينما كانت هناك ســـاعة -في مركز الشـــرطة، في مكتب المحامي- أشاهدها. أصغر يد تتحرك في دائرتها. أحبس انفاسي. عدد..
٣١. كتلة عشــرين كيلوغراماً تســقط خمســة وثلاثين متراً ٢.٨ ثانية. هناك آلة حاسبة على الانترنت لهذا الغرض.
٣٠. واحد ألف، ألفان، ما يقرب من ثلاثة. ليس تماماً.
٢٩. كان هناك وقت شعرت فيه بالأسف عليها. لم يكن لديها أحد. كان لدي..
٢٨. مائة ألف.. هي إجابة كم دفعت للحصول على الكفالة.
٢٧. ثلاثون سجيناً في زنزانة مساحتها ستة أمتار في ستة أمتار. سأكون هناك وحدي، إذا تركت طفلاً أبيض ليقع أو يسقط.
٢٦. الإهمال نوع من الكرّاهية.
٢٥. قطعتان باللون الأزرق.. ثوب الســباحة الذي اقترضــته منها عندما كنا فتيات، وطلبت مني السباحة في حوض السباحة، ولعب ماركو بولو. في اليوم التالي، عندما قامت والدتي بتنظيف منزلهم، وجدنا تلك البدلة في سلة المهملات..

٢٤. يتطوع محاميان بوقتيهما لي، للتأكد من أن القاضي سيرفع قدمي من النار.
٢٣. اثنا عشر سنة: أقصى عقوبة.
٢٢. خمس سنوات ويومان وثلاث ساعات. كم من الوقت تبقى لي.
٢١. ثلاثة وسبعون سنة، كم من الوقت يمكن لامرأة مثلي أن تتوقع أن تعيش هذه الأيام.
٢٠. ثلاثة وأربعون سنة، كم من الوقت سأبقى على قيد الحياة بدونه.
١٩. يقول لي أناس من الكنيسة: انظري إلى مريم، أمنا المباركة. هي أيضا فقدت ولداً.
١٨. عادت لها.
١٧. كان يحب الصعود -على منضدة المطبخ، ورفوف الخزائن، وعلى طول قضبان السلالم. عندما أعود إلى المنزل من العمل، كان يتدافع من فوق بوابتنا مباشرّة. قلت له إنك سبايدر مان. في يوم من الأيام ستخرج مباشرّة من هنا، في مكان ما بشكل أفضل.
١٦. ها أنا هنا، هذا ما قالته ماري عندما علمت أنها تتوقع ولداً.
١٥. لقد أجريت خمسة وعشرين مقابلة. على الشرفة. في غرفته الفارغة. خارج ارتفاعها. أمام جدارية له -ابني- بجناحين ملاك.
١٤. "هل ستسامحها يوماً؟"
١٣. ماذا يتوقعون مني؟
١٢. "هل تلومين نفسك؟"

١١. كانت هناك ملابس متسخة في السلة، لا تزال تفوح منها رّائحته. لقد وضعتهم بحرص في Zip-lock. سمحت لنفسي بفتحه مرّة كل بضعة أيام، حتى لا يهرب.
١٠. مرساة تزن ستة كيلوغرامات، يمكنها حمل قارب يزن ألفاً.
٩. غضبي يمنعني من الطفو إلى العدّم.
٨. لا أحد يستطيع أن يأخذها مني.
٧. شخص ما أنشأ صندوقاً، حتى لا أضطر لتنظيف المنازل بعد الآن.
٦. أفكر فيه وهو يتسلق. سأعود إلى المدرّسة. سأصبح محامية ثم قاضية.
٥. يضحك الصحفيون عندما أخبرهم بذلك. مخيلاتهم أصغر من أن تمسك أحلامي.
٤. نحن في حالة إغلاق أخرى. لا توجد لقاحات كافية. أسرة المستشفيات غير كافية. في ماناوس، يدفع النّاس رشاوّى مقابل الأكسجين. رئيسنا يقول إدارة هذا البلد هي التعذيب. تم تأجيل محاكمتها.
٣. في المدرسة، علمنا أن نّهر كابيباريبي يبدأ كبركة على بعد مائتين وسبعون كيلومتراً. إنه يعبر دولتنا بأكملها، ينمو وينمو، حتى تقسم مدينتنا.
٢. تتدفق جميع الأنهار إلى البحر، لكن البحر لا يمتلئ أبداً. هناك دائما متسع. مثل قلب الأم.
١. ها أنا. ....

البحر الداخلي، مادلين واتس
The Inland Sea ،Madeleine Watts

كـانـت (ميف) هي التي أخبرّتني، أن هنـاك فرّص توظيف في مركز الإتصـال. ظننت أن هذه الوظيفة رُبما تكون مرهقة، ولكنها ســـتكون مؤقتة فقط. وإلى جانب ذلك، فإن حقيقة أن ميف عملت بالفعل هناك، فإن ذلك يضمن توظيفي!

تمت مقابلتي في مكتب (بيج)، في الطابق الســـابع من مبنى في دارلينج هاربور، يُعد مقراً لأكبر شـــركة، لتوظيف العمالة في البلاد. تم تعيين أربعة نســـاء في ذلك اليوم، وكنت الوحيدة بينهن، التي أنهت المدرّسة الثانوية. اكتشفت لاحقاً، أن سياسة التوظيف كانت تسـتند على احتمالية عدم اسـتمرّار المتقدّمين، ولكن لم يكن يبدو أننا كنا نقوم بعمل شيء يُذكر.

عندما غادرنا مرّحلة المقابلة الجماعية، وخرَجنا من المصعد، إلى الزّحام المرورّي، في ساعة الذروّة، في ماركت ستريت، أخبرتني فتاة ذات شعر مبيض، وثلاث بوصات من الجذّور السوداء، أنها فشلت في اختبار الإملاء، لكنها مع ذلك شعرّت بالسعادة!

أخبرتها أنها ستتلقى مكالمة في غضون يومين. وأصدرت صوتاً، أعتقد أنه كان من المفترض أن يكون الضـــحك. أخبرتها أنني درست الأدب، وسألتني إذا كان ذلك يعني الكتب!

يقع المكتب الفعلي، على الجانب الآخر من المدينة. امتد الطابق الثاني في ناطحة سحاب، على زّاوية شارّعي باثرست وإليزابيث، ويطل على هايد بارك. من الناحية الفنية، كان المكتب في نفس

الشـارع، الذي كنت أعيش فيه، وكان بإمكاني المشـي إلى العمل، لكن امتداد شـارع إليزابيث، كان عبارّة عن محلات كباب وحانات وبيوت دعارّة، ما يجعل السـير فيه للوصـول إلى بيتي، يسـتغرّق نصف ساعة! كانت المدينة تخفف تدريجياً حزّامها، وتخلع ثيابها!
قُرب المكتب من هايد بارك، جعلني أتخيل أنه من السـهل أن أستمتع بهذه الوظيفة، وفي الصباح كان من المرّيح، رؤية العمال والحرّفيين من النّافذة، وقد اصطفوا في الشارع، يشقون طرّيقهم عبر الحشود، التي تتدفق بثبات، على طول خليج تين موريتون.
لكن المديرون قاموا بإسدال الستائر عند الغسق، وإلى جانب ذلك، في معظم الأوقات لا أجد الفرصـة، للجلوس بالقرب من النّافذة، ولم تكن النّافذة متاحة، إذ يكون المرء منا منشـغلاً، بين محطات العمل الثلاثية، ذات الضباب الدُّخاني وإضاءة الفلورسنت، والرّنين المستمّر للهواتف..
بعد صباح من التدريب، الذي شمل سياسة الشرّكة وتعليماتها، حول كيفية التنقل، في الإجراءات واللوائح، الخاصة بأكبر شركة اتصـالات في البلاد، أوضـحت لي امرأة مصـابة بتجعيد لولبي، وأسـنان مكسـورّة تدعى بات، كيفية اسـتخدّام أجهزّة الكمبيوتر المكتبية، حيث نتلقى المكالمات.
سلمتني سماعة رأس، ووضعتني في واحدة من المحطات، وهكذا شرّعت في الرّد على الهاتف.
كان من المفترض أن يتصل النّاس برقم: صفر صفر صفر، لكن كل شخص اتصل، كان في حالة ذُعر، وبعض الأشخاص الذين ارتبكوا، بسبب إدمان مشاهدّة التلفزيون الأمريكي، كانوا يخطئون ويتصلون برقم تسعة واحد واحد!..

لا يهم. فعلى أي حال، كنت أتلقى مكالمات طارئة، يتم إرسالها من داخل الدولة، إلى مراكز في سيدني وملبورن.
في هذه المراكز يتحدث الصوت الأول، الذي غالباً يكون واقعاً في أزّمة، وبعد تحديد ما إذا كان هذا الشخص، بحاجة إلى الشرّطة أو سيارّة الإسعاف أو رجال الإطفاء، أقوم بتحديد حالته وموقعه، وربط المكالمة بمراكز الإرسال.
المتصل الأول لم يكن سيئاً للغاية.. سألته: "شرطة طوارئ أم إطفاء أم إسعاف؟"
رد من على الطرّف الآخر: "آه، آه، الشرطة. هناك حادث تحطم على M٤."
"عنوانك من فضلك"
"آه تباً. حسناً، إنه M٤. اممم، هناك إشارة نهاية الانتظار.. نهاية الانتظار.. في المستقبل، فما هذا؟ ميريلاند؟"
"ميريلاند في أي ولاية؟"
"أوه، نيو ساوث ويلز"
فاتصل بالشرطة في ميريلاند، نيو ساوث ويلز.. رّن الجرس مرّتين، أجابني أحدهم، اعطيتهم رقم المتصل، ثم انتظرت الشرطة والرجل لبدء الحديث، ضغطت على مفتاح السهم الأيمن ثلاث مرّات، ثم ضغطت على مفتاح الإدخال، قبل أن أغلق المكالمة.. حتى أنها كانت مملة!
استمرّت المكالمات على هذا النحو، حتى وقت متأخر من بعد الظهر. عند الساعة الخامسة والربع، بدأت صفارّات الإنذار الحمراء، فوق النّوافذ التي تطل على الحديقة، في الانطلاق.

وأوضحت بات، بكل تجعيدات شعرها وأسنانها المكسرّة، أن هذا يعني أن هناك حركة مرور عالية!
حادث سيارّة، عطل، اختناق، رّقم خاطئ، خطأ، حادث سيارّة، ثم صرّاخ.. "سيارّة اسعاف.. أحتاج سيارة إسعاف، سيارّة إسعاف، سيارّة إسعاف.."
"في أي ولاية وبلدة حالة الطوارئ هذه؟"
"وريبي. فيكتوريا.. أحتاج إلى سيارّة إسعاف.. سيارّة إسعاف.."..
ورّن الهاتف، ورّن، وصرّخت المرأة مرّة أخرى، واتصلت من رّقم آخر، فأخبرتها أن خدمة الإسعاف ستستجيب بأسرع ما يمكن، ورّن اثني عشر مرّة وهي تصرّخ، وانطلقت صفارّات الإنذار فوقها.
من النّوافذ كانت تُرى حشود ساعة الذروّة، وهي تتدفق عبر هايد بارك.. في النّهاية استجابت سيارّة الإسعاف. وفي النّهاية هدأت صفارّات الإنذار.
في أول فترّة لي ما بعد الظهيرّة، في ثلاثة أصفار، تلقيت مكالمات من سائقين غاضبين، رّجل عجوز يعاني من آلام في الصدر، امرأة بيضاء لم تحب مظهر الأولاد البني في الزّاوية، ومرّاهقين يمارسون الجنس بعد المدرسة، وامرأة تختبئ من حبيبها السابق تحت السرّير، وأم بيضاء أصبح لون طفلها أزرق.
كانت المكالمات الهاتفية تأتي من كل مكان في البلاد، في كل وقت من اليوم. في غضون بضعة أشهر، تعلمت تهجئة أسماء جميع البلدات الصعبة، بغض النظر عن عدم معرفتي، بموقعها على الخريطة!

المدن التي تحتوي على حرف "يو" المخفي، يجب أن تكون هي المفضلة -أوركون. واشوب. إلخ. تدريجياً، تعلّمت الأجزاء الخطرّة، في كل مدينة بعدد المكالمات الواردة. لقد جفلت من سماع أسماء الأماكن، التي لم أزرها من قبل. جبل عيسى وإيجليبي وبورك، وجبل درويت وناري وارن، وفرانكستون وتينانت كريك، وأليس سبرينغز.

لقد تعهدت بأن لا تطأ قدماي كيرنز أو تاونسفيل. إذا لم يعطنا المتصلون موقعاً، أو بدت الضوضاء على الهاتف وكأنها صرّاخ أو صرّاع، فيمكننا الاتصال بالعاصمة في أي ولاية، نعتقد أن المكالمة قادمة منها.

كانت هناك بيانات على الشاشة، لكنها لا تكشف الكثير. إذ لا تمكننا من رؤية الأسماء أو المواقع الدقيقة، التي قد تُضيئ حالة الطوارئ للمتصل، فقط حالته ورّقم هاتفه. يمكن إحالة مكالمات خدم المنازل في جزّيرة الخميس، وهو موقع بعيد جداً، لدرّجة أنه كان عملياً في بابوا غينيا الجديدة، إلى مركز إرسال شرطة بريزبين، بغض النظر عن المكان، الذي يبعد نصف قارّة. لأنه كان، بعد كل شيء، في كوينزلاند.

اشتملت الوردية لمدة ثماني ساعات، على الوقوع في حالات الطوارئ والانسحاب، والاستماع فقط لأجزاء من القصة مهما كانت، حتى خمسين مرّة في الساعة.

لقد طرحنا الأسئلة التي كان من المفترض أن نطرحها، وقمنا بذلك بسرعة، وتمسكنا بالنّص الذي تعلمناه في يومنا الأول، والذي يهدف إلى حمايتنا من المضايقات..

إذا سار كل شيء كما هو مخطط له، وإذا لم يخبرنا الشخص المتصل، بالحرّيق المشتعل أسفل منحدرّهم، أو الجثة التي اكتشفوها في قاع الأخدود. ننتظر سماع المتصل وهو يجيب على أسئلة المسعف، أو رجل الإطفاء، ثم نغلق الهاتف بعد ذلك بهدوء، قبل سماع التفاصيل.

إذ لم يكن من المفترض أن نسمع المشكلة. كصوت المرأة تعوّي على الطفل، الذي يتحوّل إلى اللّون الأزرق بين ذراعيها. وطبعا المرأة التي تعوي، لا تستطع أن تعرّف، أنني لست الشخص، الذي كان من المفترض أن تخبرّه. فهي لا تعرف، أنني لا أستطيع مساعدتها.

لم تُغلق المراكز أبداً. لقد عملنا في نوبات مدّتها ثماني ساعات على مدار الساعة، ولذا فإننا نميل إلى الانقسام إلى ثلاث فئات: المجموعة الصباحية، التي يتألف معظمها من كبار السن، الذين يرتدون أحذية تقويم العظام؛ الذين تحوّلوا بين عشية وضحاها، وهم في الغالب مدمنين على تصفح (الكوسبلاي) غير المنتظمين، أو مصابين بالتوحد، أو السمنة، أو المسجونين سابقاً؛ وفترّة ما بعد الظهر، حيث ينتهي الأمر ببقيتنا..

كان هناك ممثلون ونحاتون، متسرّبون من المدرّسة الثانوية، طلاب التعليم الفني، فاترون، فاشلون، وأولئك الذين انخرطوا في الوظيفة، لأنها بدت وكأنها محطة طرّيق، جديرّة بالاهتمام!

كانت بات، التي دربتني، محامية بيئية، ولم أعرف أبداً، لماذا لم تعد محامية! يمكن أن تتغير التحوّيلات، التي نقوم باجرائها، وفقاً لأهواء الخادم، الذي كنا نستخدمه تقنياً.

تمتلئ بعض الأســـابيع بالنوبات، التي تبدأ في الرابعة بعد الظهر، وتنتهي في منتصـف الليل، تليها مناوبة تبدأ في الخامسـة صـباحاً، وتنتهي في الواحدة..

بدون النّوافذ، كـان هنـاك القليل جداً، الـذي يمكن النّظر إليـه، أو القيـام بـه في مركز الاتصـــال.. تم تركيب أجهزة تلفزيون على الجدران، على جانبي الغرّفة. لم يتم إيقاف تشـــغيلها مطلقاً، لكن بدون صـوت. إذ لم يكن مسـموحاً لنا، بمشـاهدة البرامج المترجمة. ولا يُسـمح لنا بالقراءة، أو اسـتخدام هواتفنا، أو تناول الطعام أثناء العمل..

لم نثق في الإلهـاءات. لقتل الضـــجر وملء الوقت، تحدثنـا مع الموجودين في الهواتف من حولنـــا، لكن لم يتحـدث أحـد عن المكالمات.

"لماذا يجب أن نهتم؟"

ســـألتني بات، عندما أعربت في الأســـبوع الأول عن حزّني. من حين لآخر، كنت أميل إلى ميف، إذ كنـا نعمل في نفس الوردية، ومن آن لآخر كنت أحاول إخبارها بشـــيء غريب أو مضـــحك أو مرّوع.. وفي كل مرّة كانت تقول:

"لا أريد أن أسمع. عملت حيث تعملين الآن لمدة أربعة سنوات".

عندما قابلت ميف لأول مرّة، في ندوة تكريم قبل عام، أرتني وشماً لقلب، حصلت عليه، من رّجل بإبرة قذرّة في أواكساكا.. كانت في العشرين من عمرها وقتها، عندما وّشم لها معصمها.. كانت تكبُرّه بثلاث سنوات فقط، لكنها بدأت في إخفاء القلب، بالأساور والأكمام الطويلة!

كان لدى ميف شعر قصير وحلقة أنف، وعندما التقيتها كانت تقف خارج مبنى (وولي) مستندة على حائط الطوب المنخفض بأحد وركيها..
أخبرتني أنها ربما كانت مثلية! لكنها تراجعت تدريجياً عن التأكيد لذلك التحديد الأول السرّيع، حتى أنه بحلول الوقت، الذي وصلنا إليه الآن، وصفت نفسها لي مؤخراً، بأنها سبعة أثمان على التوالي.
"الوشم في أواكساكا هو آخر المخاطر، التي تعرضت لها على الإطلاق!"
كانت ميف تواعد صبياً يهودياً، يعيش في سينتينيال بارك مع والديه. أصدقاؤه من منتجي الموسيقى، ومدمنى المدارّس الخاصة، والمجرمين المدانين.. بقيت ميف في عالمهم، كما لو كانت تنتمي إلى هناك، لكنها لم تتعاطى المخدرّات، إذ كانت تؤمن بالقواعد، وتخطط للتقديم في كلية الحقوق. كانت لديها خطة للمستقبل، تعرف بالضبط كيف تبدو!
حاولت التحدث معها عن حالات الطوارئ. لكنها لم تكن مهتمة بمشاعري أو بأفكاري. لم أرها تهتز بعد أن أغلقت الهاتف. خلال أسبوعي الأول، حاولت بات بأسنانها الرّهيبة وشعرها المجعد، أن تشرّح لي الطريقة، التي يعمل بها المكان.
قالت إن بعض النّاس لا يمكنهم (اختراقها). إنهم يتلقون المكالمات شخصياً، وتلك هي التي ستخرج من هنا في غضون ثلاثة أسابيع. عليك أن تدركي أن هذه مجرد وظيفة. فأومأت بالموافقة.
لم أكن أريد أن أكون من الضعفاء، الذين لا يستطيعون (اختراقها). شرّحت الديناميكيات الاجتماعية للمركز. وأشارت إلى الاثنين في

الزّاوية البعيدة، اللذان كانا على علاقة غرّامية. وأشـــارّت إلى الرّجل في منتصـــف العمر، الذي يذهب إلى تايلاند كل عام، لإجراء عملية زرّاعة الشـــعر. أشـــارت إلى اثنين من الرّجال النحيفين ببطون ناعمة، ووصـــفتهما بأنهما أغبى الملاعين الذين هنا. لم يعرفا شيئاً عن أي شـيء! وأكدت لي بأن تغيّر المُنّاخ أمر حقيقي!

عندما أنهيت مكالمة أخرى. أومأت. وأخبرتني عن تبيض الحاجز المُرجاني العظيم، وذّوبان التربّة الصقيعية، وتزايد حوادث الطقس الغرّيبة، كما لو كنت أعتقد أن ذلك لم يحدث!

قالت إن الأنهار الجليدية بدأت تذوب، وأومأت برأسـي.. سـيرتفع البحر بمقدار مائة متر، وربما أكثر. كانت جزر المالديف تغرّق بالفعل تحت السطح.. كانت المحيطات محمضة.. سرعان ما بدأت حكومة الولاية في تكســير الحوض الارتوازي العظيم، مصـــدر الميـاه الجوفيـة، الـذي غطى رُبع القـارّة، الظـل الحقيقي للبحر الدّاخلي الأسطورّي، الذي افترض القرن التاسع عشر بجدية، أنه موجود هناك!..

سوف تسمّم الميّاه. سوف تجف الأرض. ستهتز الأرض. لم يكن هناك عودة الى الوراء. وأشـارّت مرّة أخرى إلى هؤلاء الأغبياء، كل ما يهتمون به هو كرّة القدم والقُبَل والغداء. أومأت مرّحبة، عليك الرّد خلال ثلاث ثوانٍ، كما تعلمين، لقد أشارّت إلى الشاشة، حيث تم عرض رمز المكالمة الوارّدة.

إذا لم ترد في غضـون ثلاث ثوانٍ، فقد ذهبت. لقد خطر لي لاحقاً، أنني رُبما لم أكن مناســبة لهذا النّوع من العمل، وأنه ليس لدي الكثير من الحدود المناسبة، بيني وبين بقية العالم.

في اليوم الأول المجاني، بعد الأسبوع الأول لي في ثلاث أصفار، اســـتيقظت قرب الظهر، ووجدت أنه لم يتبقَّ أي ذرّات قهوَّة، في علبة البسكويت بجوار الموقد. ارتديت سترّة كبيرة جداً، فوق ثوب رّقيق. وغادرّت المنزل دون الاستحمام.

في الخارج، تعثرّت بمفاتيح باب الأمن الحديدي. قبل أســـبوع، حاولت مغادرّة المنزل، لأجد أنه بين عشية وضحاها، قام شخص ما، بجر الأرّيكة الثقيلة، أســـفل النّافذة الأمامية، عبر بابنا لمنع خروجنا. لم تكن هناك طرّيقة لإبعادها عن الطريق.

أيقظت زّميلي في المنزّل بول. مع جو، الذي كان يعيش في الغّرفة المجاورّة لي، ولكنني بالكاد رأيته، شـــاهدت بول يتســـلّق نافذتي، ويهتز في ماســـورّة الصّـــرف. شـــاهدناه يقفز من المظلة، ويدفع الأرّيكة، إلى مكانها مرّة أخرى، ويســـتخدم مفتاحه لفتح الباب، والعودّة إلى المنزل..

بدت الأريكة التي تحجب الباب، بشعة. يبدو أنه يؤكد شكوكي بأن كل شيء يحتوي على احتمال الخطر.

بعد أســـبوع من تلقي مكالمات الطوارئ، حدث كل شـــيء. كانت الســـيدّة اليونانية المجاورّة، تجلس تحت شـــجرّة العنب المتعرّجة، التي نمّت فوق درجنا إلى الشـــارع، لكنها ابتعدت عنّي عندما أغلقت باب الأمان الحديدي، وتظاهرّت بتنظيم الصـوف، في سـلّة الخياطة الخاصـة بها. للحظة، رّأيت نفسـي من منظورّها -الشـعر المعقود والملابس المجعدّة- وأدرّكت أنني أبدو "متوّحشـــة" تماماً لعينيها، مثل الأشـخاص، الذين كانوا يخشـون المعمارّيين، عندما قاموا ببناء هذه المنازل فوق الشارع!

وقد أزعجني هذا، لأنني أرّدت أن تحبني السيدة وزوجها المجاور. مشيت بجانبها واستدرت يساراً، تحت الضوء الخافت للأشجار، باتجاه شارع ريدفيرن والمقاهي، مع الكرواسان والقهوَّة الجيدَّة. بينما كنت أسير، لم أستطع إلا أن آخذ كل شيء، على محمّل شخصي.

كل لّوحة. كل نشرّة في الحضيض. رأتني امرأة في الشارع بجوار بائع الزّهور، ونادت زّوجها للإسراع في سيارتهما المتوقفة، وأغلقت الباب. بدت السيارّة، وكأنها تنحرف نحوي. كل سائق رأيته، كان لديه معصم غير موثوق به.

الرّجل الذي كان يملك مطعماً إيطالياً، كان يسقي نباتات الأصص، على جانبي الطرّيق وظهرّه نحوّي. في ناصية شارع ريدفيرن، عندما مرّرت، كان طائر أبو منجل، يطفو فوق صندوق قمامة، وهو يفتح مقصات الحديقة السوداء الكبيرة بمنقارّه. وكانت هناك طيور العقعق، والتي أخذتها شخصياً أيضاً. في زاوية رؤيتي، شعرت أنهم يستعدون للانقضاض على رأسي.

بعد أسبوع واحد فقط، بدأت بالفعل في التكيف مع حيّاة، لم يكن فيها وقت لتحليل المعلومات، إذا كنت ستصبح أحد الأشخاص، الذين يمكنهم اختراقها، وحيث كانت ثلاث ثوانٍ، هي كل ما استغرقته لتختفي.

كنت مستعدّة لردود فعل القناة الهضمية. لقد كنت على درّاية بجميع الاختبارات الانعكاسية للنفسية: اللقطات الساخنة، والنّوافذ المنبثقة، ومتطلبات "أعمل الآن".

في يناير من العام الذي غادرت فيه سيدني، شعرت بالخوف من السير، بالقرب من الحضيض والسيارات، التي كانت تنحرّف حول الزّوايا بسرّعة كبيرّة.
كنت خائفة من رّاكبي الدرّاجات، والنّاس الذين يرتدون ملابس رياضية، بجوار إشارّات المرور، ويخافون من السلالم، ويشعلون السجائر وخطوط الكُهرباء.
كنت خائفة من الرّجال. كنت خائفة من كل شيء تقريباً! ....

الذهاب، اليزابيث مكراكين
The Get-Go Elizabeth McCracken

كانت والدة سـادي فارّعة نحيلة، مع جديلة سـوداء طويلة أسـفل ظهرها، عندما كانت سـادي صـغيرّة جداً، ثم فضـية، ثم فضـية، كانت أشـبه بأداة لقياس الوقت، أو سـاعة ذّرية. كان والدها طويل القامة أيضـاً، في الصوّر وفي لم الشمل، كان هو وأمه يلوحون في الأفق، أطول أفراد العائلات القصيرّة..

كان الجميع سـعداء عندما رُزقوا بطفل قصـير: فقد قرروا التأقلم رُّغم كل شيء!

سادي صغيرّة ممتلئة الجسم وشقرَاء. عندما كانت في التاسعة من عمرها، توفي والدها، وكانت الأم وابنتها، كما تبدوان للعيان غير متطابقتين. بعد سنوات، أحضرّت سادي جاك إلى المنزل، لمقابلة والدتها، ليندا برودي، التي لا تزال تعيش في البيت الأخضر، على تل في (سوام بسكوت)، مع إطلالة على المحيط، وسياج الاعصار العاصف، على ذلك التل.

طوال حياته، كان جاك يشـعر وكأنه متطفل.. قد يكون كذلك، كما قرّر، الدّخول عن قصـد.. كان جرّس الباب زراً صـغيراً، بضـوءٍ برتقالي، حتى يتمكّن الطارّق من رؤيته في الظلام.. دفعته سادي..

فسألها: "ألا يمكننا الدخول؟"

قالت سادي: "إنه منزلها".

فتحت باب العاصـفة.. فتحت والدتها الباب الأمامي، والتقت الأم وابنتها على العتبة. تعانقتا لفترّة طويلة، حتى تسـاءل جاك عما إذا

كان يجب أن يغادر! أخيراً، قاموا بفك التشـــابك، ليندا في ســـترّة ذّات عنقٍ احمر تفاحي، وســـادي في معطفها الشـــتوّي الذي بلّون الكرّز الأحمّر.
قدمت ليندا يدها لجاك دون أن تنظر في عينيه، وقالت تعرفه بنفسها: "ليندا".
أخبرته سادي، أنها رّاهبة في الأساس، وتخيل جاك سيدّة منهارّة "نّوع من الرّاهبات - ليســـت رّاهبة حقيقية".. لأن ليندا كانت يهودية، ولكنها امرأة من أهل الكتاب، تكرّس نفسها للقراءة.
كانت أمينة مكتبة في المدرســـة الثانوية. ثم أنها عادت إلى المدرّســـة، لأنها تزّملت ذّات مرّة. وها هي الآن تعيش حيّاتها، مع عظام وجنتيها، وشـــعرّها الذي في جديلة، ومنزلها الصـــغير، المغطى بألومنيوم مكســـو باللون الأخضـــر، الباهت كنعناع بعد العشاء. قالت: "تعال قبل أن تأخذك الرّيح".
ثم قامت بتسليح باب العاصفة بقوّة، حتى يتمكن جاك وسادي من الدخول، لكنها بدت غير قادرّة على النّظر إليه.
لقد تم تجاهله في حياته كلها، ولكن بطرق جعلته يشـــعر بأنه غير مرئي!.. لكن هذه المرّة، الطرّيقة التي نظرّت بها ليندا برودي، بعيداً عنه، أشعرّته بالبهجة والاغتباط!
أخذ نفسه إلى النّافذة، وشاهد والدة سادي، وهي تفك أزرّار معطف ســـادي الســـفلية، وتنزعه من الكتف إلى الكتف، ومن المرفق إلى الكوع، ومن المعصم ألى المعصم الرّقيق.
أسفل القاعة كانت غُرّفة نوم طفولة سادي، التي فهم جاك، أنه لن يراها في هذه الزيارّة، وقد لا يراها أبداً، وستظل مغلقة أمامه إلى الأبد!

"دعني أنظر إليك"
قالت والدة سـادي لسـادي، وهي تضـع يديها على ورّكي سـادي، التي عبست وهي تقول: "حاضر يا أمي."
"إنه منزل جميل"
هكذا قدم جاك عرضـاً متداخلاً، على الرُّغم من أنه لم يكن كذلك. كان هناك اضـطراب عام في الغُرّفة، وكتب على كل طاولة، وستائر معدّنية بزوايا غريبة، لإطارات النّوافذ.
بدا الأثاث كما لو أنه تم شـراؤه دفعةً واحدة، من كتالوج. لم يكن هناك قطعة فنية على الجدرّان. أشـار جاك إلى النّافذة: "ما رأيك في هذا الفيو!"
بصـدق، كان المنظر جيداً، حيث يمكن للمرء، رؤية رّايات المحيط، في الزّاوية العُلوية اليمنّى، والمنزل المقابل، وهوائيات التلفزيون، وأسلاك الهاتف. وافقت ليندا: "إنه لطيف".
"أنت بحاجة إلى معطف جديد، سـادي. دعينا نذهب للتسـوق، يمكنك اختيار واحد".
قال جاك: "سأشتري لك معطفاً".
قالت ليندا: "سنذهب إلى لورد وتايلور".
كان موت والدها قد ربطها بوالدتها. كيف لم يكن جاك يعرف هذا؟ كل ما قالته سـادي لجاك عن ليندا، طولها، خطورّتها، قسـوّتها العرضـية، الطرّيقة التي كانت تثير قلقها بشـأن وزن سـادي، لم تسـتطع أن تتحمل نغمّة، لكنها مع ذلك غنّت لها، لم تسـتطع تذكر اسم أي من أصدقاء سادي -لم تهيئ أحداً لهذه الحقيقة.
كانت والدة سـادي تحبها بشـكل مزعج. ليس بطرّيقة تعني أنها ستحبه أيضـاً بالمقابل. كان حبهما قطعة أثاث مصـممة لشخصـين

فقط. مؤســـســـة منعت الرّجال. حباً يمكن إثباته، وقابل للاختبار وصــلباً وموثقاً بعدد من الطرّق. ما كان لدى جاك وســادي، كان شيئاً مختلفاً، تم بناؤه بسرعة، ونحيفاً، مثل أي حبٍ صغير.
كان يتخيل أنه قد يدخل حيّاة ليندا، من خلال باب سـادي. فذاك هو الحال في عائلته: أن تكون ســادي ملكاً له؛ وصــلت معه كأمتعة، تُفهم فقط كجزء من حياته. لقد رأى أن هذا لن ينجح مع ليندا. كان عليـه الالتفـاف على الجـانـب الآخر من الطريق والتحـدث عن مميزّاته. غادر النّافذة، وجلس على كرّســـي جلدي بذراعين، يبدو أنه مصنوع من جلود أناجيل جدعون. تنهد تحت ثقله: "أوه!.. لوز الأردن!"
مد يدّه وأخذ حفنة من الوعاء، الذي توسط طاولة القهوّة الزّجاجية، فاندفعت يد ليندا تصـفع سـاعده! صـفعته حقًا!.. وهي تقول بصـوتِ صاحب كلب مذعور: "لا"
ثم ندمت على الفور. فقالت بحرج: "كل ما في الأمر، أنني أحصل عليها دائماً من أجل ســـادي.. إنها تحب هذا اللوز، الذي من الصعب العثور عليه".
كانت صـفعة مؤلمة، لقد كانت تعني ذلك.. وأدرك أن عليهم جميعاً التظاهر، بأن هذا لم يحدث. كان لديه اللوز في قبضـــته، ففتحها.. بدأ طلاء الباســتيل ينتقل إلى راحة يده. قال: "بالطبع، ســتحصــل سادي عليهم"
كانت تلك بداية حياتهما معاً. اســتمرّت هكذا لســنوات. من الخطأ الذهاب إلى المنزل. لم تكن ليندا ناســكة. كان نوع الخجل الخاص بها، يتلاشـى في الزّحام. ما كرّهته هو رؤيته في موطنها الخاص، من بين الأشياء الخاصة بها، العش الذي بنته حولها.

بعد فترة وجيزّة من ذلك الاجتماع، باعت أخيراً المنزل في سـوام بسكوت، واستأجرت غرّفة من زميل لها في المدرّسة الثانوية. ثم انتقلت إلى ناهانت. ثم بعد تقاعدها، انتقلت إلى شـقة في ميلروز، وأخيراً إلى اسـتوديو في والثام كان جزء من مدرسـة ابتدائية فيما مضى.

لم تتم دعوة جاك إلى أي من هذه الأماكن. ربما كانت تحاوّل إبعاده عن أثرها. لم يستطع حتى تذكر فكرّة من كانت تلك الزيارّة الكارثية الأولى. هل قال: "لم لا آت إلى البيت لمقابلة والدتك؟"..

وهل قالت سـادي: "بالتأكيد، ليس بالأمر المهم، سـنذهب إلى المنزل؟ سنذهب إلى المكان الذي مات فيه والدي، وستلتقي بأمي، وسنكون جميعاً سعداء"

مضـى وقت طويل، إلى أن تمكن جاك من الفوز بليندا. نجح في الغالب. كان بحاجة إلى لعب دور ما في تلك الأوقات. لم يكن طفلها: ما الذي كان أكثر بشـاعة من ذلك التجاوز الأمريكي للحدود، واصـفاً أصـهَارك بأمي وأبي، لم أفقد ابنتي التي رّبحتها ولادةً، نفحة سفاح القرّبى والانفصال عند الولادة؟

كما أنه لم يكن زوجاً بديلاً، أومصـلحاً، أو دوراً معروضـاً في الأوبرا، ولسـت محظوظة لأنني أمتلك تاريخان جميلان: كان ذلك مثيراً للاشـمئزاز. لم يكن صـديقاً، على الرُّغم من أنه نشـأ، ليحب ليندا برودي بشـكل لائق، أو يقيم معها علاقة تجارية، أو علاقة غرام، لم يكن مصـرفياً أو كبير خدم. أو عضـواً موثوقاً به من الموظفين. لم تتم دعوته إلى منزلها أبداً!

من بين هؤلاء الثلاثة، عملت سـادي على مدار العام، كمحررّة لمجلة نقود (كان والدها جامعاً للعملات المعدنية، وتفاصيل سيرّته

الذّاتية، هي التي أهلتها للحصـــول على هذه الوظيفة). بعد تخرجه من الجامعة، حصل جاك، على منصب زائر في جامعة بوسطن، ثم وظيفة دائمّة.
في الصـــيف كان يرافق ليندا إلى الألعاب في فينواي، من أجلها فقط، وكانت هي قد تأثرت باهتمامه بالبيســـبول، والذي أصـــبح إهتماماً حقيقياً في النّهاية، لازمها طوال حياتها، ولكن بعد ذلك حطم فريق (ريد ســـوكس) قلبها ليس مرّة واحدة، بل أكثر من مرّة..
لقد تعلم الســـر من ليندا، ربما من بين جميع أصـــهارّه، وهو أن يطوّي شـخصـيته إلى نصـفين، وأرباع، وأثمان، ثم يضـعها في جيبه.
سـمح لنفسـه أن يحاضـر. قدم نفسـه على أنه موضـوع للنكات.. الأرملة برودي. البيســبول والمتاحف والأفلام، لكن ســادي كانت مشـــترّكة بينهم، رُّغم أنهما لم يتحدثا عنها. كلاهما -هو والأرملة برودي- كانا يحترمان خصوصيتها.
كانت ســادي صـغيرّة جداً عندما مات والدها، وهي طفلة وحيدّة. لقد أخبرّت جاك ذّات مرّة بحادث غريب. هل أرادت التحدث عن ذلك؟ لم تفعل.
كان يعتقد أنه ســيكون ذلك النّوع من الأشـــخاص في الزواج -لم يكونوا متزوجين بعد- الذين يمكن إخبارهم بأي شيء.
كان هذا صـحيحاً بالنسبة للأشياء الصـغيرّة، والحساسية من قشر الجوز، والطفح الجلدي غير المعتاد على الفخذين الداخليين، وأهم وظائف الجسم والنفسية. لكن ليست الأشياء الكبيرة!

كانت لديها صـــورّة واحدة لوالدها، يبدو طويل القامة، نوع من قطعة واحدة على شكل الماس، أوسع عند خط الحزام من أي مكان آخر. مبتسماً عن أسنان سيئة!

اعتقد جاك أحياناً، أنه إذا تمكن من حل لُغْز تيموثي برودي، يمكنه المضـــي قدماً في الحيّاة. ســـوف يتزوجان. هل لديك طفل. كانا ينتظران إشـــارّة.. كما لو كانا يتبعان إشـــارّة.. كما لو كانا قادرين على قراءتها.

في يوليو من سنته الثانية عشرّة مع سادي، رد جاك على الهاتف، ليســـمع رجلاً بلهجة بوســـطنية ســـميكة يقول: "هل هذا جاك؟ أنا صديق ليندا.. لقد تعثرّت"

سمع جاك ليندا في الخلفية وهي تقول، أخبره أنني بخير!..

"سقطت؟"

"إنها فقط في مأزق. هل يمكن أن تأتي إلى منزلها؟"

رد جاك: "بالتأكيد.. دعني فقط اتصل -"

قال الصوت: "هي تقول لا تزعج سادي".

ثم أضاف كالهامس على خشبة مسرح: "إنها محرّجة".

"سأكون هناك الآن. لكن، هل يمكنك إخباري بالعنوان؟"

لم يخبر الصـوت بأنه لا يسـتطيع القيادة. التقط سـيارّة أجرّة. كان الجو حاراً في بوســـطن، نوع الحرّارة الذي يجعل المرء في غاية الاستياء.

كان المبنى الذي يســـمى المدرســـة، قد بدا خلاباً، ولكنه كان محصوراً، عشرون شقة فقط، بعضها مزود بـــ سبورّة سوداء، وبعضها به نوافير مياه صغيرّة من الخزّف..

هاتفه الخلوي في جيبه يتهمه بالخيانة. يجب أن يتصل بسادي.. قرّع الجرس بالقرب من الباب الأمامي، ودق عليه بشدّة..
كانت الممرّات مكيفة الهواء. أذهلت المدرسة سادي عندما زارت والدتها، وكان جاك يعرف أنه لا يوجد مكان ساحر مخصص لتعليم الأطفال، دون أن يكون مسكوناً أيضاً.
كان يتحسس المكان حوله، وفجأة عثر على فصل الصالة الرياضية. ليس ذلك المخصص لحصص صالة الألعاب الرياضية في رياض الأطفال، كان شيئاً مختلفاً!
نخب القرفة، والفاكهة الاصطناعية، وصرير الأطفال في سن الخامسة، الذين يُسمح لهم بالجري بأقصى سرعة، ولكن في الصف السادس. نصف الفتيات يبدأن، ثلاث أو أربع فتيات في إزهار دموي كامل.
الأولاد أيضاً، مع بطون ممتلئة متذبذبة وأذرع ضعيفة. رّائحة اللحم المحترّق: الفخذان على حبال التسلق، والركبتين على الأرض، وما كان جاك يسميه حروقاً هندية. ربما ما زالوا يطلقون عليها هذا الاسم. الغداء: بيتزا مربعة، سلطة تونة مخلل. دخان من صالة المعلمين.
يعتقد جاك أن تحوّيل المدرّسة إلى مسكن، فكرّة سيئة للغاية!.. مثل بناء منزلك فوق مقبرّة.
تم وضع علامة على باب ليندا الرّئيسي بالطلاء الأسود، على زجاج بأسلاك الدجاج. فتحه رجل سمين قصير من سن ليندا، في قميص بولو أزرق: "مهلا! تعال يا أستاذ. أنا أرتورو. فيتال. أنت صهره؟"
"ليس رسمياً"

"لا تمزّح؟ أنت لست زوج ابنتها؟ خطرّت لي فكرّة أنكما زّوجين".
نزلوا ممراً صـغيراً إلى الشـقة.. أربع نوافذ طويلة تسـمح بدخول أربع شـرائح من ضـوء الشـمس، وطوب مكشـوف، ومطبخ في الزّاوية، وأضـواء جميلة مظللة باللّون الأخضر تتدلى من السقف، وفي منتصـف الأرضـية، ليندا برودي تتكئ على كرسـي خشـبي. حملت قطعة قماش على رأسها. كانت محاطة بصناديق، رغم أنها عاشت هنا لفترّة من الوقت!
هل كانت تنتقل؟ هل كانت الصناديق دائمّة؟
شعر جاك كما لو كان هو الشخص، الذي تعرض للحادث، صدمته شـــاحنـة وتجـاوز الأميـال والجدرّان، لينتهي بـه الأمر هنـا. في السـنوات التي عرفها فيها، كانت تبلغ من العمر القليل جداً، لكنها الآن تبدو قديمّة!
بقلق. رّفع فسـتانها الزّهري. رأى الكثير من سـاقيها. قالت ليندا: "لم تتزوجا بعد".
وافقها جاك: "ليس بعد".
جثا على ركبتيه بجانبها، وانزل تنورتها خلســـة. وقال: "ليندا، ما الذي حدث؟"
قالت ليندا: "حسناً، أشعر بالغباء".
أخذت القماش بعيداً عن صـدغها، ونظرّت إلى الخط الوردي الذي خلفها. كان هناك خط مطابق في شـــعرها: "لســـت متأكدة مما حدث".
قال أرتورو وهو جالس على الأرض: "لقد تعثرت".
نظر جاك إليه: "لماذ هي ليسـت في المسـتشـفى؟" "قالت، لا تريد الذهاب".

قالت ليندا لجاك: "ألن تتزوجا؟".
قال أرتورو: "أنت لا تعرّف.. من يستطيع أن يتنبأ بتقلبات الحيّاة؟"
عبست ليندا، وأعادت القماش، ولمس جاك رأسه. شعر دماغه بالجرح. لقد أراد شخصاً آخر أن يتولى مسؤولية هذا الموقف، حملق في القمامة. امتلأت الصناديق حولها بأشياء ملفوفة في الجرائد، سألها: "هل ستنتقلين مرّة أخرى؟"
"لا. مجرد ترتيب الأشياء"
قال أرتورو: "نأمل بيع بعض الأشياء".
سأله جاك: "من أنت"
فأجابته ليندا: "تاجر التحف. صديق قدّيم. هل تعتقد أنه يمكنك مساعدتي في الوقوف على قدّمي؟"
قال أرتورو مشيراً: "الكتف".
كان الذرّاع الذي لم يكن يحمل القماش على رأسها متدلياً، كما لو لم يكن لديها كتف على الإطلاق. قال أرتورو: "راهن على أي مبلغ من المال، على ما تم خلعه.. الرأس، الكتف، دعنا لا نلمسها"
قال جاك: "ليندا".
لم يستطع الوقوف للنظر إلى خطأ ذراعه: "أنا ذاهب لاستدعاء سيارة إسعاف. ثم سأتصل بسادي"
بعد لحظة قالت ليندا: "إذا كان لا بد من ذلك، اتصل بسيارة الإسعاف فقط"
قال أرتورو: "للتسجيل، أردت الاتصال بكليهما".
"ما التسجيل؟"
قالت ليندا: "سادي فظيعة في مثل هذه المواقف".

"هل هي؟"
"أخبرها بعد ذلك، عندما أكون صاحية تماماً وفي المنزل"
"ألا تعتقدين أن هذا سيؤذي مشاعرها؟"
قالت ليندا: "صعب إذا حدث ذلك.. أعني، ربما. جاك، لا تناديها. أعلم أنك تعتقد أنني أفسدها، لكن، بالطبع، أنت تفهم، كانت في الأساس طفلة وحيدّة. أخبرتني سادي، انك كبرت مع اخواتك، وخرجت من المنزل. أنا متأكدة من أن والديك دللاك"
كان يبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً، ولم يتم تدليله يوماً في حياته. حتى عندما خرج مع ليندا، دفع ثمن كل شيء، تذاكر السينما، دخول المتحف، حساء اللوز والقهوّة القوّية في مقهى بامبلونا. قال جاك: "حسنًا".
جلس أرتورو على أحد الصناديق، في وضع القرفصاء، وركبتيه متباعدتين، لإفساح المجال لمعدته: "اتصلت بـ ٩-١-١"
ثم قام بسحب مقطع ملفوف بالجريدة من الصندوق. "ربما كذلك، بينما نحن ننتظر."
عرف جاك أنه كان بالداخل مزهرية زرقاء وبيضاء بمقابض ملتوية، ومظهر عابس مرسوم على جانب واحد. لقد نشأ مع صناعة الفخار مثله، على الرّغم من أنه لا يوجد شيء جيد مثل هذا. تلك الفكرّة القديمّة: شيء من الجمال. جاك أراد ذلك. قال أرتورو لليندا: "كان تيم يتمتع بذوق جيد".
قالت ليندا: "(هذا الشيء). لم أره منذ سنوات. أكثر من ذلك بكثير مما أتذكر".
قرع فريق الطوارئ الطبية الجرّس، ثم جاءوا حاملين نقالة في الممّر، ثلاثة شبان لطيفين، صرخ أحدهم: "ماذا فعلت يا ليندا؟"

فيما قال آخر: "هذا المكان جميل"
قالت ليندا: "هذا ليس لطيفاً".
رفعوها على نقالة. قال أرتورو: "إنه لطيف، أنت لطيف، إنه لطيف جداً"
قالت ليندا وهي تفتح الباب: "أنا امرأة بالغة".
قال أرتورو: "بالتأكيد"..
والآن أنت تعيشين في مدرسة، في مكتب المدير، مثل فأر كتاب القصص.. بمجرد أن أخذوها بعيداً، قال أرتورو لجاك: "تعال. سأوصلك إلى المستشفى. من أين أنت؟ لديك القليل من اللهجة"
قال جاك: "شمال ولاية نيويورك"
كان لدى أرتورو مجموعة من المفاتيح؛ أقفل الباب الأمامي وهو يقول: "أوه. اعتقدت أن (ليندا) قالت أنك بريطاني. انظر إلى الفقاعات!"
نزل من القاعة. حاول تشغيل إحدى نوافير المياه المنخفضة بقدمه. في ذهنه رأى جاك كتف ليندا أولاً، ثم إناء بريتون، ثم كل الصناديق حوله، ثم سادي: "ماذا تفعل بكل هذه الصناديق؟"..
قال أرتورو وهو يفتح الباب الأمامي للمدرسة: "خلال العشرين سنة الماضية كانت في المخزن. عندما مات تيم، قامت ليندا بحزمهم بعيداً. وهي تدفع شهرياً منذ ذلك الحين. مجنونة. ها أنت ذا"
فتح ارتورو جانب الرّكاب في سيارّة مرسيدس بنز قديمّة أصيلة. تخيل جاك سيارّة قذرّة مليئة بالكتب القديمّة: "إنها كل أغراض زوجها. أعتقد أنها اعتقدت أنها والطفلة سوف يتحركان. أنت تعلم

أنــه مــات في ذلــك المنزل. بطريقــة مــا، علقوا. علقوا في سوامبسكوت. فتاة لطيفة."
"هل هي سادي؟"
"أنا لا أسألك، أنا أقول لك إنها فتاة لطيفة"
"هل قابلتها."
"كنت أعرفها عندما كانت طفلة. عشت قبالتهم في سوامبسكوت. لقد رأيت ليندا منذ فترة، فابتعدت، شــيء آخر لا تخبر به ســادي. في الأسبوع الماضــي اتصلت بي ليندا لتخبرني أنها تقوم بإخلاء مســـاحة التخزين، إن أردت أن ألقي نظرّة على بعض الأشـــياء الخـاصـــة بتيم، قلت بـالتـأكيد، لم لا. في الغـالـب أتعـامـل في المطبوعات، لكنك تعلم: التداخل. نيوتن-ويليسلي على هذا النحو؟"
"انا لا أعرف"
قال أرتورو: "أنت لا تعرف الكثير"
داخل غرفة الطوارئ، كان جاك يحاول توجيه نفســه عندما ســمع مـا فهمـه، على الرّغم من أنـه لم يســـمع بـه من قبل، كـانـت ليندا تصـدر ضـجيجاً طويلاً وهي تتلوى من الألم.. لم يكن المكان يبدو كشـــيء يمكنك العيش فيه. بدأ بشـــكل غريزي في الجري باتجاه مصدر الألم أو تجاوزّه.
تم إغلاق المنطقة الصـغيرّة التي كان يتوقع أن يجدها فيها بسـتائر زرقاء رّمادية. وقف خارجها يرتجف، ثم قام أحد الأطباء بســحب الستائر وخرج آخر، وكانت هناك ليندا، بجبهتها المتعرّجة.. قالت: "آه، هذا أفضـل. وضـعوا كتفي على اليمين. عرف أرتورو ما كان يتحدث عنه. لا يجب أن تراهن عليه".
"أنا لم أراهن عليه.. يسوع"

قالت ليندا: "يسمونها خفض الكتف".
بسبب إصابة في الرأس، أرادوا إبقائها بين عشية وضحاها؛ أرادوا أن يراقبوا قدمها أيضاً، كانت ستبقى في غرفة الطوارئ، حتى يتم العثور على سرير في طابق بعيد. قالت: "ازعجتك؟".
"أنت لست مزعجة."
قالت: "أريد أن أسألك شيئاً"
"بالتأكيد"
"كانت سادي في التاسعة من عمرها، عندما مات والدها"
قال جاك، محاولاً أن يبدو حكيماً وعاطفياً: "هذا سن سئ".
قالت ليندا: "جميعها أعمار سيئة، لدي صديق يقول، إذا فقدت أحد والديك مبكراً، فهناك جزء منك يبقى في هذا العمر إلى الأبد. وبالطبع الأمر أسوأ بالنسبة لسادي. بسبب الصدمة. من التواجد هناك".
قال جاك: "أوه". رأت والدها يموت. هل تعلم أن..."
لم يفعل لكنه لم يستطع قول ذلك. قال: "نعم".
ثم: "سأفعل."
"هل ماذا؟"
"اعتني بسادي"
قالت ليندا: "ليس بعد سادي، أنا. لا أعلم أنها تستطيع فعل ذلك، فالأسوأ يكون أسوأ. والداك لديهما كل هؤلاء البنات، لذلك لا أشعر بالسوء حيال السؤال. سوف تفعل؟"
ثم قالت: "لا تقلق كثيراً"
رُغم أنه كان قلقاً بالفعل، ويخطط للقلق في المستقبل المنظور: "لدي كل النية للموت أثناء نومي"

ثم هناك كانت سـادي، وهي ترتدي بذلة من الكتَّان ضـد الحرّارة، منتفخة ومزهرّة وخاطئة بالنسـبة لها، بيج وأصـفر لامع، كانت تضع خصر إمبراطوري على بذلة، وكلاهما أحبها كثيراً في ذلك.
لقد قضت فترّة ما بعد الظهيرّة، للحصول على قصة شعر، قصة شعر قديمّة الطراز، عندما تم سحب كل الشعر الآخر في بوسطن الكبرى، مرّة أخرى إلى شـكل ذّيل الحصـان في ذلك اليوم، أو تقطيعه إلى طنين.
قالت: "كيف حالك؟"
ذهبت إلى الجانب الآخر من السرير.
"غاضبة، تريد أن تعرف. أخبرت جاك ألا يتصل بك".
"لم يفعل. اتصـل بي أرتورو فيتالي، غريب الأطوار هذا ماذا يحدث هنا؟"
"تعثرت فوق صـندوق، والآن يريدون إجراء عملية جراحية لقدّمي، إذا كنت تستطيعين تخيل مثل هذا الشيء الغبي"
قالت سـادي في حزن: "حسـناً، أعتقد أنه يجب عليك إجراء عملية جرّاحية".
"لقد أرادوا وضع بعض الغُرّز في فروّة رأسي لكنني قلت لا"
لمست ليندا شعرّها: "معظم الأشياء التي يقدمونها في المستشفيات، ليس عليك فعلها حقاً"
أراد الكلب جاك القفز فوق السـرير. لقد أراد العثور على شـخص ما في المسـتشـفى للزّواج منه - لابد أن يكون هناك قسـيس، كان النّاس يتزوجون دائماً بالقرب من الموت، على الرُّغم من أن ليندا كانت على ما يرام: سـتعيش من خلال هذا، وتعود إلى شـقتها القصصية، أو هكذا اعتقدوا.

بدا كل شيء على ما يرام حينها. بدا كل شيء عادياً تماماً، سادي في بذلتها الرّهيبة ذات الخصـــر الإمبراطوري، تبدو وكأنها ليندا ســـليمة. مكث حيث كان. لم يقفز. - في وقت لاحق، بينما كانت سادي تقودهم إلى المنزل، قال، لأنه لم يكن هناك سؤال صحيح: "لقد رأيت والدك يموت".

"أمي أخبرتك بذلك."

"هذا ليس صحيحا؟"

"لا، إنه.. أعني، هذا صحيح"

قال: "يا عزيزتي، لأنها كانت لحظة للتحبب رغم أنهم لم يستخدموا أبداً التحبيب. تطابقت قصـــة شـــعرها الجديدة مع حاجبيها في جمهورية فايمار، الخطوط الرّفيعة، التي قطعتها قبل ســـنوات، متوقعة أنها ستنمو مرّة أخرى. كان أحمر شفاهها أحمر. يناسبها. بدا أنه مهرج فقط من الرّقبة إلى أسفل.

كررت: "يا حبيبي، لهذا السـبب لم أخبرك. كان لديه تمدد الأوعية الدموية"

قال: "أنا آسف، ليس حادثاً غريباً"

"لم أقل قط حادث غريب!"

كان متأكدًا من أنها قالت: "شيء غريب". "شيء غريب."

كان والدها متجعداً وأسـنانه سـيئة؛ كان يرتدي قمصـاناً قصـيرّة الأكمام من البوليستر، مع ربطة عنق سوداء؛ أحبته.

كان يحب أن يظهر لها حيل البطاقات. كان يظهر لها واحدة عندما مات. قال: "انظري، كان هناك أربعة لصـوص، وقرروا ســرقة متجر متعدد الأقسام.. جاك النوادي، جاك الماس، جاك البستوني، جاك القلوب.. وهبطوا بمروحيتهم على سطح المبنى"

ووضـــع الرّافعات أعلى مجموعة الأوراق. كانت جالســـة في سريرها، إطار سرير أبيض صغير من شرق البحيرة، وجده في ساحة بيع، مثل هذا الشكل الضيق الطويل، الذي كان عليهم أن يصـــنعوا له مرتبة. قال: "ذهب اللص الأول إلى الطابق الســفلي، أيها الخزف الصيني الجيد"

وسـحب بطاقة من الأعلى وأدخلها بالقرب من القاع: "الثاني، إلى الطابق الأرضي، العطر".

بطاقة أخرى: "الثالث، الملابس الداخلية.. الرابع، المجوهرات. ثم سمعوا الشرطة بالخارج، وركضوا.."

في ذلك الوقت، قام بنثر البطاقات، لكنه فقد الســيطرّة عليها. لقد طاروا في الهواء، ثم انحنى هو نفسه.. سقط على ركبتيه، كما لو كان يستسلم لقوّة الشرطة الوهمّية، جلس، كان لديه تعبير غبّي على وجهه، انحنى إلى الخلف، على الحائط وأغلق عينيه، ويداه تتخلى عن إيماءات مضحكة.

لقد ضحكت. كان والدها مضحكاً جداً. أنظر إلى يديه، أستسلم، أستسلم. كان هذا هو الشيء الذي يتعلق بوفاة والدها، ما لم تخبر به أحداً أبداً، أنها اعتقدت أنها مزّحة.

لم يكن السر الذي يفسر كل شيء، أو حتى أي شيء، رغم أنها كانت تعلم، أن هذا هو ما يعتقده جاك.. مفتاح لقفل. شيء أساسي من النّاحية المعمارّية، لا يمكن إزعاجه بدون مساعدة المحترّفين. تعويذّة من تنوع بياض الثلج، قد توقظها على حيّاة مختلفة. أفضل؟ أسوأ؟ ربما لا تستحق المخاطرّة. ربما فضل الوحش أن يكون وحشاً، والأخوّة البجعة قوّة الطيران، والصبي الذي اختطفته ملكة الثلج، القدرّة على عدم الاهتمام بمشـــاعر الآخرين، وكذلك البرد

القارّس. عقدّة على شبكة حيوّية. عضو غير مكتشف. ورّم ترك لوحده خوفاً من التمزّق.
أيا من هذه. كان مجرد شيء يخصها. كان هناك عاطفة معينة شعرّت بها، عندما كانت تنظر إلى والدها، وهي تعتقد أنها مزّحة، ثم فهمت الأمر لم يكن كذلك، ولكن لم تعرّف بعد الاستجابة الصحيحة، ما الذي يعنيه هذا لبقية حياتها.
ليس عاراً.. كانت تكرّه أن يعتقد أي شخص ذلك. ليس حزناً، رغم أن الحزن كان قريباً. لقد كان عاطفة لم تشعر بها من قبل، ولن تشعر بها مرّة أخرى أبداً، بالقرب من التحوّل الدّيني، يقين عميق حول لُغز. لم تستطع تحمل تفسير شخص آخر.
لم تستطع تخيل تحوّيل أي منها إلى كلمات. ذكرّى ليست حقائق وفاة والدها، ولكن عن هذه اللحظة، كانت ذكراها، فقط ذكراها، مثل تلك المناجد الفيكتورية المرعبة، بشعر محبوب ميت. كم هو غرّيب، استخدام قطعة رأس شخص ميت، للوقوف في مكان كل شخص ميت. كم هذا صحيح أيضاً، ضعه خلف الزّجاج. خيطه على سلسلة. ارتديه بالقرب من قلبك. لا ترسليه إلى أي شخص آخر. ....

المحتويات

إهداء ٦

عن المترجم: ٧

مقدّمة المترجم..... ١١

ابن الأم ف. ر. مارتنيز..... ٤٣

الوَغد، ٢٠١٦، بليك سانز..... ٥٥

موسكوMoscow ٦٦

نحن هنا، ايسيجول سافاس ٧٨

قضية حرّجة، واي زي تشين..... ٩٧

الأميرة باري، هونج سوك يونج..... ١١١

إيلاج، تيان يي لي (لوجاسيك)..... ١١٩

المساهمات، بيمي أغودا..... ١٢٤

لوائح أفريقيا، إك أوسوندو..... ١٣٠

إرتفاع عالي، فرانسيس دي بونتيس بيبلز، ١٤٥

مدير البناء..... ١٤٨

المانيكيرة ١٦٠
البحر الداخلي، مادلين واتس..... ١٧٥
الذِّهاب، إليزابيث مكراكين..... ١٨٧
المحتويات ٢٠٦

دار بسمة للنشر الالكتروني

+212 771 814 934

basma24design@gmail.com

دار بسمة للنشر الالكتروني

www.darbassma.com